

مغامرات

سيف الدين



فارق خورشيد

دار الشروق

حسين النوري

مُعَاظِرَاتُ
سَيِّدَتِنَا زَيْنَبُ

طبعة دار الشروق الأولى
أكتوبر ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م

جميع حقوق الطبع محفوظة

© دار الشروق

القاهرة : ١٦ شارع جواد حسن - هاتف : ٢٩٢٤٥٧٨ - ٢٩٢٩٣٣٣
فاكس : ٢٩٣٤٨١٤ (٠٢) تليكس : 93091 SHROK UN
بيروت : ص.ب. : ٨٠٦٤ - هاتف : ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٧٦٥ - ٨١٧٢١٣
برقيا : داششروق - تليكس : SHOROK 20175 LE

فتاوى روق نحو الشيخين

مُعَامِرَات

سَيِّدَاتِ دِينِكِ

دار الشروق

الإهداء

إلى أخي الشقيق الأستاذ حمدي خورشيد
تحيةة تقدير وعرفان لما قدمه من حب وصبر،
مساها في تعبيد الطريق ، وتجاوز المحن

فارقة خورشيد

تقديم

حين أقدمنا على التجربة الأولى في محاولة تقديم احدى السير الشعبية المعروفة تقديميا يتلاءم مع حاجة المتلقى المعاصر ، كان هدفنا أن نرد على الكثير من الاتهامات الظالمة التى شوهدت صورة السير الشعبية عند الدارسين والنقاد بخاصة وعند متلقى الأدب في بلادنا العربية بصفة عامة. فقد وقفت هذه الاتهامات حائلا كثيفا دون الاعتراف بالسير الشعبية كأعمال أدبية تمثل مرحلة من مراحل انتاجنا الروائى ، وتحمل بكل ما فيها من ضعف وقوة سمات هذه المرحلة وخصائصها .

وكنا - حين أقدمنا على هذه المحاولة - نتقدم في حذر وتردد ، فقد كان من رأينا أن هذه السير من الممكن أن تمثل التمهيد الطبيعى لفننا الروائى ، وكان الدليل الوحيد الذى يمكن أن يهدم هذا الرأى أو يشبته هو مدى تجاوب المتلقى العربى اليوم لهذه الأعمال ، فان قبلها فهو بهذا يجد فيها أصداء حقيقية لما يتردد في نفسه في عالمى الحلم والحقيقة من تطلعات نفسية ومن بقايا فنية مترسبة في أعماقه وان لم يقبلها فهى أعمال مرحلية لا تمثل إلا العصر الذى تلقاها دون أن تمتد في الماضى أو المستقبل أى امتداد . . .

ثم جاء المتلقى المتحمس لسيرة سيف بن ذى يزن في صياغتها الجديدة حين نشرت في عددين من روايات الهلال الدليل الحى على صدق الرأى الذى ذهبنا إليه من أهمية هذه السير في تراثنا ومكانها في دنيا الأدب

العربى . ولهذا كان من الطبيعى أن نمضى فى التجربة إلى نهايتها ، وأن نحاول اكمال تقديم هذه السيرة الشعبية العظيمة لتكون بصورتها الكاملة تحت يد الدارسين تطرق أبوابهم بنفسها بعد أن تعالوا عليها وعلى زميلاتها فرفضوا أن يذهبوا إليها فى مظانها . ولتكون أيضا تحت يد المتلقى الجديد من طلائع الجيل يجد فيها الغناء عن روايات المغامرات العفنة التى لا تحمل مضمونا يرتبط بتاريخه وتراثه ، أو بقضاياه وأهدافه ومثله . ويجد فيها أيضا ما يربطه بالروح العربى الذى حفظته هذه الاعمال حيا نابضا فيها عبر الاجيال وعبر القرون . ثم لتكون أيضا تحت يد أديب وفنان العصر يستمد منها مادة غنية لعمله ، ومجالا ثريا لحركة أدواته الفنية ، فتخصب عن اصالة وتنتج عن عمق .

* * *

والسير الشعبية بعامة تنقسم من حيث تطور شخصية البطل فيها إلى مراحل عدة ، تمثل كل مرحلة منها جزءا من حركة البطل منذ مولده إلى أن ينتهى من أداء رسالته ، فيسلمها أمانة فى يد غيره حين يدركه الموت الذى هو نهاية كل حى ، ولكنه ليس نهاية للرسالة التى يمثلها والهدف الذى يسعى من أجله . .

وقد سبق أن قسمنا هذه المراحل⁽¹⁾ إلى مرحلة التكوين أو المرحلة الذاتية . ثم مرحلة الفروسية ، فالمرحلة الملحمية ، فمرحلة الامتداد . . وفى عملنا الأول فى سيرة « سيف بن ذى يزن » وقفنا عند المرحلة الأولى وهى مرحلة التكوين أو المرحلة الذاتية وهذه المرحلة فى سيرة « سيف بن ذى يزن » كشيبتها فى السير الشعبية الأخرى، تتناول البطل منذ مولده

(1) راجع فن كتابة السيرة الشعبية

وحتى اكتمال أدواته وتمام نضجه . والسير تعتمد في هذه المرحلة على وجود صراع درامى ضخم يجابهه البطل منذ خروجه إلى العالم يشل من حركته ويقيده وجوده ، ويدفعه بالتالى إلى محاولة التغلب على عوامله وقهرها ليؤكد وجوده ويرسم معالم بطولته ، فإذا ما انتهى الصراع بفوزه فقد اكتملت لنا شخصيته ، كما اكتملت له سمات البطولة الجسدية والنفسية التى تؤهله ليقوم بدور البطل الفارس الباحث عن المغامرة التى يحقق عن طريقها العدالة ، وينشر الحق والسلام فى المرحلة التالية .

* * *

وإذا كنا قد ذهبنا إلى أن الهدف الموضوعى من سيرة « سيف » هو رسم موقف العرب من الاحباش خلال الحروب الصليبية ، فنحن نذهب إلى أن الهدف الآن من هذه السيرة هو رسم صورة الإنسان فى بحثه القلق الدائب عن المعرفة والمتعرض لكل أسباب الهلاك من أجل حصوله على خبرة جديدة تزيد فهمه لعالمه الذى يعيش فيه .

وفى مغامرات « سيف بن ذى يزن » تظهر هذه الصورة بشكل واضح فنحن نلتقى بـ « سيف بن ذى يزن » البطل ، وهو يخوض معارك رهيبية ومغامرات مثيرة . . بحثا عن المعرفة وتطلعها نحو الادراك والفهم ، ممثلا صورة ابدية للنفس الإنسانية التى لا تقنع بما تعرف أبدا . .

وهو فى نفس الوقت يفرض مبادئه التى تتبلور فى الحب والعودة إلى الانسان فى صورته الطبيعية التى شكله الخالق عليها ، مريدا حرا يتحكم فى مصيره بنفسه . . ويعيش معركته مع غرائزه المركبة فيه ليكشف خبراته بنفسه وليرسم مصيره بيديه . .

* * *

وإذا كنا في « سيف بن ذى يزن » قد خضعنا إلى حد كبير للنص نفسه ، فنحن هنا أكثر حرية في التحرك مع النص ومن خلاله مستغلين خبرات الصورة الفنية التي اخترناها لنقدم لك فيها هذا العمل ، وهي الرواية ، ومحاولين تعميق المفاهيم وربطها بقضايا الإنسان المعاصر التي هي في نفس الوقت قضايا متجددة ، ان تغيرت صورها فلن تتغير طبيعتها وجوهرها ، ولعل هذا الجهد - آخر الأمر - يلفت إلى ما نحاول اثباته من وجود تراث ثرى حتى في أدبنا الشعبي ، أن الأوان لتتعرف عليه ونجنى منه خير الشار وإبقاها وأجودها . . والله الموفق . .

ناروقس محمود شيد

شخصيات الرواية

الحكيمة عاقلة	الملك سيف بن ذى يزن
المشهار	الملك قاسم العبوس
سعدون الزنجى	الملك أبو تاج
الملكة منية النفوس	برنوخ الساحر
سابك الثلاث	الملك افراح
الامير مصر	اخميم الطالب
الامير نصر	الامير دمر
ميمون الهجام	عيروض المارد
الوزيرة مرجانة	عاقصة
شامة	الملك قان شاه
طامة	الغيدروس
الجيزة	العادى
	نور الهدى

ظهرت أسوار مدينة حمراء اليمن من بعيد ، وأشعة شمس الضحى تتألق عليها فتبدو كجوهرة أصيلة يبعث منظرها في النفس شعورا بالرضى واحساسا بالراحة والامان . . . والتفت الملك « سيف » وهو يعتدل فوق جواده إلى الملك « أفرح » الذي ركب عن يمينه وهو يقول :

- ها هي « حمراء اليمن » متألفة دوما ، كأنها شابة في ريعان فتوتها . .
وهز الملك « أفرح » رأسه مؤمنا ، وهو يربت على عنق فرسه ليهدئ من حركته ، وهو يقول :

- أنها مدينتك يا بنى ، ومدينة أبيك ، فلا عجب أن أحسست بالحنين إليها وبالسعادة في العودة إلى رؤيتها سالما . .

وقال الملك « أبو تاج » وهو يدفع جواده ليلحق بهما ، ويحتل مكانه إلى جوار الملك « سيف » .
- سنكون هناك قبل الظهر . .

وتطلع الملك « سيف » وراءه إلى فرسانه الثلاثة الكبار ، وهم يجلسون فوق جيادهم صورة حية للبطولة والرجولة ، « ميمون الهجام » و « دمنهور الوحش » و « سابهك الثلاث » ، وتذكر كيف أسرهم في ميدان القتال واحدا أثر الآخر فتسلل إلى قلبه احساس بالرضى والسعادة ، أن ملكا يتبعه مثل هؤلاء الفرسان ليحق له أن يتيه على ملوك الأرض ، وصاح :

- سعدون . .

وارتفع صوت « سعدون » الزنجى وهو ينفصل عن بقية فرسانه
السود، ويسرع إلى مقدمة الموكب قائلاً :

-مولأى . .

- ارسل أحد رجالك لاختطار المدينة بمقدمنا ، وليحمل تحيأتى إلى
«برنوخ» الساحر والحكيمة « عاقلة » . .

واستدار « سعدون » بجواده ليعود إلى مؤخرة الموكب حيث كان يسير
على رأس رجاله يحملون الصيد ويحرسونه ، وجعل الملك « سيف »
ويتأمل حركته الواثقة فوق جواده . . فارس مخيف ، اسمه وحده كفيل
بهزيمة الجيوش ، وارسال الرعب فى قلب أقوى الفرسان وأشدهم قسوة
وضراوة . . وسرعان ما انفصل أحد فرسان « سعدون » عن المؤخرة ،
وانطلق بجواده كالسهم نحو المدينة التى تبدو أسوارها فى الأفق . .

وأستأنف الملك « سيف » سيره الخبى ، وعلى يمينه الملك « أفراح »
وعلى يساره الملك « أبو تاج » ووراءه فرسانه الثلاثة « ميمون » و«دمنهور»
و « سابك الثلاث » ومن خلفهم « سعدون » على رأس فرسانه ، ومعهم
حصيلة رحلة صيد طويلة ، غمس الملك سيف نفسه فيها عله ينسى
ذكرى أمه التى لقيت مصرعها أمامه ، وفى قاعة عرشه ولم يستطع أن
ينقذها من بين أيدي أحب الناس إليه . .

وأحس بيد قاسية تضغط على قلبه وتملأه بالمرارة وهو يتذكر أمه
ومصرعها ، وامتلات نفسة بالحنق والألم وصورة زوجاته وهن يشرفن
السيوف فى أيديهن لتلقف جسد أمه و « عاقصة » أخته فى الرضاع تقذف
بها من سقف القاعة لتمزقها السيوف المشرعات . . تملأ الصورة الخلاء
أمام عينيه ، وتحجب عنه أسوار المدينة التى تقترب تدريجياً ، وتنغص
عليه صفو اليوم المشرق الجميل . . كيف أمكن لـ « شامة » و « طامة »

« ومنية النفوس » و « الجيزة » أن يقمن بهذا العمل الفظيع وهن زوجاته
وأمهات أولاده ١٩

مهما كان العذاب الذى تحمله من بطشها وقسوتها فهى أمه ، ومهما
كان حقدتها عليه وتآمرها على هلاكه فهى أمه . . . حقا لقد قذفته وهو
طفل إلى الصحراء ليموت جوعا وعطشا أو ليفترسه وحش جائع . . . وحقا
حاولت قتله أكثر من مرة ، بل ان جسده يحمل آثار سيفها البتار الذى
جعلت تضربه به وهو يشرب . . . يوم خدعته فخرج معها إلى الصحراء
بحثا عن كنوز مزعومة تركها أبوه وإطمأن اليها فرقد يشرب وغدرت به
فطعمته ، ولكنها مع هذا كله أمه وليس من حق أحد أن يقتلها دون أن
يلقى عقابه . . .

و « عاقصة » . . . أنها من يوم هذه الحادثة الملعونة اختفت تماما لم تعد
تزره أو تسأل عنه ، أنها لن تجرؤ . . . فهى تعرف مقدار حنقه عليها ،
وماذا تفهم هذه الجنية من عواطف البشر ، وكيف لها أن تدرك أن عاطفة
البنوة تغفر كل شيء . . . آه لو وقعت « عاقصة » بين يديه لأذاقها من
العذاب ما لن تنساه ، ولن يغفر لها أنها أختها فى الرضاع ، ولا أنها كانت
خير معين له وقت شدائده . . .

لقد أضاعت بتآمرها على أمه كل حق لها فى التوبة والمغفرة . . . لقد
شلت يده يومها عن عقابها فى الحال بهذه الحركة البارعة التى رتبها حين
دخلت الجوارى يحملن أولاده « مصر » و « نصر » و « دمر » . . . لقد نسى
برؤيتهم حقدته وألمه . . . وأخذت نسمة رقيقة تداعب قلبه لتزِيل عنه
سحابة الحقد الأسود التى كانت تغلفه ، وأخذت وجوه أولاده الصغيرة
البريئة الحلوة تملأ عينيه ، وتسَللت بسمه حانية إلى شفثيه . . . وأخذت
أفكاره تهبط وتننظم . . . لقد عفا عن زوجاته إكراما لهذه العيون الصغيرة

الحلوة ، قطعة منه ، قطعة حية تتطلع إلى الغد المشرق . . وملاّت البسمة وجهه وهو يتحول بجسده فوق جواده يتطلع خلفه إلى رجاله ، ثم يشير بيده وينطلق إلى المدينة في سرعة وقد ملأ قلبه حنين طاغ لرؤية أولاده ، وضمهم إلى صدره ، والتأمل في وجوههم السمحة العذبة . .

* * *

حين وصل رسول الملك « سيف » إلى المدينة كانت الحكيمة « عاقلة » تجلس مع « برنوخ » الساحر في قاعة العرش ، وكانا يتهامسان ومظاهر الجذ والاهتمام تظهر بجلاء على وجهيهما وحين انتهى الرسول من ابلاغ النبأ هب « برنوخ » الساحر من مكانه يصدر الاوامر إلى رجال القصر ليستعدوا لموكب الاستقبال الذي سيخرج ليكون في استقبال الملك العائد ، بينما نهضت « عاقلة » في بطاء وسارت في ثقاقل نحو قصر ابنتها « طامة » وفي عينيها نظرة قلق وحيرة . .

كان الملك « سيف » معتادا على أن يترك أمر المدينة لها ولـ « برنوخ » الساحر كلما تغيب عنها ، وفي كل مرة كان يعود ليجد الاحوال في مدينته كما يتمنى لها دائما أن تكون ، وتتدعم ثقته في صديقيه « برنوخ » الساحر والحكيمة « عاقلة » أم زوجته طامة ، ولكن هل سيجد الامور هذه المرة كما اعتاد أن يجدها عند كل عودة . . وهل سيستطيع « برنوخ » و « عاقلة » بالذات - أن يظلا محتفظين بثقته الأكيدة فيهما . . ان ما حدث في غيابه هذه المرة شيء مخيف ومؤلم ، وهي لا تكاد تدرى كيف ستلقاه بالانباء ، وكيف سيتلقى هو هذه الانباء القاسية المفجعة . .

وما أن اقتربت من جناح ابنتها « طامة » زوجة الملك حتى هرعت إليها « طامة » وعلى وجهها آثار الفزع والقلق ، وأمسكت بيديها تعصرهما في قلق وهي تقول :

.. أسمعت ؟ .. أنه جاء .. جاء ..

فهمست « عاقلة » وبصوت حاولت أن تجعله هادئا مطمئنا :

.. حمدا لله يا ابنتى على سلامته ..

وتعثرت الكلمات وهى تخرج من بين شفتى « طامة » مرتجفة خائفة :

.. ولكنه سيرف ، سيكتشف الأمر ، وسيكون غضبه قاسيا ورهيبا .

ودفنت رأسها فى صدر أمها وهى تبكى وجسدها كله يرتجف ،

وصوتها الخائف يخرج كالمس :

.. وسيكرهنى ، سيكرهنى .. أنى أخاف كراهيته أكثر مما أخاف

انتقامه ..

وربتت « عاقلة » على كتف ابنتها « طامة » فى حنان ، وهى تقول فى

صوت هادئ :

.. كفى يا ابنتى ، كفى .. تعالى ، سأريك شيئا ..

واستسلمت « طامة » إلى أمها ، وهى تقودها فى رفق إلى نافذة ضخمة

تطل على مؤخرة القصر .. ووسط الحديقة الصغيرة التى تحيط بالجناح

المجاور كان يبدو شاهدا قهرين حديثى البناء ، وكان أحدهما كبير

الحجم ، بينما كان الثانى صغيرا وحولهما انتشرت أحواض الزهور ،

وغرست أشجار الورد الصغير ، وقالت الحكيمة « عاقلة » فى حزم :

.. هما هنا ، يرقدان هنا ..

واندفعت « طامة » تقول وهى تمسك يد أمها فى عصبية :

.. ولكن ..

لكن الحكيمة « عاقلة » وضعت اصبعها على شفيتها محذرة ، وهى

تقول :

.. ليس هناك لكن .. لقد اصيبت بالحمى وماتت ودفناها بعد أن

عجز الطب والحكمة عن شفائها ..

- وابنها؟ ..

- أصابته العدوى منها ومات ، ودفناه إلى جوارها في هذا القبر الصغير .

- ويصدق؟ ..

- ان كل من بالقصر يعرفون هذه القصة ويحفظونها جيدا ، ولن يجد ان أراد السؤال الا ما يؤيد ما سوف تحكيه له ..

وبدا الذعر واضحا في عيني « طامة » وهي تتحول عن النافذة بسرعة لتواجه أمها ، وهي تقول في صوت مخنوق :

- أنا؟! ..

- من الطبيعي أن يقصد إليك في أول عودته فأنت أحدث زوجاته ، وستلقيه مرحبة مستبشرة ، لكن ينبغي أن يلحظ أن هناك حزنا تحاولين أن تخفيته عنه ، ويحاول هو أن يعرف سر هذا الحزن .. ولكني أنصحك يا ابنتي ألا تخبريه الا وهو في قمة صفوه ، عسى أن يخفف هذا من وقع الصدمة عليه .

وهنا ارتفع صوت النفير ايذانا باستعداد الموكب لمغادرة المدينة ليكون في استقبال الملك « سيف » فأسرت الحكيمة « عاقلة » تضم ابنتها إلى صدرها ، ثم تتركها مسرعة لتأخذ مكانها على رأس الموكب إلى جوار الساحر « برنوخ » ..

كان الملك « سيف » يجلس أمام الشاهدين وعيناه شاخصتان ولكن لا تريان شيئا . . فأمامهما ينثال سيل من الرؤى يحجبه عن الحاضر وينقله إلى ماضيه المليء بالأحداث الحية المتحركة ، وبالأمال الغضة الندية . . يدفعه القدر من مغامرة إلى مغامرة ، ومن صراع من أجل الحق إلى صراع من أجل الحق ، وهو في كل مرة يخرج أكثر قوة ، وأكمل أداة ، وأشد استعدادا لمواجهة ما تأتي به الاقدار . .

ولكن ها هو هنا اليوم يجلس ساهما أمام قبرين يضيان أعذب أمانيه وأرق أحلامه . . وتندت عيناه بالدموع ووجه « منية النفوس » الجميل البسام يظهر أمام عينيه تماما كما بدا له في أول يوم رآها فيه . . هناك في البستان المسحور حين أنزلته « عاقصة » لستريح وهو في طريق العودة إلى بلاده ، وهناك حيث جاءت مرفرفة بثوبها الريش هي وجارياتها الأربعين ، ثم خلعن أثوابهن ليقضين يوما بين مياه البحيرة المطلسمة ، أميرة بينهن . . درة بين نساء العالم ، جوهرة تتألق بالبهاء والجمال والشباب . . أجل كانت النور الذي أشرق في قلبه فجأة فاحتواه ولم يعد يرى الا هي ، ولم يعد يفكر الا في الحصول عليها . .

واختفى وجهها من أمامه تدريجيا ، وهو يحس بيد قوية تعتصر قلبه عصرا ، تحل محلها وسط ضباب الدموع الذي يملأ عينيه صورة وجه ابنه

« مصر » الوجه الطفل الحلو بابتسامته البريئة ، ونظرات عينيه المعابثة . .
ولكن الوجه كان يبكى ، وتتقلص الجبهة الرقيقة ، وتزول البسمة البريئة
لتحل محلها تقطبية ألم وتعاسة ، وصوت الصراخ يملأ أذنيه والطفل يبكى
بعيدا بعيدا ، ابنه « مصر » يبكى وهو مشلول إلى جوار قبره ، لا يستطيع
أن يتحرك وكأنه هو الذى مات ، وصراخ الطفل يشتد ، وأصبعه الصغيرة
تشير إلى عينيه ، ورأسه تطن ، والدنيا تدور . .

وارتفع صوت الحكيمة « عاقلة » وهى تقول :

- لقد أهلكت نفسك من الحزن يابنى . . عشرون يوما وأنت لا تغادر
هذا المكان ، وكأنها ما عدت من رحلة الصيد إلا لتجلس رفيق هذين
القبرين .

ورفع رأسه إليها ، وهو لا يكاد يراها من وسط غيوم كثيفة تقف كالسد
الحائل بينه وبين أن يرى شيئا ، وهمس :

- لقد ماتا « منية النفوس » وابنى « مصر » . . ماتا . .

وصمت الحكيمة « عاقلة » وهى تنظر إليه فى تأمل وتفكير ، ثم
قالت :

- أيفعل بك الحزن كل هذا ؟ . . كلنا سنموت . .

- ولكنى كنت أصيد وأهو ، وأقفز هنا وهناك ، وهما هنا وحدهما

يعانيان المرض ، ويتجرعان الموت دون أن أكون إلى جوارهما . .

وتقطعت الكلمات فى فمه ، وتحول الهمس عند شفثيه إلى حشجة . .

وكانت الدموع تسيل من عينيه فى صمت ، وهى تقف أمامه ذاهلة

مأخوذة أمام هذا الحزن العظيم ، وعادت تقول فى صوت هادئ مصمم :

- وأمور مملكتك ، وشئون جنديك ، وأحوال رعاياك . . !

- ويمضى « مصر » أيام دنياه فى ظلام القبر وحده ، فى دنيا الموت ،

دون أن يرى شيئا من مجد أبيه ، من حلاوة مدينته ، من متع الحياة ! .

- وزوجاتك الاخریات ، وابناك « دمر » و « نصر » . .

- كان سيصبح فارسا كبيرا يمسك بيده سيفه ، ويرد عن مدينتى الأعداء ، ويحرس شيخوختى من رذائل الضعف ، ويعمر الأرض ، ويملؤها عدلا ، وحباً ، وأمناً .

وكفت الحكیمة « عاقلة » عن الحديث ، وظلت تنظر إليه مفكرة ، وقد بدا على وجهها وجوم غريب . .

- وحين يقول « دمر » أخى ، يجهيه « مصر » لبيك . . وحين يعادى « نصر » أكثر الفرسان بطشاً ، وأشدهم قساوة ، وأوفرهم رجالاتاً . . يخشى أن يواجه فوراءه أخوه « مصر » زينة الفرسان وخير الرجال . .

واستقرت المعركة فى داخل الحكیمة « عاقلة » واكتسى وجهها طابع العزم والتصميم ، واقتربت من الملك « سيف » ووضعت يدها على كتفه :

- اذن قم فهاته ، عد به إلى مدينتك . .

وماتت الكلمات على شفتى الملك « سيف » وأخذ يتطلع إليها فى ذهول كأنها لا يفهم ما تقول وهمس :

- أعود بمن ؟ . .

- بابنك « مصر » وأمه « منية النفوس » . . ا .

- أعود بهما ؟ . . من القبر ؟ . . من الموت ؟ . .

وأشدت صوته ، وهو يقول فى انفعال :

- أنا قهرت الفرسان فى كل ميدان ، جعلتهم عبيدا لى ، وكسرت سيوفهم فوق ترسى ، وضعت خوذاتهم عند مواضع قدمى . . أنا صارعت الجن فى كل ميدان وأمام صولتى فروا ، ثم سقطوا كالشهاب . .

وقد أحرقتهم نار غضبى . . أنا طفت بالبحار السبعة ، تحمىنى قوة الحق ، أنا عبرت الأمصار والممالك اخترقت السماء البكر التى لم تكن لانسان قبلى . . فوق ظهور الجن ركبت الهواء ، وقهرت السماء . . ألف مهلك خضته وعدت منه ، ألف هاوية تردت فيها وخرجت ، من أعماق بلاد الغيلان استنقذت « شامة » ومن قصر المارد المختطف استنقذت « ناهد » ، ومن حول قصر الملك « سام » المطلسم جئت بـ « الجيزة » ومن البحيرة التى صنعتها أفلام الحكمة اختطففت « منية النفوس » ولم يردنى عنها ما صنعه الحكماء ، وما ابتناه السحرة ، ومن وسط حراس كتاب النيل القساة جاءت « طامة » . . ولكن الموت ، هذا شئ لم أصارعه ، ولم يصارعه أحد قبلى ، فعند الموت يستسلم اعنى الملوك ، وأقوى الجبابرة ، وفاتحو المدن ، مشيدو الاهرامات . . كالعييد انتشروا عند قدميه جميعا ، كالعجزة كالمشلولين ، كأننا فراخ ضعيفة شلتها نظرة عين الثعبان . . الثعبان يقترب ويقترب وفمه فاغر يبين عن أنياب . . ولكن لا مهرب . . !

- لم أطلب منك أن تخوض من أجلهم بحار الموت . .
فهب الملك « سيف » واقفا ، وهو يتحامل مسندا جسده الضعيف على شاهد قبر ابنه وقال :

- اذن فكيف تطيبين منى أن أذهب لاحضرهما . . من أين ؟
وأطرقت الحكيمة « عاقلة » ، ثم رفعت رأسها ونظرت إليه وهى تقول :

- من جزائر البنات . .
وأجفل الملك « سيف » وهو ينظر إليها مندهشا ، وهو يقول :
- هذه بلاد « منية النفوس » ، جزائر واقى الواق . .

- وإلى هناك حملت « منية النفوس » ابنها وطارت . .

- حملت ابنها ١٩ . . طارت . . ١٩

- لم نكن نريد أن نخبرك بالأمر حتى لا تورث نفسك موارد التهلكة في البحث عنهما ، ولكن خير لك يا بني أن تموت وأنت تحاول انقاذهما من ان يقتلك الهم والحزن هنا . . ؟

وظل الملك « سيف » لحظات واجما وهو يحدق فيها ، وكأنها يستوعب كلماتها . . ثم اندفع إليها ممسكا بها من كتفيها وهو يهزها صارخا :
- لم يموتا ١٩ . . « مصر » لم يميت ، و « منية النفوس » . . اذن فهما أحياء ، وكان يصرخ طالبا منى أن أنقذه ، أنا أبوه ، وسوف أنقذه . .
ولكن ، هذان القبران . . ١٩

ورببت الحكيمة « عاقلة » على كتفه ، وهى تقول فى حنو :

- اهدأ يا بنى وسأقص عليك الحكاية . . ان هذين القبرين لا يضمنان شيئا ، أما « منية النفوس » فقد كانت تسم ذات ليلة عند « طامة » التى تركت لديها الثوب الريش ، لتحتفظ به ، وكانت معها زوجتك « شامة » و « الجيزة » ، وكنت أنا هناك . . وكان النهار نهار سمر وضحك ولعب واستبد بنا المرح ، وقامت كل واحدة من زوجاتك ترقص وتغنى رقص قومها وغنائهم ، إلا « منية النفوس » التى استبد بها حزن دفين غريب .
وحين طالبتها أن تشاركنا اللهو والمتعة ، وأن تريننا رقص قومها ، وأن تسمعنا غناءهم وأصرت أنها لا تستطيع من هذا شيئا إلا اذا ارتدت الثوب الريش . . وأمام الحاحها ، والباح الموجودين ، وأمام وعدها أن ترتديه لحظات ثم تعيده مرة أخرى ، قامت « طامة » وأحضرت لها الثوب الريش ، فارتدته وجعلت ترقص وتتطاير فى أرض القاعة وسهائها ، حتى أذهلتنا جميعا عن أنفسنا بجبال رقصها ، ورشاقة خطوها ، ورقة صوتها ،

وهبطت اليينا وهي تقول انها ستذهلنا بالرقص وهي تحمل ابنها داخل ثوبها الريش ، ووسط ما كنا فيه من ضحك وسرور ، لم يشك أحد في نيتها ، فأحضرنا لها ملاءة من حرير ، وضعت فوقها ابنها وحملته داخل ثوبها وسط ضحكنا وكلمات مداعباتها ، ورقصت به لحظات ثم طارت فجأة إلى أعلا نافذة ووقفت هناك ، وظلت واقفه - رغم كثرة ما طلبنا منها أن تنزل اليينا - وأحسست قلوبنا بها تدبر فجأة فكففنا عن الضحك وأخذنا نتوسل إليها أن تنزل وأن تعود اليينا ، ولكنها قالت :

- لقد طال حنيني إلى بلدي وأهلي ، ولست أستطيع أن أترك ابني بعيدا عنى . . ولهذا فأنا ذاهبة به إلى بلادى ، أما ان سأل عنى الملك « سيف » فقولوا له : لن تراها ولن ترى ابنك مرة أخرى ، إلا ان كان لك من الهمة والعزم ما يدفعك إلى الذهاب إلى جزائر البنات التي هي احدى جزائر واق الواق ، ثم طارت واختفت عن عيوننا ، رغم صيحاتنا المتوسلة . . !
وصممت الحكيمة « عاقلة » وهي تنظر في وجهه التي بدأت تعود الدماء اليه وتقول :

- وخشينا عليك . . وخشينا أن تدفعك همتك إلى تعقبها إلى جزائر البنات ، وهي سفرة مهلكة قد لا تعود إلينا منها . . وخشينا أن تتهمنا بالاهمال في رعاية زوجتك وابنك ، وأن تتهم « طامة » بالاهمال في الاحتفاظ بالشوب الريش . . وهكذا صنعنا هذين القبرين وأشعنا قصة موتها ، لتصرفك عن أن تؤذى نفسك ، وتصرف عنا أذاك . . وقد عرفت الحقيقة الآن فافعل بنا ما تشاء . .

وكان الملك « سيف » في دوامة متباينة من الأحاسيس والانفعالات ، فينتقل من أقشى الحزن إلى بصيص الأمل الذى سرعان ما يشوبه اليأس الذى يخفف منه التصميم والعزم على أن يستعيد زوجته وابنه حتى وان

كانوا في جزائر واق الواق ، وقال للحكيمة « عاقلة » :
- أنا لا أفكر في الانتقام ولا في القصاص ، فليس يجدى البكاء على ما
فات ، وإنما أنا أفكر الآن في كيفية السفر اليهم والعودة بهم . .
وأطرق الملك « سيف » ، ثم رفع رأسه في هدوء وقد زالت من عينيه
النظرة الداہلة ، وحلت محلها نظرة مليئة بالعزم والتصميم ، وقال في
صوت أمل :
- عند الفجر يجتمع كل العسكر ، ويخرج كل الجيش على رأسه كل
الملك والفرسان . . عليهم أن يصطفوا غدا في خارج المدينة ، وسألقاهم
مع أشعة الشمس الأولى لنبدأ البحث عن الغائبين .

كان للأمر الذى أصدره الملك « سيف » بحشد جيوشه وقواته ، وجمع فرسانه وأعوانه ، أثر كبير فى نفوس رجاله الذين لازموه فى معظم أحداث حياته ، فلم يكن لهذا الأمر ما يبرره فيما يجرى حولهم من أحداث . . فالمدينة تعيش فى سلام ، و « سيف أرعد » عدوهم اللدود قد كف أذاه عنهم منذ هزموه وسحقوا جيوشه فى آخر لقاء بينهم ، والملك حزين على زوجته وابنه ، وقد تناثرت الأشاعات أنه يلزم القبرين اللذين يضمنا رفاتهما . .

ودخل « سعدون » الخيمة التى يجتمع فيها قادة الجند . . وأمارات الحيرة والدهشة بادية عليه ، وقد كان يتوق إلى أن يجد الملك « سيف » يستوضحه جلية الأمر ، ولكنه وجد العقد قد اكتمل ، دون أن يحضر الملك « سيف » بنفسه . . كان هناك « برنوخ » الساحر والحكيمة « عاقلة » ، كما وقف فى أحد جوانب الخيمة الملك « أفرح » و الملك أبو « تاج » وهما يتهامسان ، بينما وقف « ميمون الهجام » و « دمنهور الوحش » و « سابل الثلاثة » صامتين فى الناحية الأخرى من الخيمة . . ورفع « سعدون » يده بالتحية للجميع ، ثم اتجه إلى الفرسان الثلاثة ، فتبادل معهم تحية الصباح ، وأخذوا يسألونه عن سبب اجتماعهم ، وسر هذا الأمر المفاجئ الذى أصدره الملك « سيف » . . وقبل أن يجيبهم انضم إليهم باقى من فى الخيمة ، وكلهم يسأل نفس السؤال ، ماعدا الحكيمة

«عاقلة» التي جلست بعيدة عنهم ترقبهم ، وعلى وجهها بسمتها الهادئة .
ولم يكن غريبا أن يظن الجميع أن « سعدون » يعلم من أمر الملك
« سيف » مالا يعلمون . . فهو أول من انضم إلى لواء الملك « سيف »
منهم ، وهو أقربهم إلى قلبه للصدقة الوطيدة التي نشأت بينه وبين الملك
« سيف » في المعارك الكثيرة التي خاضها جنبا إلى جنب . . ولكن
الغريب أن « سعدون » نفسه لم يكن يعرف شيئا ، وأن دهشته بصدور
هذا الأمر لم تكن تقل عن دهشتهم ، وكادوا يتهمونهم بمحاولة إخفاء
الحقيقة عنهم ، لولا أن حسم الأمر صوت الحكيمة « عاقلة » الهادئ ،
وهي تقول :

.. ان « سعدون » مثلكم جميعا لا يعرف من الامر شيئا ، وأنا نفسى لا
أكاد أعرف نيات الملك « سيف » رغم أنه كلفنى باستدعائكم . . وعلى
آية حال فلن يضيرنا الانتظار قليلا ، فسرعان ما يكون الملك « سيف »
بيننا ، يخبرنا بما يريد . .

ولم تكذ الحكيمة « عاقلة » تنتهى من كلامها حتى دخل إلى الخيمة
الملك « سيف » وهو يرتدى ثياب الحداد ، وعلى وجهه تقطية حزينة
وكان الملك « سيف » فى كامل عدته ، وقد توشح بأسلحته ويسير إلى
جواره طفله الصغير « دمر » وقد البسه ثياب احد الفرسان .

ورد الجميع تحيته وقد أخذوا أماكنهم المعتادة حوله ، ثم أخذوا إلى
الصمت تاركين له أن يبدأهم بالحديث ، محترمين حزنه وصمته . .

وكان الطفل الصغير « دمر » يجلس إلى جوار أبيه ، وعلى وجهه مظاهر
الجد التي لا تتناسب مع سنه الغض ، إلا أنه كان فى ثياب الفرسان
هذه ، يحمل ملامح كثيرة من أبيه الفارس الكبير ، واستقرت عيننا
« سعدون » عليه فى اقتتان واعجاب ، وهو يرى فيه مخائل فارس واعد ،

بينما قبله جده الملك « أفراح » في زهو ورضا ، وهو يلمح في ابتسامته صورة ابتسامته ابنته « شامة » العذبة . . وقطع عليهم صوت الملك « سيف » الهادئ الحزين ، الأفكار التي بدأت تغزو رأس كل منهم على حدة ، وهو يقول :

- لقد جمعتم لأودعكم ، فانى سأغادركم في رحلة لا أعرف نتيجتها ، ولا مدتها .

وعم الوجوم والصمت الخيمة الكبيرة ، واستمر الملك « سيف ابن ذى وزن » يقول :

- ان بعضكم يعرف أنى حين عدت من رحلة الصيد ، أخبرت أن الملكة « منية النفوس » قد ماتت هى وابنها « مصر » . . ولكنى علمت بالأمس أن هذا الخبر غير صحيح ، وأن « منية النفوس » قد عادت مع ابنها إلى بلدها ، طائرة بثوبها الريش ، وأصبح لزاما على أن أذهب لأبحث عنها وأعيدهما إلى حمراء اليمن ، وقلبي يحدثنى أن مكروها قد حل بها . . ولست أستطيع أن أصبر لحظة عن محاولة انقاذهما ، مهما كلفنى هذا الأمر .

وصمت الملك « سيف » لحظات أسرع فيها « سعدون » قائلا :

- ونحن جميعا وراءك أيها الملك ، ولن يستعصى علينا - ونحن خير الفرسان - أن نستردهما من أعتى الجيوش وأقواها . .

فرفع الملك « سيف » يده مقاطعا اياه وهو يقول :

- لا جدوى من هذا فنحن لا نعرف طريق جزائر البنات ، بل وليست للجيوش قدرة على الوصول إليها . . فهى بلاد بعيدة جدا لم تقطع « منية النفوس » المسافة بيننا وبينها الا بالاستعانة بالشوب الريش المطلسم . . وسيحملنى « عيروض » فى رحلتى إليها ان كان يستطيع ، فإلى لم

يستطع فأسأستعين بأختى « عاقصة » . .

فقال الحكيمة « عاقلة » :

- ولكنك أغضبيت « عاقصة » منك أيها الملك ، وهى تخشى انتقامك منها لو ظهرت أمامك .

فقال الملك « سيف » :

- انها أختى ولن تتخلى عنى وقت شدتى ، وهى تحب « منية النفوس »

وابنى « مصر » ولن ترضى بتركهما لمصير مجهول . .

وما كاد الملك « سيف » ينتهى من كلامه حتى دوى فى المكان صوت

جلبة شديدة ، ولع ضوء ساطع ، ثم ظهرت « عاقصة » وهى تقول :

- اذن فقد عفوت عنى يا أخى . .

وهب الملك « سيف » واقفا وفى عينيه نظرة غضب ، بينما أسرعت

الحكيمه « عاقلة » تتقدم نحوها مادة يدها فى ترحيب ، وهى تقول :

- أهلا يا « عاقصة » . . لقد حرمتنا من رؤيتك زمنا طويلا . .

فقال « عاقصة » وهى فى مكانها عند مدخل الخيمة الكبيرة :

- لم يكن أخى محتاجالى . . أما وقد احتاج لمساعدتى فها أنا ذا . .

ورقت النظرة الجامدة فى عينى الملك « سيف » وقال :

- انها « منية النفوس » وابنى « مصر » . .

فقال « عاقصة » :

- لا بد انها توصلت إلى الثوب الريش ، وطارت إلى جزائر واق الواق

بعيدا بعيدا عن متناول يديك . .

وصممت « عاقصة » لحظات ، وهى تتأمل فى وجه أخيها ، ثم قالت :

- ان هذه مغامرة ليست ككل ما مر بك حتى الآن . . ولا

أستطيع أنا أو « عيروض » أن ندخل جزائر واق الواق ، فهى

جزائر مطلسمه بعلوم الاقلام . .

فقاطعها الملك سيف قائلا :

.. اذن فانت تتخلين عنى . .

.. بل انى ابدل روحي فداء لك ، وانت تعلم هذا . . ولحظة تريد أن تبدأ الرحلة أخبرنى ، وسوف أكون بين يديك . .

فابتسم الملك « سيف » ، وبدت على وجهه لأول مرة منذ دخل الخيمة ملامح الأمل وقال :

.. اننى أعلم هذا يا « عاقصة » . وقد انتويت أن أبدأ رحلتى الآن . .

ثم التفت إلى رجاله وقال :

.. وقد جمعتكم لكى أوصيكم بأنفسكم وبالعباية بشئون حمراء اليمن . .

وأمسك بيده يد ابنه الصغير ، وهو يقول :

.. وقد جعلت عليكم « دمر » ابنى ملكا تحكمون المدينة باسمه لحين عودتى ، فان لم أعد فأنتم خير الأوصياء عليه ، حتى يبلغ رشده ، ويستقيم له الأمر فى ملك أبيه . .

فقال « برنوخ » الساحر :

.. بل ستعود باذن الله ، وما أظن هذه الرحلة الجديدة ، الا لحكمة خفيت عنا ، يريد الله بها أن تكون رسول السلام والهداية لقوم أراد لهم ربهم خيرا ، فتوجه على بركة الله .

وقال « سعدون » :

.. ولكنى أيتها الملك أرى أن تأخذ منا من تريد ليعاونك فى أمر محنتك ، وليمكنك بعضنا مع الجند فى المدينة . . لتأخذ منا واحدا أو اثنين . .

فقاطعه الملك « سيف » قائلا :

.. لقد تقرر الامر يا « سعدون » .. وسوف تبقون هنا جميعا ، ولست

أوصيكم الا بولدى ..

وقام من مجلسه ، وأجلس فوق كرسیه ابنه الصغير « دمر » ووقف إلى جانب الكرسي ، وأشار إلى الملك « أفراح » أن يقف إلى الجانب الآخر من كرسي حفيده . . بينما تقدمت الحكیمة « عاقلة » والساحر « برونخ » يقسمون يمين الولاء للملك الجديد ، وتقدم بعدهما « سعدون » وباقي الفرسان . . ثم تقدم بعدهم الملك « سيف » فقبل وجتتى ابنه ، وهو يقول :

.. انى أوصيك يا « دمر » بالعدل فى الرعية ، والانصاف فى الفصل فى شئون الدولة . .

فقام الطفل الصغير من فوق كرسیه ، وقبل يد أبيه فى صمت ووقار ، وانحنى عليه جده الملك « أفراح » يضمه فى صمت ويقبله وعيناه تتنديان بالدموع . . وهنا دخل إلى الخيمة أحد فرسان الحرس الذين نصبهم « سعدون » واقترب من « سعدون » وهمس فى أذنه ، ثم وقف ينتظر ما يأمره به رئيسه . . فاتجه « سعدون » إلى الملك « سيف » وهو يقول :

.. لقد حضر « أخميم الطالب » وهو يريد أن ينضم إلنا هنا . .

فقال الملك « سيف » :

.. لقد حضر فى وقته ، حتى يبایع « دمر » ، فدعه يدخل . .

كان « أخميم الطالب » والد الملكة « الجيزة » زوجة الملك سيف قد غادر حمراء اليمن مع من غادرها من الفرسان ، بعد أن ماتت « قمرية » أم الملك « سيف » . . وبينما أسرع الفرسان بالعودة إلى المدينة بعد أن زاروا أهلهم وبلدهم ، تأخر هو فى العودة وقد أحس بالاطمئنان على الملك « سيف » الا أنه سمع بموت الملكة « منية النفوس » فأراد أن يعزى الملك « سيف » فى زوجته وابنه ، ولكنه فوجئ حين وصوله إلى حمراء اليمن بهذا الحشد الضخم من الجنود ، فلم يتجه إلى المدينة وإنما توجه إلى خيمة الملك

مباشرة وحين دخل « أحميم الطالب » إلى الخيمة ، ابتدره الملك « سيف »
قائلا :

- مرحبا بك أيها الحكيم . . لقد جئت في وقتك ، فان الفرسان
يبايعون الملك « دمر » على ولاية العرش بعدى حتى أعود . .
فدهش « أحميم الطالب » ، ولكن وجهه الهادى لم يظهر شيئا من
دهشته . . وتقدم يقف أمام الملك « دمر » الصغير ويبايعه ، ثم انحنى
عليه وقبله ، وقال له الملك « سيف » :

- ان « نصر » ابن الملكة « الجيزة » وحفيدك ، ينبغي أن يظل الأخ
الحبيب لانخيه « دمر » وأنا أوصيك بـ « نصر » ، أن تكون له خير والد في
غيايى ، كما أوصيك بـ « دمر » أن تكون له خير مشير .
وتقدمت الحكيمة « عاقلة » و « برنوخ » الساحر من « أحميم الطالب »
مرحبين ، وقالت الحكيمة « عاقلة » موضحة الأمر إليه :
- أن « منية النفوس » لم تمت ، وكذلك ابنها « مصر » وانها هى سافرت
بثوبها الريش إلى بلادها ، وقد أنتوى الملك « سيف » أن يسير في
طلبها . .

فقال « أحميم الطالب » موجها الحديث إلى الملك :
- وفقك الله في العثور على زوجتك وابنتك ، وليس لك أن تخشى شيئا
في فترة غيابك ، فنحن جميعا نصون لك عرشك وبلادك وأبناءك . .
وأشار الملك « سيف » إلى « سعدون » . . فتقدم هو والفرسان . .
« سابك الثلاث » و « دمنهور الوحش » و « ميمون الهجام » ناحية الملك
الصغير ، ليصحبوه في موكب رسمى حتى يبايعه الجند الذين اصطفوا
خارج المدينة ، وتبع الملك « دمر » الحكماء الثلاثة « برنوخ » الساحر ،
والحكيمة « عاقلة » و « أحميم الطالب » . بينما خلت الخيمة الا من الملك

«سيف» وأخته «عاقصة» ، التي تقدمت منه قائلة :

- أنت لم تجربني بعد أنك عفوت عني ، وصفت نفسك لي . .

فقال لها وهو يخرج اللوح المطلسم ، الذي أخذه ذخيرة من قصر الملك

«سام بن نوح» :

- سنتحدث في هذا الأمر بعد أن تنتهي هذه المهمة ، فان ذنبك عندي

عظيم وكنت قد أقسمت أن لا أراك أبدا . .

فقالت «عاقصة» :

- ان كل جرح إلى اندمال . . وعليك فقط أن تفكر فيما أنت مقدم

عليه من أمر ، فهو مجازفة خطيرة ، ومخاطرة لم يسبقك اليها إنسان . .

فقال الملك «سيف» :

- سنبدأ رحلتنا الآن فورا ، مهما كانت المخاطر التي تتحدثين عنها . .

فقالت «عاقصة» :

-إذن استدع «عيروض» ليساعدني في حملك ، فان الرحلة طويلة ،

والمسافة بعيدة . ولست أستطيع ألا أن أوصلك إلى حدود هذه الجزيرة ،

لأن الجزيرة نفسها مطلسم ، ولو دخلتها لاحترقت . .

وقال الملك «سيف» :

- لا عليك من هذا ، أحمليني إلى هناك ، وسيدبر الله أمرى . . ولو

أننى أريد أن أعرف سر هذه الطلاسم ، ولماذا سميت هذه الجزيرة بجزيرة

البنات كما أريدك أن تبصريني بما أمامي من مخاطر ، حتى أكون متأهبا

للقائها . .

فقالت «عاقصة» :

- أن هذا حديث طويل ، سأقصه عليك في الطريق . . أما الآن

فاستدع « عيروض » لنبداً الرحلة . .
وذلك الملك « سيف » اللوح المطلسم . . وسرعان ما حضر خادمه
الجنى « عيروض » وهو يصيح :
.. نعم يا ملك الزمان . .

حين أحس الملك « سيف » بنفسه يطير بين السماء والأرض ، وقد حملته كتفا « عاقصة » و « عيروض » يطير إلى جواره ، امتلاً قلبه بحماس شاب ، وعاد اليه ذلك الاحساس القديم من القلق والتوتر ، الممزوجين بالرغبة في تحدى المجهول ومواجهة الخطر . . وأحس بالحزن وهو يتراجع عن نفسه تدريجياً ، ليترك مكانه لروح العزم والتصميم ، واقترب « عيروض » منهما ليحمله بدلاً من « عاقصة » لتستريح بعض الوقت ، وسرعان ما أحس الملك « سيف » بنفسه فوق كتفى خادمه الأمين الذى طالما حمّله عبر الاخطار ، واجتاز به المهالك ، وقالت « عاقصة » وهى تطير إلى جواره :

- بعد قليل سننزل إلى غابة قريبة ، لتستريح بعض الوقت ، ونحضر لك طعامك

وقال لها الملك « سيف » :

- وما حاجتى إلى الطعام ، ان كل ما أريده هو أن أجد نفسى ، فى جزيرة البنات . .

فقالت « عاقصة » :

- وكأنك تستعجل الهلاك ، انك ان وصلت إلى الجزيرة ، لن تستطيع أن تعبر من بابها ، لان على بابها تمثالاً مرصوداً له ثلاثمائة وستون من الاعوان . . أن عبر من باب المدينة ذكر يصبح ، ويصبح لصيخته

أعوانه، وهم يرددون : ذكر دخل المدينة واسمه فلان ، بل وهم يعددون مكان وجوده ، فاذا ما سمع أهل المدينة منهم ذلك ، انطبقوا عليه ، يقطعونه بالسيوف بلا سلام وبلا كلام ، وأهل المدينة كلهم نساء ، ليس فيهن ذكر ، الا ملكهم ، وهو الملك العبوس أبو « منية النفوس » زوجتك ، ولا تطمع نفسك فيهن ، فكلهن فارسات مدربات يتميزن بالشجاعة والاقدام ، ويخضن المعامع ، ويصطلين بنار الحروب . .
فقال الملك « سيف » :

- اذن فهذا هو سر تسمية الجزيرة بجزيرة البنات . . لقد حسبت أول الامر ، أنه مجرد اسم كالاسماء ، ولكن ها أنت تقولين أن الجزيرة فعلا لا يسكنها الا البنات
فقال « عاقصة » :

- ان لهذه الجزيرة حكاية غريبة ، سأحكيتها لك على الطعام ، أما الآن فسأتركك لأبحث عن مكان آمن تبيت فيه . .
وسرعان ما اختفت من أمامه ، مسرعه في الطيران ، وهي تتطلع إلى الأرض . .

* * *

وكان الملك « سيف » غارقا في افكاره ، حين أحس بنفسه يهبط تدريجيا إلى الأرض ، فالتفت ليجد « عاقصة » تشير إلى « عيروض » بالنزول ، وقد أخذت السماء تكتسى بحلة داكنة والشمس تغيب عنها تدريجيا . . وحين نزل « عيروض » إلى الأرض ، وجد الملك « سيف » نفسه وامامه مائدة كاملة من الطعام المعد ، فأقبل على الطعام بشهية مفتوحة ، ورغبة تأججها روح المغامرة التي أحس بها تدفع الحرارة في جسده . وجلست « عاقصة » إلى جواره ، وهو يأكل تقص عليه قصة

المدينة الغربية ، وقالت « عاقصة » :

- تقع هذه الجزيرة في آخر جزر واق الواق ، وكان بها ملك اسمه «كافور» يحكمها بالعدل والرعاية . . وحين أحس بدنو الأجل بنى مدينتين عظيمتين ليحكمها ولداه الذكيران «عاصم» و «قاسم» حتى لا يختلفان بعد موته . . ونصب كل منهما ملكا على مدينة وأسماها باسمه ، وأوصاهما بأن يكونا مثل رجل واحد بعد موته ، وطلب منهما الزواج لينصلح حالهما ويستقيم أمرهما . وحين مات الملك «كافور» نفذ الاخوان وصيته فأقاموا وزير أبيهم نائبا على الجزيرة وتزوجا من ابنتى الوزير ، ثم غادر كل منهما الجزيرة مع حاشيته إلى مدينته . . وظل كل منهما يحكم فى مدينته وهما يتزاوران ويتعاطفان ، إلى أن جاءتها البشائر أن زوجة كل منهما قد حملت ، فعم السرور المدينتين ، وملأت بشائر الافراح جزر واق الواق كلها ، وجعلا ينتظران ما تأتى به الاقدار ، وكل منهما يعلق كبير الامل على المولودين . ووضعت زوجة «قاسم» العبوس بنتا ، بينما وضعت زوجة اخيه عاصم ولدا ذكرا ، وأقام كل منهما وليمة كبيرة ، حضرها أخوة حاشيته ، وقال «عاصم» لـ«قاسم» «كأنها يعزىه :

- يا أخى نحن لا نستطيع أن نعاند القدر ، فالولد والبنت سواء ، فاذا

ما كبرت ابنتك ، واشتد عود ابنى تزوجا ، ويحكمان المدينتين سويا . .

ألا أن «قاسم» أحس بكلمات أخيه كالطعنات توجه إلى قلبه ،

وأخفى عواطفه بمجهود كبير ، وهو يقول لـ«قاسم» :

- لنترك هذا الامر تحدده الأيام ، وتحكم فيه الظروف . .

وأستأنفت «عاقصة» حديثها للملك «سيف» قائلة :

- ومرت الأيام ، وكبر الاثنان وأرسل «عاصم» يخطب بنت أخيه

لولده ، فرحب بالرسول وأكرمهم ، وقد أحس عبئا ثقيلا يزرع على قلبه ،

فذهب متثاقلا إلى ابنته يشاورها في الأمر . . إلا أنه أحس بالراحة تعود إلى نفسه حين قالت له ابنته :

- ومن أنباك يا أبى أنى أريد الزواج ؟ . . أننى لن أخرج من مدينتى ، وليست لى رغبة فى ابن عمى أو فى غيره من الرجال ، وإن ارغمتنى على الزواج قتلت نفسى !

وهكذا عاد راضى النفس إلى رسل أخيه ليخبرهم بقرار ابنته وقال لهم : - لست أستطيع أن أرغمها على مالا تحب ، فليس لى سواها وأخشى أن تلحق الضرر بنفسها ، ولو رضيت بالزواج ، فليس لها خير من ابن عمها . .

وحينما علم « عاصم » بما قاله أخوه وابنته ، امتلأ قلبه بالغضب ، وأقسم أن ينتقم منها انتقاما مرا ، فأحضر حكماءه وكهانه وأمرهم أن يفكروا فى بدعة غريبة ينتقم بها من أخيه ، وأن تظل مذكورة على مر الأيام . . وخلا الحكماء والكهان لانفسهم أياما ، وعادوا ليخبروه أنهم توصلوا إلى شىء جديد لم يسبقهم إليه أحد ، وهو أن يجعلوا جميع البنات الذين فى مدينة أخيه يأتون إلى مدينته ، بحيث لا يبقى فى مدينة أخيه سوى الذكورا

وفرح الملك « عاصم » بهذا الانتقام ، وأمرهم بالبدء فى تنفيذ فكرتهم فى الحال . وهكذا اختلى الحكماء والكهان بانفسهم ، أربعين يوما كاملة ، ثم ذهبوا وسط المدينة ومعهم تمثال من الشمع على هيئة فتاة جميلة ، فبنوا حولها قبة عظيمة من الرخام ، وأحاطوها بسبعة دوائر بعلموم الاقلام ، ثم تحلقوا حول القبة ، يعزمون ويدمدمون ، إلى أن انتصف النهار . . فاذا بأبواب مدينة « قاسم » تفتح على مصاريعها ، وتخرج بنات المدينة منها صارخات ، وهن ذاهلات ، يجرين فى اتجاه مدينة «عاصم» حتى يقفن

أمام الحكماء في المدينة ، ففرح الملك « عاصم » بهذا الأمر ، وأنعم على الحكماء وأمرهم أن يحيطوا المدينة بالارصاد حتى لا تخرج النساء منها ابدا ، ولا يدخل اليها الذكور ، ولا يصل اليها الغريب ، فمضى الحكماء يجتهدون في تنفيذ ما طلبه الملك « عاصم » . .

وكان الملك « سيف بن ذى يزن » قد انتهى من عشائه ، وقام وهو يقول له « عاقصة » :

- ان هذا لأمر غريب لم يسمع به أحد من قبل . .

فقالت « عاقصة » :

- ان الإنسان يا أخى اذا تحكم الشر في قلبه ، كان أقسى على أخيه منا معشر الجن عليه .

وقد ولد ما فعله « عاصم » في نفس أخيه « قاسم » مرارة كبيرة ، فكان انتقامه من أخيه أشد قسوة ثم التفت إلى « عيروض » قائلة له :

- اذهب يا « عيروض » فاجمع لنا حطبا ، وأشعل للملك « سيف » نارا يستدفئ بها فان برودة الليل قد بدأت تشتد ، وسأعد أنا له فراشه ، وعند الفجر نستأنف سيرنا . .

وتركها الملك « سيف » يقومان بها فرضاه على أنفسهما من عمل ، وجعل يتمشى على حافة الغدير ، وهو يتأمل في مياهه التي تنعكس عليها أشعة القمر الذى بدأ يصعد إلى السماء تدريجيا ، ويفكر في أمر هذه المدينة الغريبة ، ويعجب مما يسببه الغضب في نفوس الاخوين ، وكيف يحيل عاطفة الاخوة العذبة إلى كراهية مدمرة ، تصيب بشرها الابرياء الاخرين من سكان المدينتين الذين لا ذنب لهم فيها بين هذين الاخوين من خلاف . . وحين عاد الملك « سيف » إلى حيث جلست «عاقصة»

و« عيروض » وجد النار قد اشتعلت مشعة الدفء والامان ، بينما أقيم إلى جوارها فراش متواضع ولكنه مريح فتخفف الملك «سيف» من ملابسه ، واضطجع على الفراش ، وإلى جواره « عاقصة » وعند قدميه «عيروض» . . وكانت عيناه تتبعان الظلال المتراقصة حول النيران ، وهو يقول لـ « عاقصة » :

-أكملى حكاية المدينتين يا « عاقصة » :

فقال « عاقصة » :

- عندما علم الملك « قاسم » بما حدث لمدينته ، ركب الغضب ، فأسرع يجمع حكامه وكهانه ، وأمرهم أن يردوا على مكيدة أخيه بأن يجمعوا في مدينته الذكور ، بحيث لا يبقى في مدينة « عاصم » سوى الملك وحده مع البنات ، وظل حكام الملك « قاسم » في عملهم أربعين يوما ، ثم خرجوا إلى الملك يخبرونه بأنهم قد اتموا عملهم ، فأمرهم الملك « قاسم » بالبدء في التنفيذ وسرعان ما فتحت أبواب المدينة الأخرى ، وخرج منها جميع الرجال صارخين إلى أن دخلوا مدينة « قاسم » ، بينما خلت مدينة «عاصم» من كل الرجال ، ولم يبق بها سوى الملك نفسه وحده ، في مدينة لا يسكنها الا البنات وأسرع الملك « قاسم » يقتل الحكماء والكهان الذين جاءوا مع الرجال مسحورين من مدينة أخيه ، جزاء لهم لما اقترفوا في حق ابنته ، وأمر حكامه فأقاموا حول مدينته أسوارا تحرسها تماثيل مطلسمة تمنع دخول أى أنثى إلى المدينة ، ثم جعل الحكماء بين المدينتين عينا جارية من الماء ، رصدوا ماءها بعلوم الاقلام ، بحيث لو استحممت فيها امرأة أصيبت بداء يدهلها عن نفسها ، ويدفع الحرارة في جسدها فإذا ما خرجت من عين الماء لم تعرف لها طريقا ، فتصبح الارصاد على أبواب مدينة الرجال ، مخبرة بمكانها وباسمها فيخرج اليها الرجال من المدينة ،

ويأسرونها ويضعونها في أكواخ بالغابة ، ولا يفكون أسرها حتى تموت . . .
وقال الملك « سيف » وقد بدأ النوم يداعب جفونه :
- واصبح الملك « عاصم » وحده في مدينة البنات . . ترى كيف
يمكن لرجل وحيد أن يعيش بمفرده في مدينة من البنات ؟
فقالت « عاقصة » وهي تسوى الغطاء حول كتفى أخيها وقد بدأ برد
الليل يشتد :

- لقد تحمل الأمر في بدايته بشجاعة ، فأخذ ينظم صفوف البنات ،
ويعلمهن الفروسية والرماية ، حتى يحمين أنفسهم من أى عدوان على
مدينتهن ، إلا أنه بدأ يحس بوطأة الحياة عليه ، ويحاول الاتصال بأخيه
لوضع حد لهذا الشقاق بينهم دون جدوى ، وطلال به الأمر حتى أصابه
الخبال ، فقتل بنفسه من أعلا أسوار المدينة ، حيث مزقت الصخور
جسده ومات .

فقال الملك « سيف » :

- وهكذا غدت المدينة دون ذكور نهائيا . . ما أقسى هذه الميته التى
فرضها « قاسم » على أخيه . أنى لأتحيله وسط هذا الجمع الحاشد من
النساء حائرا ، ضائعا ، لا يسمع له أمر ، ولا يطاع له كلام ، كأنه مخلوق
غريب ، يعيش فى دنيا لا يعرفها ، وسط حيوانات مخيفة طال أسرها ثم
انفكت فجأة من أسرها لتصبح سيدة نفسها وسيدته . . لقد كان الموت له
راحة . .

قالت « عاقصة » :

- أما أخوه « قاسم » فلم يعد ينعم بالراحة من بعده ، ذلك أنه كان قد
قتل حكماء مدينة « عاصم » وكهانها ، الذين صنعوا الارصاد من حولها ،
فلم يعد يستطيع أن يرى ابنته ، ولا أن يعيد الحياة إلى مجراها الطبيعى فى

المدينتين بعد موت أخيه ، وحاول الحكماء في مدينته ، أن يفكوا الطلاسـم حول مدينة « عاصم » دون جدوى ، بل تعرض كثيرون منهم للموت أثناء هذه المحاولات .

فحاول الملك « قاسم » أن يجد طريقة أخرى ، للاتصال بابنته « منية النفوس » التي كبرت ، وسادت مدينة البنات وحكمتها بعد موت عمها ، فجمع الحكماء وكلفهم بمحاولة الوصول إلى حل ، دون التعرض لما فك الطلاسـم من مخاطرة . وظل الحكماء فترة طويلة يقبلون الرأي ، ويحكمون التدبير ، ثم ذهبوا إلى الملك ليخبروه بما اسفرت عنه حيلتهم ، وما توصل إليه اجتهادهم . . . قالوا للملك :

- اننا أربعون من الحكماء والكهان ، سيصنع كل واحد منا ثوبا من الحكمة اذا ارتدته صاحبتة ، وأغلقت أزراره ، استطاعت أن تطير في الهواء مخترقة الارصاد دون أن تؤثر فيها ، واستطاعت أن تقطع المسافة التي يقطعها السائر بالجمال في سنة كاملة في قدر ساعة واحدة من الزمان وكان سرور الملك زائدا حتى لقد انعم على حكائمه الاربعين ، وأمر لهم بالجوائز السنية ثم أمرهم أن يبدءوا في صناعة الثياب الريش فورا وقال الملك « سيف » لـ « عاقصة » وهو يتشاءب :

- ثياب من الريش تقطع مسيرة عام في ساعة . . ان هذه لأرض الحكمة ولا شك . . ولا عجب أن استطاعت « منية النفوس » أن تطير من حمراء اليمن ، إلى جزيرة البنات في سهولة ويسر ، فمن امتلك مثل هذا الثوب ، أصبح كل مكان في العالم - مهما بعد - ملكا له .
« فقالت « عاقصة » :

- لقد كان هم الملك « قاسم » الوحيد ، هو أن يرى ابنته ، وأن يتيح لها من المتعة ما يعوضها عن معاشره الرجال ، فأرسل لها الثياب مع أحد

أعوان الجان - سكان هذه المنطقة - وارتدت « منية النفوس » الثوب الريش ، وطارت إلى مدينة أبيها ، ودخلتها دون أن تتصايح عليها الارصاد . . وتأكد الملك « قاسم » من نجاح ما دبره الحكماء ، وأوصى ابنته وعلمها كيفية تدبير الحكم ، وتوجهها ملكة على مدينة البنات . . ثم عادت « منية النفوس » إلى مدينتها ، فاختارت من البنات من اتصفن بالشجاعة والجمال واعططن ثياب الريش ، وجعلت تدرهن على استعمالها ، واتخذت منهن حاشية خاصة ، يصحبنها في نزهاتها ورحلات صيدها بعيدا عن جزر واق الواق . وقد اتخذت « منية النفوس » لها أكثر من مكان ، تقضى فيه أوقات متعتها ، وحددتها لابيها ، الذى امر حكماء أن يرصدوها بعلوم الاقلام ، حتى لا تطأها قدم غريبة فقال الملك « سيف » وهو يتأهب للنوم ، وصور لقاؤه بالملكة « منية النفوس » تعود إلى ذهنه ، وتبدو أمام عينيه :

- ومن هذه الاماكن ، ذلك البستان المرصود ، الذى أسرتها فيه . .
فقالت « عاقصة » :

- وما كنت لتأسرها ، لولا أن سرقت ثوبها منها ، ثم حملتها على مطاردتك خارج البستان المرصود . .

فقال الملك « سيف » :

- نعم . . لقد كان الفضل في هذا يرجع اليك ، ولولاك ما تمكنت منها . .

ثم أخذت صورة « منية النفوس » وهى تجرى خلفه لتلحق به في البستان المرصود تملأ خياله ، واختفت لتحل محلها صورته وهو عند البحيرة مخنف وسط الماء ، يشهدا تسبح هى وتابعاتها الجميلات ، وقد خلعن ثياب الريش ، ثم اختفت هذه الصورة لتحل مكانها صورة

حبيته إلى نفسه . . صورة « منية النفوس » وهي تحتضن ابنها وابنه « مصر »
وتقبله في حنان . وكانت الصورة تبتعد عنه وتبتعد ، وهو يحاول أن يطلب
منها أن تنتظر ، ومد يده ليلمسها ، ولكن يده الثقيلة لا تتحرك ،
والصورة تبتعد وتبتعد . .

وقالت « عاقصة » :

- أنمت يا أختي : : ١٩

ولم يرد « سيف » فقد كان في سبات عميق . .

فقال « عاقصة » لـ « عيروض »

- لينم كل منا فترة من الوقت لتتناوب حراسته حتى الصباح . .

ظلت رحلة « سيف بن ذى يزن » خمسة أيام وخمس ليال : و«عاقصة» و « عيروض » يتناوبان حمله . . فإذا ما حملته « عاقصة » آتاه « عيروض » بالطعام وبالشراب ، وإذا ما حمله « عيروض » طارت «عاقصة» إلى جواره، تقص عليه الغرائب والعجائب ، من أمر جزائر واق الواق وما حدث لاهل جزيرة البنات ، وتصف له الطلاسم والأرصاء التى حرمت على الأنس والجن ، من غير أهل هذه الأرض ، أن يقتربوا منها ، أو يجوسوا خلالها حتى أقبلوا فى صباح اليوم السادس ، على جبل عال سامق، فأنزلوه إلى ظاهره ، وأشارت « عاقصة » بيدها وهى تقول لآخيها :

- انظر أمامك يا أخى ، وأخبرنى ماذا ترى ؟ . .

فقال الملك « سيف » وهو يمدق النظر فى الأفق البعيد . .

- لست أرى سوى شىء أسود ، لا أكاد أتبين ملامحه مع غبش

الصباح . .

قالت «عاقصة» :

- وهذه يا أخى أول جزائر البنات . . وعند هذا الجبل ، نقف

عاجزين عن مواصلة السير معك

فقال الملك « سيف » :

- اذن فانتظرانى ها هنا ، فسأذهب لأواجه المقدر على . . عسى أن

يحقق الله لى أمل . .

وتودع الملك « سيف » منها ، وسار وحده متجها إلى ذلك الشيء الأسود الذى لمحّه يبدو فى الأفق . . وكان كلما قطع فى الطريق مرحلة ، أحس أن هدفه يبعد عنه بمثل ما قطع من الطريق ، إلى أن توسطت الشمس كبد السماء ، وأشدت هجيرها ، وزادت حرارتها ، وبدأ الملك « سيف » يجس بالعطش والجوع . . وكلما تقدم فى سيره ، ازدادت خطواته بطئا ، وزدادت خطواته ثقاقلا ، وتفصد العرق من جبينه وغمر جسده ، والطريق حوله وأمامه خال الا من الرمال والصخور ، التى تتوهج بانعكاس أشعة الشمس المحرقة عليها . . إلا أن الملك « سيف » استمر فى طريقه وهو يجير قدميه جرا ، وقد ثيقن أنه أن وقف فى مكانه هلك . .

* * *

مضت ساعات النهار بطيئة متناقلة ، وهى تحمل للملك « سيف » مع كل لحظة من لحظاتها ، مزيدا من الألم ومزيدا من العذاب . . وبدأت قواه تنخور ، وبدأت خطواته تتعثر ، كما اشتد جفاف حلقه ، وقد أحس أن لسانه قد تضخم فى فمه ، حتى غدا يؤله ، وكان الملك « سيف » يتهاوى إلى الأرض ، حينما لمح من بين الضباب الذى يججب عن عينيه الرؤية ، شبح كوخ أبيض ، يظهر له من بعيد ، فانتعش فى نفسه الأمل ، وبدأ يستجمع قواه ، ليتحامل على نفسه قاصدا اليه ، الا أن شكها عاصفا ملأ قلبه ، وكاد يذهب بعزيمته ، ويطفى الأمل الذى توهج فى نفسه . . فماذا لو كان هذا الكوخ صورة من الصور التى تحدع بها الصحراء ، من عذبتهم بنار حرها ، وسيطرت عليهم بسلطان الظمأ والجوع . .

وعاد الملك « سيف » يتهاوى إلى الأرض ، وقد أحس راحة فى أن يستكن مكانه وينام ، وليحدث بعد ذلك ما يحدث ، وأغمض عينيه ، ثم عاد ليفتحهما فى ضعف وثخاذل ، وهو يخشى أن ينظر إلى حيث رأى

الكوخ أول مرة ، إلا أن دهشته اشتدت ، حين أبصر بالكوخ في مكانه . .
وبدأت الحقيقة تغزو ذهنه المتعب تدريجيا ، لتؤكد له أن ما يراه حقيقة ،
وليس سرا . . وانبعثت فيه قوة جديدة ، ملأت قلبه بالأمل ، ودفعت في
عروقه الدماء فأسرع يجرى لاهثا ، متعثرا في خطواته نحو الكوخ .

* * *

عندما وصل الملك « سيف » إلى الكوخ ، كان قد استنفد آخر ذرة من
قواه ، ولم يتنظر حتى يستجمع أنفاسه ، وأنها اندفع نحو باب الصغير ،
يطرق عليه بشدة ، وهو يلهث تعباً وإعياء . . وبين احساسه بالثقل
الذي أخذ يرين على عقله ، فيطمس قدرته على التفكير ، والضباب
الذي أخذ يتكاثف أمام عينيه ، فيحجب عنهما الرؤية ، سمع صوتا
هادئا وقورا ، وكأنها يأتي من جب عميق . . يقول له :
- مرحبا بك أيها الملك « سيف بن ذي يزن » الذي طال ارتقابه وامتد
انتظاره .

ثم لم يعد يحس بشيء سوى أن هناك يدين رحيمتين تبللان جبهته
الملتهبة ، وتصبان قطرات الماء المعطر بين شفثيه ، ووجه رقيق يخنفي وراء
لحية بيضاء رقيقة - وتطل منه عينان حائيتان - يطل عليه في عطف
ورعاية . . ثم لم يعد يدرك من حوله شيئا .

حين أفاق الملك « سيف » وجد نفسه ممددا ، وقد خففت عنه ثيابه ،
وحجب لهيب الشمس عنه سقف الكوخ الصغير . . وحول عينيه ينظر
إلى ما حوله ، وكان أول ما التقت به عيناه ، اناء كبير يترجرج فيه الماء ،
فهب مندفعاً نحوه ، وقد عاد إليه احساس مرير بالظلمة القاتل ، وما
كادت يداه تلمسان الاناء ، حتى سمع صوتا هادئا يقول له :

- رفقا بنفسك أيها الملك ، وحذار أن تندفع إلى شرب الماء ، فتضر نفسك . .

فتوقفت يدا الملك « سيف » وهو يتذكر أنه سمع هذا الصوت من قبل حين طرق باب الكوخ ، واندفعت يده بحركة غريزية تبحث عن مقبض حسامه ، ولكنه لم يجده مكانه . . وسرعان ما عثرت عليه عيناه القلقتان معلقا على حائط الكوخ فوق رأسه ، حيث كان ينام وسمع صوت ضحكة هادئة ، والصوت المتزن الوقور يقول له :

- لا داعى للحذر ، فأنت هنا في كوئحك . . وما جعل هذا المكان ، الا ليسهل لك امرك ، ويذل أمامك الصعاب التى ستعترضك . . فأجفل الملك « سيف » وقد اشتدت دهشته ، وتعاطمت حيرته . .

والتفت نحو مصدر الصوت حيث رأى فى جانب الكوخ شيئا وقور السميت ، مهيب الطلعة ، لحيته البيضاء الناصعة تغطى صدره ، وعيناه المتألفتان يفيض منها فيض حنان ومحبة . . وتذكر الملك « سيف » اليد الرقيقة الحانية التى كانت تبلل جبهته المحمومة ، والوجه الرقيق الحانى الذى كان يطل عليه وسط غيبوبته ، فعادت الطمأنينة إلى قلبه ، وعاد الهدوء إلى نفسه ، وقال :

- أنت الذى كنت ترعانى . . ١٩

وهز الشيخ رأسه وهو يقول :

- اشرب من الماء أيها الملك على حذر ، وستعرف كل ما تتوق إلى معرفته بعد أن تنال قسطك من الطعام ، وتسترد قواك الذاهبة . .

وتقدم الشيخ إلى جانب الكوخ ، وعاد يحمل فى يديه أوانى الطعام ، يضعها أمام الملك « سيف » الذى رفع اناء الماء إلى شفثيه ، وأخذ يمتص قطراته على جرعات صغيرة متباطئة . . ومع قطرات الماء ، عاد احساسه

بالامان يسيطر عليه ، واخذ ذهنه يصفو وهدأت أعصابه . . وحين نظر إلى الطعام امامه ، أحس بجوع شديد ، فامتدت يده إلى الطعام يأكل في اشتها ورغبة . . وأخذ أثناء أكله يعجب من هذا الطعام المتقن الصنع ، كيف وجد في هذا الكوخ الذى لا تبدو فيه أى أدوات من أدوات الطبخ ومن أين هذا الماء العذب وكيف اتى إلى هذا المكان المجدب ، وسط هذه الصحراء القاحلة . . وتنبه إلى أن هذا الشيخ العجوز ، يقيم وحده في هذا الكوخ المنعزل عن العالم وهو يبدو هادئ البال ، باسم الوجه ، نظيف الثياب . . ورفع رأسه عن الطعام لتلتقى عيناه بالعينين اللامعتين ، وتذكر انه حين طرق الباب ، اجابه صوت مرحبا به ، ذاكر اسم ولقبه ، وشيئا عن انتظاره وتوقعه ، وكأنها يقرأ الشيخ العجوز أفكاره . . اذ ما كادت هذه الاسئلة تتوارد إلى ذهنه ، حتى قال الشيخ :

- نعم يا بنى . . اننى هنا فى انتظارك منذ زمن بعيد ، وقد أقيم هذا الكوخ باذن المولى القدير ، ليكون فى طريقك إلى جزر واق الواق ، حتى اسلمك أمانة حملتها اليك ، لتعينك على بلوغ ما تريد

فقال الملك « سيف » :

- ولكن ، كيف استطعت أن تقيم وحدك هنا وسط هذه الصحراء الجرداء ، ومن أين لك بالطعام والشراب ، وكيف تمضى حياتك ، وأنت وحيد لا انيس لك . . ١٩ .

فعادت الضحكة الهادئة تنطلق من بين شفتى الشيخ ، وهو يقول :

- اننى اقضى حياتى يا بنى فى ذكر الله والصلاة له ، وعبادته وحده ورزقى يأتينى من عنده كل يوم . . .

فقال الملك « سيف » متلهفا :

- وأين هى هذه الأمانة التى تتحدث عنها ، والتى تعيننى على الوصول إلى زوجتى وابنى ؟ . . .

فقال الشيخ :

- ان انقاذك لزوجتك وابنتك ، ما هو الا سبب ظاهر لرحلتك إلى جزيرة البنات . . أما الحقيقة ، فهي أنك مكلف برسالة ، تقوم بها في هذا المكان ، تقضى فيها على البدع ، وتحارب الكفر ، وتجري في الناس سنة الله . . .

ودهش الملك « سيف » مما يسمع ، وانتابته الحيرة . . ولكنه أثر الصمت حتى يعرف كل ما لدى هذا الشيخ الهادئ الوقور قال الشيخ :
- سأتركك لتأكل طعامك ، وتروى نفسك من الماء ، ثم تنال قسطك من النوم استعدادا لما هو امامك من مشاق وصعاب ، وسأعود اليك حين تستيقظ ومعى ما لدى من الذخائر أمانة لك . .

وقبل أن يرد الملك « سيف » أو ينطق الاسئلة التى تدافعت على طرف لسانه ، كان الشيخ قد اتجه إلى باب الكوخ ، وفتحه ثم خرج ، مغلقا اياه وراءه ، تاركا الملك « سيف » وحده . . مع افكاره وطعامه وشرايه !

* * *

حينما استيقظ الملك « سيف » من نومه ، كان يحس بالراحة تملأ نفسه ، وبالحياة تتدفق في عروقه . وكان أول شعاع من الشمس الوليدة ، يتسلل عبر نوافذ الكوخ فهب من رقدته ، واحساس بالمرح يطغى على كل نفسه . . وفى جانب من الكوخ ، وجد أناء كبيرا من الماء ، لم يره من قبل ، فحملة إلى خارج الكوخ حيث صافحت رثيته نسبات الفجر الرقيقة ، فاغتسل وتطهر ، وعاد خفيفا جدلانا إلى داخل الكوخ ، حيث وجد أمامه طعام الافطار ، موضوعا مكان عشاء الأمس

وكان واثقا أن أحدا لم يدخل الكوخ اثناء اغتساله ، وكان مستعدا أن يقسم ، ان هذا الطعام لم يكن موجودا بالامس ، إلا أنه لم يشغل نفسه

بالبحث والسؤال ، فقد أحس بالجوع ، وأغراه منظر الطعام ، فاندفع
يتناول افطاره في شهية ، وقد قرر أن يترك الامور تفسر نفسها بنفسها . وما
كاد الملك « سيف » ينتهي من افطاره ، حتى فتح الباب في هدوء ،
ودخل الشيخ حاملا بين يديه أشياء كثيرة ، والقى إلى الملك « سيف »
بتحية الصباح ثم قال :

- هذه ذخائرك يا بنى ، وقد أن أوان رحيلك . .

فقام الملك « سيف » من مكانه ، وأخذ يرتدى ثيابه ، وهو يقول :

- أنا مستعد للبدء في الحال يا أبى . .

فتقدم الشيخ ، وحمل « بقجته » كبيرة من فوق الأرض ، وقدمها

للملك « سيف » قائلا :

- هذه لك . . وهى أول الذخائر ، التى ستعينك على أمرك

وفتح الملك « سيف » البقجة فاذا فيها بدلة حريرية مزركشة بالذهب
والفضة وهى من ملابس النساء ، ووجد معها أكرة وصولجانا مما يستخدم
في الالعاب

وقبل أن يسأل الملك « سيف » عن فائدة رداء النساء له ، قدم له

الشيخ زمردة خضراء قائلا :

- وهذه ذخيرتك الثانية . .

وقلب الملك « سيف » الزمردة في يده ، حائرا في فائدتها ، ورفع رأسه

ليسأل الشيخ ، ولكنه رآه يقدم له قدحا صغيرا ويقول :

- وهذه ذخيرتك الثالثة ، ولم يبق لك معى سوى هذا اللوح . . وهو

شبيه بلوحك الذى تحمله ويستخدمه « عيروض » . . الا أن « عيروض »

لا مكان له في هذه الأرض ، وسيحل خادم هذا اللوح الجديد في خدمتك

واسمه « الخيرقان » محل « عيروض » حتى تنتهى مهمتك في جزائر واق

الواق فترد له لوحه وتطلقه من الاسر ، فهو موعود بهذا على يديك . .
فقال الملك « سيف » وهو يقلب هذه الهدايا بين يديه :
- اللوح ، وعرفنا فائدته . . . فما فائدة هذا الأشياء الأخرى . . ؟
فقال الشيخ :

- أما القدرح ، فحين تجوع : فضع عليه فوطة واطلب ما تريد من
طعام ، فستجده معدا جاهزا . . أما الزمردة فان وضعتها تحت لسانك
جنبتك الظمأ ومنعت عنك العطش ، وأما البدلة فسترتديها لأنك مسافر
إلى جزيرة البنات ، وستعرف فائدتها في حينها وكذلك الاكروه
والصوجلان . . والآن توكل على الله يا بنى . .
فقال الملك « سيف » :

- جزاك الله خيرا ، أيها الشيخ التقى ، وأنى لاسألك الدعاء لى . .
فقال له الشيخ :

- وانى أدعو الله أن يقضى حاجتك ، وأن يعز كلمته على يديك واذا ما
أحزبك ، وضايقتك عارض فادعنى أكن إلى جوارك . .
قال الملك « سيف » :
- وما اسمك يا أبى ؟ . .

قال الشيخ وهو يحتضنه مودعا :

- اسمى « أبو النور الزيتونى » ، والآن حفظك الله يا بنى ووفقك . .
وخرج الملك « سيف » من الكوخ ، وسار مبتعدا عنه . . والشيخ
الوقور ، يقف بلحيته البيضاء يلوح له بيده ، وهواء الصباح المنعش يهون
له السير ، ويبعث فى نفسه النشاط والقوة ، حتى غاب الشيخ والكوخ
عن ناظره ، وبدأ حر الشمس يلفح وجهه ، فأخرج اللوح الذى أعطاه
له الشيخ « أبو النور » وذلكه برفق ، فتصايح الجو حوله بصرخة المارد

ويقول :

- نعم يا ملك الزمان . .

قال الملك « سيف »

- أنت « الخيرقان » ١٩ . .

فقال الجنى :

- نعم أيها الملك « سيف » أنا ملك ملوك الجان في هذه البلاد ، وقد

وعدت بحريتي على يديك . .

فقال الملك « سيف » :

- وستنال هذه الحرية ، عندما انتهى من مهمتى في هذه الجزائر ، فهيا

احملنى إلى جزيرة البنات . .

قال « الخيرقان » :

- ان جزيرة البنات أيها الملك تقع في نهاية جزر واق الواق - وهى سبع -

سنمر عليها واحدة واحدة ، فالطريق طويل ، والرحلة شاقة . .

قال الملك « سيف » :

- اذن ، هيا بنا لنبدأ سيرنا ، فكفى ما ضاع من وقت . .

فأحنى المارد رأسه فى طاعة ، وحمل الملك « سيف » على كاهله

وسرعان ما انطلق به فى أجواز الفضاء نحو جزائر واق الواق .

ظل الملك « سيف » طائرا بين السماء والأرض فترة طويلة ، وهو مشغول عن رؤية ما يمر به من جبال وأنهار ، بأفكاره التي ملأت عليه نفسه وشغلت قلبه ، فألتهته عن كل ما يمر به من معالم . . كان يعجب من هذه الاحداث التي تمر به ، فاذا هو مرة على حافة الهلاك ليس بينه وبين الموت الا أقل من شعره ، تدفعه الشمس دفعا إلى قبره ، ويكفنه الزمأ تكفيننا في لحده ، واذا هو مرة أخرى مليئا بالامل ، زاخرا بالحياة ، مسبتشرا بالغد يطير بين السماء والأرض ، نحو رحلة مجهولة .

وأحس الملك « سيف » بنفسه يقترب من الأرض تدريجيا ، فانتبه من أفكاره وقال « للخيرقان »
- هل وصلنا ؟ . .

وقال « الخيرقان » وهو ينزل به إلى الأرض :

- هذه أيها الملك ، أول جزائر واق الواق ، وسننزل بها قليلا لنتراح ثم نستأنف رحلتنا . . وحين وضع الملك « سيف » قدميه على الأرض ، أدهشه أن يراها خالية من كل أثر للحياة . . ليس فيها زرع أو ماء ، وليس بها سوى الصخور والرمال ، ولكن تقف في وسطها تماما شجرة كبيرة هائلة ، تضج بالحياة وسط هذا القفر الموحش ، خضراء ناعمة . . فاتجه « سيف » نحوها ، فاذا هي محاطة بسور من النحاس الاصفر ، يقف على بابه عمود طويل من النحاس ، وقد نقشت عليه نقوش غريبة ،

فالتفت الملك « سيف » إلى « الخيرقان » وسأله قائلاً :

- لست أرى في هذه الجزيرة سوى هذه الشجرة ، فمن أين لها بالماء . . ؟

قال المارد :

- ان أمر هذه الشجرة غريب ، فاذا ما جاء الخريف ، يستحيل لونها إلى الصفرة ثم إلى الحمرة ، وتسقط منها ورقة واحدة ، مكتوب عليها بقلم القدرة (لا اله الا الله . محمد رسول الله) وهو النبي الذي سيظهر في آخر الزمان ليهدى العالم إلى النور والايهان . .

فاذا ما سقطت هذه الورقة هرع الناس من سكان هذه الأرض إلى هذه الجزيرة ليحصلوا على هذه الورقة ، يستشفون بها ، ويستعملونها لانقاذ مرضاهم ، الذين يشعرون من شفائهم وعلاجهم . . فاذا ما اقتربوا من هذا السور ، لم يستطع أن ينفذ منه الا من حسن ايمانه ، وصفت نفسه ، وخلأ قلبه من الاثم والكفر . . أما ان اقترب من السور شرير أو كافر ، تصايح عليه من العمود المرصود صوت رهيب ، فيفقد وعيه ، ويظل هكذا حتى يحين موعد العودة ، فيفيق ليعود مع الآخرين ، ناجيا بنفسه

قال الملك « سيف » :

- ولكن كيف أقيم هذا السور ، ومن أين تستقى هذه الشجرة ؟

قال المارد :

- لقد أقام هذا السور ، الملك « جدكويل » بعلوم الحكمة والاقلام حتى لا يستفيد من ورقة الشجرة المباركة ، الا من كان جديرا بالايهان بما هو مكتوب عليه ، حتى لا يحصل أهل الشر على تراث أهل الخير . . اذ أنهم كانوا يزايمونهم حول هذه الورقة ، ويحصلون هم بمكرهم وخداعهم على الجزء الاوفى منها ، ولكن بعد أن أقام السور ، ترى الناس حولها

قسمين ، قسم مطروح في غيبوبة سميكة ، حول السور وخارجه ، وقسم آخر يفتسم بعدالة ومحبة ، ورقة الشجرة المباركة ، وقد صفت نفوسهم ونحلت قلوبهم من الحقد والتنافر .

وانجبه الملك « سيف » إلى السور ، ومر من الباب بجوار العمود ، حيث احتواه ظل الشجرة الوارف ، وجعل يتأمل أوراق الشجرة ، التي تشبه أوراق شجرة التين وقد ملأ نفسه سلام وهدوء ، وصافحت وجهه نسمات رقيقة عذبة . . ثم جلس تحت ظل الشجرة وقد أخذ يحس بالجوع ، فأخرج القدح وغطاه بالفوطة كما علمه الشيخ « أبو النور » ثم وضع يده اليمنى فوق الفوطة ، وهو يقول :

..بسم الله ، اثنتى بطعام ثريد . .

وما كاد يتم كلامه ، حتى أحس بالروائح الشهية تتصاعد من تحت الفوطة ، فرفعها ليجد تحتها اناء ضخما مليئا بالثريد وفوقه غزال مشوى ، فحمد الله . . ثم مضى يأكل أشهى طعام ذاقه منذ زمن طويل ، وحين انتهى من طعامه ، غطى بالفوطة الاناء وما تبقى فيه ، وأشار اليه بيده اليمنى قائلا :

..الحمد لله . .

وحين رفع الفوطة مرة أخرى وجد القدح كما هو ، فوضعه في مكانه بين أمتعته ثم استلقى تحت ظل الشجرة ، وأسلم نفسه للنوم . .

* * *

عندما استيقظ الملك « سيف » من نومه ، صاح على « الخيرقان » فأجابه وهو واقف خارج السور قائلا :

.. ان كنت قد استرحت يا مولاي فهل بنا ، نستأنف رحلتنا . .

فاتجه اليه الملك « سيف » قائلا :

- انى اريد منك أن تسير بى قريبا من الأرض ، حتى أرى غرائبها . .
فقال « الخيرقان » :

- أيها الملك ، ليس هناك بين الجزيرتين سوى الجبال والبحار . . اما
العجائب الحقيقية ، فهي فى الجزائر نفسها . .
فقال الملك « سيف » وهو يرتب ثيابه ويستعد للرحلة :
- اذن هيا بنا إلى الجزيرة الثانية . .
وحمله « الخيرقان » وطار به متجها إلى الجزيرة الثانية من جزر واق
الواق . .

* * *

أحس الملك « سيف » و « الخيرقان » ينزل به إلى الأرض فانتبه من
افكاره وتأملاته وأطل برأسه من فوق رأس « الخيرقان » فاذا به يشرف على
جزيرة أكبر فى حجمها من الجزيرة الأولى ، الا أن رءوس الاشجار تغطيها
حتى لا تكاد الأرض تبين من تحتها ، وكلما اقترب « الخيرقان » من
الأرض ، وضحت الرؤية أمام الملك « سيف » واذا به يكتشف فعلا أن
الجزيرة مثمرة ، واذا به يسمع صوتا غريبا كأنه صياح متفاوت النغمات ،
يزداد ضجة وعلوا ، كلما ازداد قرب الملك « سيف » حتى اذا ما نزل إلى
الجزيرة اضطر أن يضع يديه على أذنيه حتى يحميها من هذا الصراخ
المتتالى ، المتنافر النغمات ، الا أن دهشته اشتدت حين رأى ، ما تدلى من
هذه الأشجار ، من مخلوقات غريبة تصدر هذه الأصوات المنكرة ، وأخذ
يفرك عينيه فى ذهول ، وهو لا يكاد يصدق نفسه ، فقد تدلت من
الاشجار أجساد آدمية ، لها وجوه رجال قد نمت لحاهم وكثفت
شواربهم ، وهم يصيحون هذا الصياح المتقطع الغريب ، الذى أزعجه
عند اقترابه من الجزيرة

واقترب من إحدى هذه الأشجار ، يتأمل جسدا من هذه الاجساد
المدللة من أحد فروع الشجرة ، وقد وضع يده على مقبض سيفه ،
استعدادا للدفاع عن نفسه ، عند أى بادرة من بوادر الخطر ، الا أن هذا
الشيء المعلق لم يتحرك من مكانه ، ولم يكف عن صراخه ، وتأكد الملك
«سيف» أنه معلق بفرع الشجرة ، من شعره الكث الخشن ، الا أنه حين
زاد اقترابه منه ، اكتشف أن ما يراه ليس جسما حيا من دم ولحم ، انها هو
أقرب إلى النبات ، اذ يتكون من الياف ولحاء

وصاح ينادى على « الخيرقان » هو يبذل مجهودا كبيرا ليعلو صوته على
هذه الاصوات المنكرة التى تملأ الجو من حوله ، وجاء « الخيرقان » مهرولا
وهو يرفع هو الآخر صوته عن المعتاد ، ليبلغ ما يقول سمع الملك
«سيف»

- أتسأل عن شيء يا مولاي ؟ . .

- من الذى فعل بهؤلاء هذه الفعل المنكرة ؟ وكيف يعلق الرجال في
الأشجار ؟ . .

قال « الخيرقان » :

- ان هؤلاء أيها الملك ، ليسوا رجالا من الانس ولا من الجن وانما هو
نبات ينبت هذا الشجر ، لحكمة يريد الله خالق كل شيء ولا يطيق احد
أن يعيش في هذه الجزيرة ، رغم وفرة ما فيها من ثمار وانهار . . فلو قذف
البحر بعض البحارة المنكودين إلى هذه الجزيرة لجنوا واصابهم الهوس ، من
بشاعة الاصوات التى تطن ليل نهار ، صارخه معولة ، ومن بشاعة المناظر
التي تطالعهم اينما ولوا وجوههم في هذه الجزيرة ، ويظلمون ييمون على
وجوههم وهم يصرخون مثل هذه الصرخات التى يسمعونها ، إلى أن
يموتوا جوعا واعياء . .

قال الملك « سيف » :

- لقد بدأت بالفعل أفقد سيطرتى على نفسى ، لكأن هذه الثمار المعلقة تصرخ الما من عذاب مرير مجهول ، عذاب يائس ، بلا أمل فى فكاك . . ان أجسادهم بالفعل أجساد من ألياف النبات ولحاء الشجر ، ولكن وجوههم معذبة وصرخاتهم اليائسة تحمل كل العذاب الادمى . . وكأنى بهم أرواح شريرة يعذبها الله فى هذه الجزيرة الملعونة ، هيا بنا يا «خيرقان» فلم أعد احتمل . .

فحمله « الخيرقان » وطار به مسرعا من الجزيرة ، وأصوات الصرخات المتألدة تطن فى أذنيه وهو يطير مبتعدا عنها ، متجها إلى الجزيرة الثالثة . . ظل الملك « سيف » فترة طويلة طائرا بين السماء والأرض ، وهو يفكر فى أمر هذه الجزيرة العجيبة التى تضحج بصوت الالم ، ولا تعرف من الحياة سوى هذا الصراخ المتنافر الغريب ثم انتبه على صوت «الخيرقان» وهو يقول :

- هذه الجزيرة الثالثة فتحنتنا تماما . .

فقال الملك « سيف » وهو يتطلع إلى أسفل :

- اذن انزل بنا إليها . .

وطالعت عينا الملك « سيف » جزيرة كبيرة وسط الماء ، تنتشر فيها الأشجار فى تناسق جميل . . ولمح جدولا رقراقا ينساب فى هدوء ، وأشعة الشمس تنعكس على مياهه ، واستروحت رثناه رائحة عذبة ، تهب عليه من الجزيرة . . وكلما اقترب « الخيرقان » إلى الأرض ، ترامت إلى أذنى الملك « سيف » أصوات رخيمة عذبة ، كأنها ترتل أغنيات حزينة هادئة مليئة بالشجن ، حافلة بالأسى

وعجب الملك « سيف » أن يكون بهذه الجزيرة المنقطعة عن العالم ،

أحياء يغنون مثل هذه التراتيل ، الشجية ، وقبل أن يلتفت إلى «الخيرقان» ليسأله في أمر هذه الجزيرة وأمر الاصوات التى تصدر عنها، كان «الخيرقان» قد نزل به إلى الجزيرة ووضعه فوق أرضها ، ليشاهد ما أذهله وأنساه السؤال . . بل وأنساه وجود «الخيرقان» إلى جانبه ، فقد طالعتة وجوه حسان لفتيات ممشوقات القد ، ملفوفات القوام ، وقد امتلأت بهن الجزيرة من حوله ، وهن يقفن إلى جوار الأشجار ، يرتلن بأصواتهن الرخيمة العذبة أغنيات الشجن والاسى التى استمع اليها وهو يقترب من الجزيرة ، ولكنه لاحظ أنهن لا يتحركن من أماكنهن . . كما أثار انتباهه ، ان شعورهم الذهبية ترتفع إلى أعلا ، بشكل غير مألوف وجاءته ضحكة «الخيرقان» تقطع عليه ذهوله وهو يقول :

- انهن ثمار ، من لحاء وألياف كهؤلاء الرجال الذين تركناهم في الجزيرة

الثانية !

قال الملك « سيف » مندهشا :

- أهذه الحوريات الجميلات نبات حقا ؟

فقال « الخيرقان » :

- بل وثمار شهية لذيدة الطعم ، سائغة للأكلين ، تنبت في هذه الأشجار ، وتلتصق بفروعها بواسطة شعورهن . . وتظل تصدر هذه الاصوات الحنون حتى تزدوى وتسقط عن الشجرة إلى الأرض وتموت . .

قال الملك « سيف » :

- سبحان صاحب القدرة ، أتقول إن هذه المخلوقات ثمار تؤكل !؟

ولم يجب « الخيرقان » وإنما اتجه إلى احدى الثمار ، فاقتلعها من غصنها على الشجرة ، فكفت في الحال عن الغناء . . وظل يزيل عنها قشرها ، لتكشف عن ثمرة لها رائحة ذكية جميلة ، هى الرائحة التى تملأ الجزيرة

كلها ، وتتكون من فصوص طويلة متشكلة بشكل الجسد نفسه ، وانتزع « الخيرقان » فصا من هذه الفصوص وقدمه إلى الملك « سيف » فأخذه منه مترددا ، إلا أن الفضول غلبه على أمره فقضم من الفص قضمه صغيرة أخذ يلوكها في فمه في حذر ، الا أن حذره سرعان ما زايله ، لذلك الطعم الجميل السائغ ، الذى وجدته في مذاق هذه الثمرة . . فمضى يلتهمها في تلذذ واستمتاع ، حتى أتى على الثمرة كلها دون أن ينتبه . فلما اكلها رفع رأسه ليحمد الله إذا أطعمه بعد جوع ، وإذ بعينه تلتقيان بعيون حزينة تطالعه من هذه الوجوه الفاتنة المدلاة من الاشجار ، وكأنها تلومه وتعاتبه . . كما ازدادت أصواتهن حزنا وأسى ، وكأنها يعين الثمرة التى أكلها ، وأحس الملك « سيف » كأن طعنة حادة تنفذ إلى قلبه فتدميه ، وملاءة احساس مرير بالندم ، والتفت إلى « الخيرقان » حانقا ، فأسرع هذا يقول له :

- لا تعجل بالغضب ، فهذه الثمرات ما خلقت الا لتؤكل . . ومع هذا فهى تخزن عندما تلقى واحدة منهن مصيرها ، والبحارة الذين يصلون إلى هذه الجزر ، ويدفعهم الجوع إلى أكل بعض هذه الثمار ينتهون بأن يتتحمروا . . اذ يقذفون بأنفسهم إلى المحيط هربا من أصوات بكائهم ونواحهم الذى يحرك فيهم الاحساس بالاثم والندم !
قال الملك « سيف » :

- ان صوت بكائهن ليقطع نياط القلوب ، وهذه الاغنية الحزينة التى يرددنها تدفع بالدموع دفعا إلى العيون ، وتدمى القلوب حتى لتتنزف دما . . ولست أرى لى بقاء فى هذه الجزيرة ، فهلم خذنى إلى غيرها . .
وحمل « الخيرقان » الملك « سيف » وطار به مغادراً الجزيرة الثالثة . .
وفى قلب الملك « سيف » جرح عميق من الاسى والالم ، وأصوات حزينة

باكية ، تتردد أصداؤها فى ذهنه وسمعه

* * *

قال «الخيرقان» :

-نحن فى الجزيرة الرابعة أيها الملك . .

فانتبه الملك « سيف » ليجد نفسه فى جزيرة جرداء ، خالية من كل شىء ، لا زرع فيها ولا ماء . . وفى وسطها بناء ضخيم من النحاس الاحمر، أمامه عمود رفيع ، والبناء والعمود مليئان بالكتابة والطلاسم فقال الملك « سيف »

- لست أجد أحدا هنا . . فكيف بنى هذا البناء ، ولا أثر حوله للحياة؟!

قال «الخيرقان» :

-ان هذا العمود ، وهذا البناء ، طلاسم وضعها إنسان شرير ، كانت تحرق ما يمر بها من الإنس والجن حتى بطل مفعولها ، وزال أثرها ، فظلت الجزيرة مهجورة وان بقيت الطلاسم قائمة شاهدا على ما مر بالجزيرة من أحداث . .

قال الملك « سيف » :

-وما قصة هذه الجزيرة يا «خيرقان» . . ؟

فقال «الخيرقان» :

-لقد تعبت أيها الملك ، وأرى أن تستريح هنا الليلة حتى الصباح . . وبيننا تتناول طعامك ، سأحكى لك حكاية هذه الجزيرة . .
فوضع الملك « سيف » القدح على الأرض ، وغطاه بالفوطة ، وأشار اليه بيده اليمنى وهو يقول :
-أريد خبزا ولحما وماء ..

ورفع الملك « سيف » الفوطة ، فظهر له الطعام والماء ، وجلس يأكل
بينما مضى « الخيرقان » يقول :

- كان ملك هذه الجزيرة ، شريرا كاهنا ، اسمه « عابد النجوم » ،
وكان له ابن لا يقل عنه شرا . . لا يجد له هواية سوى اغتصاب الحرائر
من صبايا الجزيرة ، ولا يستطيع أحد أن يرده وأن يمنعه . . فقد كان
سلطان أبيه يحميه ، وان امتنعت واحدة عنه قتلها ، واستباح دمها ، إلى
أن تعرض ذات يوم إلى ابنة الوزير - وكان اسمه « كيوان » - فامتنعت
عليه ، واحتمت بأبيها ، الذى هرع من فوره إلى الملك « عابد النجوم » ،
الذى كان يجلب وزيره ويخاف نفوذه وسطوته . . فاستدعى ابنه وكان اسمه
« شاحوطة » وأخذ يؤنيه امام الوزير لينفض غضبه وتهدأ ثورته ، الا أن
« شاحوطة » كان أحمقا ، فرد بغلظة على أبيه ووزيره حتى استثار غضب
أبيه عليه ، فصاح به مهددا وهو يرمى إلى ارضاء الوزير « كيوان » :
- ان فجورك قد زاد عن الحد ، وانا امنعك من هذا الفعل المنكر الذى
تأتبه . . بل انى أبيع دمك للوزير « كيوان » ، ان أنت تجرات على
ابنته . .

فأسرع الوزير « كيوان » ينتهز فرصة غضب الملك ويقول :
- ان هذا يكفينى أيها الملك . . وما دمت انت قد ابحت لى دمه ،
فانى أنذره أمامك ، ان اعتداه على ابنتى ليس له من ثمن عندى سوى
حياته .

وانفض المجلس و « شاحوطة » ابن الملك ، يأخذ الامور مأخذ الهزر ،
و « كيوان » وزير الملك ، يطوى جوانحه ، على الجد والتصميم .
قال الملك « سيف » وهو يروى ظمأه من اناء الماء المعطر ، ثم يعود
لاستئناف طعامه :

- وهل يرتدع ، من دمر النفوذ نفسه ، واستمر السطوة والسلطان؟
فقال «الخيرقان» :

- وهذا ما حدث أيها الملك السديد الرأي ، فقد دخل الوزير مخدع ابنته ذات ليلة ، ليجد «شاحوطة» وقد أجهده ما بذله من جهد في اغتصاب ابنته ، وقد استلقت هي في رعب وخوف ، لا تكاد تستطيع أن تفتح فمها وأن تصيح ، فاستشاط «كيوان» غضبا ، وامتشق سيفه وضرب «شاحوطة» به ضربة مليئة بالغيط جاءت على وسطه فجعلته شطرين وأهلكته في الحال ، وأسرع إلى ابنته التي انفجرت باكية ، فأمرها أن تلزم الصمت وان تستدعى الخدم ليلقوا بجثة «شاحوطة» بعيدا عن القصر . .

وقال الملك «سيف» وهو يضع الفوطة فوق الطعام ، بعد أن أكل واكتفى :

- لقد لقي هذا المأفون جزاءه ، فان من اعتمه السلطة عن مراعاة الحرمات ، لا يردعه الا القتل . .

ثم أشار بيده اليمنى إلى الفوطة ، وهو يقول :
- الحمد لله . .

ورفع الفوطة ليجد القدح في مكانه ، فوضعه بين متاعه ، واخذ يستعد للرقاد وهو يقول «للخيرقان» :

- وكيف تلقى الملك «عابد النجوم» نبأ موت ابنه ؟
قال «الخيرقان» :

- أرغى الملك «عابد النجوم» وأزبد ، حين حمل له الحراس ما تبقى من جثة ابنه التي مزقتها الجوارح والصقور ، وانحج تفكيره إلى الوزير ، فاستدعاه . . واعترف الوزير بقتله لـ «شاحوطة» وذكر الملك بأنه هو

الذى أمره بذلك ، وازداد حنق الملك واشتد غضبه لانه أحس بعجزه عن معاقبة قاتل ولده . . فصاح بوزيره قائلاً :

- أننى لن أقتلك ، حتى لا أصبح معرة بين الملوك . . ولكنى أمهلك حتى صباح الغد ، لترحل عن جزيرتى أنت وأهلك ، وخدمك وعبيدك . . أما إذا طلع الصباح على واحد منكم فى هذه الجزيرة ، فسوف يلقى حتفه على أشبع صورة . . والآن أغرب عن وجهى ، قبل أن أنسى وعدى لك وأمرك بيدي . .

وانصرف الوزير « كيوان » مهرولاً يجمع أهله وخدمه ، وقد امتلأ قلبه بالغضب والحنق ، وقد عزم على الانتقام من الملك الذى نسى خدماته له ، وأراد أن يحمي فجور ابنه حياً وميتاً . . وسرعان ما كان يغادر الجزيرة هو وأهله وابنته مصطحباً معه ماله وذخائره ، متجهاً إلى حيث كان يعيش صديقه الملك « الحارث » الذى كان يطمع منذ زمن فى ضم هذه الجزيرة إلى ملكه . وانتهز فرصة غضب الوزير ليقوده إلى مواطن الضعف فى دفاع الملك « عابد النجوم » الا أن الوزير « كيوان » قال له :

- ان الملك « عابد النجوم » كاهن سحار ، ولن نستطيع أن نهزمه بالجيوش وحسب لانه سيستعين علينا بعلوم الاقلام ، ولا بد لنا من مقارعته فى ميدان السحر والكهانة .

فقهقه « الملك الحارث » ضاحكاً وهو يقول :

- ان عندى فى الجزيرة ، أربعة من أمهر الكهان ، يرأسهم كاهن سحار ، لا يشق له غبار . .

فاستراح بال الوزير « كيوان » وانسبسط أساريه ، وتعاهد مع الملك « الحارث » على اعداد الجيوش ، وتسير الجنود ، للاستيلاء على جزيرة « عابد النجوم » وقتله . .

قال الملك « سيف » وهو يتخفف من ملابسه ويريح رأسه فوق «بقجة» الملابس التى أعطاه له « أبو النور » . .

- وهكذا انقلب المظلوم إلى ظالم . بعد أن كان صاحب حق
- غدر به الملك وابنه - أصبح « كيوان » خائنا ، يتربص بوطنه
الفرص ، ويقود أعداء بلاده ، وقد أعمى الحقد عينيه ، وختم على قلبه . .

قال « الخيرقان » :

- لقد أحس الملك « عابد النجوم » بنار الغدر والخيانة ، تنهش قلب
وزيره ، فذهب إلى بيت رصده ، وضرب الرمل ، فتكشفت له نياته ،
وظهر له لقاءه مع الملك « الحارث » وعزمها على مهاجمة الجزيرة والقضاء
عليها ، فصنع هذا البناء النحاسى وهذا العامود ورصد فيها مرده الجان ،
حتى يعجز السحرة عن اقتحام الجزيرة ، والنفوذ من أرضها . ثم بنى
سورا حول الجزيرة تحصن بجنوده خلفه ، وأقام عليه المنجنيقات
والاحجار . وهكذا عندما وصل جيش الوزير « كيوان » والملك الحارث
إلى جزيرة « عابد النجوم » جوبهوا بمقاومة شديدة ، اذ تصارخت عليهم
اعوان الجان ، وردتهم شرارات اللهب بعيدا عن الاسوار . . كما انقضت
عليهم المنجنيقات والاحجار والسهام من فوق الاسوار ، ولم يجدوا وسيلة
للرد بها على أعدائهم المتحصنين ، فتراجعوا وقد كثر بينهم القتلى
والجرحى ، ومن تخلف منهم مزقته سيوف حراس الجزيرة الذين يخرجون
من أماكن معلومة بالسور . واجتمع الملك « الحارث » بالوزير « كيوان »
وقال له :

- لو أن الامر مقصور على الجنود لهزمناهم ، ولكنه استعان علينا
بعلوم السحر والكهانة . .

فاستدعى الوزير الكهنة الاربعة ورئيسهم ، وطلب منهم أن يبطلوا

هذه الارصاد ، وظل الكهنة يعملون ليل نهار ، حتى استطاع رئيسهم - بما يعرف من أسرار - أن يحضر اليه ملك الجان في الجزيرة ، وأن يسأله عن سر هذه الارصاد ، فقال له ملك الجان :

- لقد وكل « عابد النجوم » بهذا البناء سبعين ماردا ، ووكل بالعمود سبعين عوناً يردون العابرين ، ويحفظون الأرض من الوافدين وجعل أرسادهم على لوح من النحاس الاصفر ، منقوش بالاسماء والطلاسم ، وجعل اللوح في عنق أسد هائل في حجم الثور أو أكبر ، مصنوع من الجلد الاحمر ، ووكل لحراسته سبعين ماردا من الجان . . فاذا بطل هذا الاسد ، بطلت جميع الارصاد . .

فقال رئيس السحرة ، وكان اسمه « بقطوش » :

- وكيف يمكن ابطال هذه الارصاد ، والقضاء على هذا الاسد الذي

يحمي سحر « عابد النجوم » ؟!

قال ملك الجان :

- لا يبطل هذا السحر الا ذخائر موجودة في كنوز الملك « كوش بن كنعان » وليس لنا معشر الجان ، من وسيلة للوصول اليها ، وانما الامر متروك لك نحملك إلى هناك ، وأنت وما قدر عليك . .

فطار « بقطوش » من الفرح ، وأمر ملك الجان أن يجمه من فوره إلى كنوز « كوش بن كنعان » وهناك تقدم من حراس الكنز ، وحكى لهم ما فعله الساحر « عابد النجوم » بأرض جزيرته . وطلب منهم المعونة على ازالة هذه الارصاد ، حتى تعمر الأرض ، وتصلح أمور الناس . وأحضر له الحراس كيسا مليئا بالرمال الناعمة وقوسا وكيسا آخر ، وقال له كبيرهم :

- هذه الذخائر ، كفيلة بأن تبطل الارصاد عن الجزيرة ، ولكن لا بد

لك أن تعيدها إلنا ، اذا ما انتهت حاجتك منها . .
فوعدهم « بقطوش » وهو لا يتمالك نفسه من الفرح ، أن يرد إليهم ما
أخذ ، وهرع إلى ملك الجان يحملة في طريق العودة . . وفي الطريق سأله
عن فائدة هذه الذخائر فقال له :

- أما كيس الرمال ، فانك ان ضريت ببعض ما به وجه العمود ، تهرب
منه الاعوان والارصاد ، وان ضريت بملء قبضة أخرى وجه البناء ، غادرته
قوة السحر وتركه أعوان الجان . . وأما القوس فان مهمتها مع الاسد
المرصود ، فان في الكيس الآخر ثلاث نبلات ، تضربه بأولها فان أصبته
بطل وانتهى ، وان لم تصبه ابتلعتك الأرض حتى ركبتك فاضربه بالنبلة
الثانية فان أصبته بطل وانتهى وان لم تصبه ابتلعتك الأرض حتى ائدائك ،
فاضربه بالنبلة الثالثة فان أصبته بطل وانتهى ، وان لم تصبه ابتلعتك
الأرض كلك ، ورحت كما راح غيرك . . ا

وما كاد « بقطوش » يصل إلى الجزيرة ، حتى رمى العمود بالرمل ،
فتصايحت أعوان الجان صارخة وهي تغادر أماكنها هاربة ، ثم اتجه إلى
البناء ، فقدفه بحفنة من الرمال فانبعث منه لهيب من نار ، وعلا فيه
الصراخ ، وحراسه من الجان يفرون غير ملوین على شيء ، واتجه إلى
حيث الاسد المرصود - - وبصحبه الكهنة الاربعة - وأخرج النبلة الأولى
وأوترها في القوس واطلقها بكل قوته على الاسد فأخطأته ، وسرعان ما
أحس بقدميه تغوصان في الأرض ، واذ بها قد ابتلعت حتى ركبته ،
فتصيب جبينه بالعرق ، وامتلاً قلبه بالخوف . .

ولكنه تذكر كلام ملك الجان ، فعاوده الامل ، أن تحقق النبلة الثانية ،
ما عجزت الأولى عن تحقيقه ، فأخرج النبلة الثانية ، وصرف وقتاً طويلاً
في التصويب إلى هدفه ، والتأكد من مرماه . . وعندما جذب القوس ،

انطلقت منه النبلة ، لتمر إلى جوار الاسد دون أن تصيبه ، وقبل أن يتهالك نفسه ، أحس بجسده يغوص في الأرض إلى أن ابتلعت حتى ثدييه ، ووجف قلبه ، وامتألت عيناه بالدموع وقد وقف الكهنة من حوله يرتجفون ، وقد ملأ الذعر قلوبهم ، وود لو يجرى بعيدا عن هذا الرصد المشؤم ، ولكنه كان قد قطع من الطريق أطول أشواطه ولم يعد هناك من أمل في الخلاص ، الا إذا قضى على هذا الرصد . . فلا فكاك له من الأرض التي تطويه وتبتلعه ، الا باصابته بالنبلة الثالثة والأخيرة . وكان اليأس يغمر نفسه ، والعرق البارد يغطي عينيه ، وهو يصوب - في ذعر شديد - نبلته الثالثة نحو الاسد المرصود ، وأعاد القوس مرة أخرى يرمجه على الأرض وهو يتمتم :

- لا فائدة ، أننى لا أكاد أرى شيئا . .

فقال له الكهنة :

- لو تقاعست الآن لت ، ولتنا جميعا ، فسيكتشف « عابد النجوم » ما حدث للعمود والبناء النحاسى ، وسيلاحقنا بانتقامه ، ولن نستطيع الوقوف أمامه . .

ثم مسحوا له العرق الذى غطى وجهه وعينييه ، ورطبوا له حلقة الجفاف بهاء معطر ، وأخذوا ييثون الحماسة والامل فيه . وفى عزيمة ولدها اليأس ، صوب « بقطوش » قوسه واحكم هدفه الا أن الرعشة عادت تهز يديه هزا ، وإذا به يخفض قوسه ويستسلم لنوبة من البكاء المرير ، وهو يصيح :

- لا . . لن أستطيع . . ان هذا فوق طاقتى . .

فجعل الكهنة يبكون ويتوسلون وهو لا يكاد يسمع أصوات بكائهم ولا عويلهم . . وسرعان ما طغت على هذه الاصوات ، أصوات أخرى أكثر ارتفاعا وأشد ضجعة . . واذ بجيش الوزير « كيوان »

«الملك الحارث» يرتد مهزوما ، أمام هجمات الملك «عابد النجوم» الذى اكتشف ما حدث لارصاده ، وعرف ما ينويه «بقطوش» فخرج بكل جيشه من الجزيرة ، لينقذ رصده ، قبل أن يقضى عليه كبير الكهنة . . وتجاوز جيش الملك «الحارث» والوزير «كيوان» فى هروبه ، المكان الذى وقف فيه «بقطوش» ولم يلتفتوا اليه الا بعد أن جاوزوه . وانتبه «بقطوش» إلى جيش «عابد النجوم» وهو يقبل عليه من بعيد ، وعلى رأسه الملك الغاضب يلوح بسيف مهول ، وهو يتجه إليه كالسهم ، وجواده يطير به بسرعة الريح . .

ورفع «بقطوش» القوس فى يده بسرعة فائقة وضرب الرصد بالنبلة الثالثة دون تردد ، وانبعث شرار النار من الاسد المطلسم ، وهوى كالخشبة الميتة . . وأحس «بقطوش» بشيء يرفعه إلى أعلا ، وسرعان ما لفظته الأرض . وعلا صوت «عابد النجوم» وهو يصرخ فى يأس وغضب ، ويهجم بكل قوته على الساحر «بقطوش» ليقنته . . ولكن سيفه لم يصل إليه ، لانه اصيب بطعنة قاتلة من خلفه صوبها إلى رأسه الوزير «كيوان» الذى عاد بكل جيشه ، وقد انتبه إلى ما يفعله «بقطوش»

قال الملك «سيف» :

- أن يد الغادر لا تمتد الا من الخلف ، وطعنته لا تصيب الا فى الظلام . .

فقال المارد «الخيرقان» :

- ولكن جزاء غدره لا بد أن يلاحقه ، حتى ولو بدا له وجه النصر لاثحا وعلاماته منصوبة . . فقد بلغ من فرحة «كيوان» بالنصر ، أنه أطلق سيف الثقيل والذبح فى كل جنود «عابد النار» حتى أفناهم ، ثم انقلب إلى الجزيرة يقتل ويحرق كل من يلقاه من أهلها ، وأحال يوم نصره إلى يوم

مذبحة عامة ، تمتد إلى الشيوخ والنساء والأطفال ولا ترحم من أهل الجزيرة أحدا

ومضى الليل بطوله ، وصيحات المنصورين المخمورين المنتشين بطعم الدماء ، تمتزج بصرخات أهل الجزيرة ، الذين فتح لهم الهول أبوابه ، وأدركهم السيف الغاضب أينما توجهوا . وما كاد الصباح يشرق ، حتى كان أهل الجزيرة قد امتدت اليهم يد الفناء جميعا ، فلم يبق منهم أحد . . ولكن « بقطوش » كان قد نسى في غمرة النصر ، وفرحته بالنجاة من الميتة المرعبة - التي كاد يذهب ضحيتها - ما كان قد وعد به حراس كنوز الملك «كوش بن كنعان » من إعادة الذخائر اليهم ، فخرج هؤلاء غاضبين صارخين ، وانطلقوا إلى الجزيرة مدمرين ، فقتلوا كل من كان فيها . . وسرعان ما لحق المنتصرين بالمنهزمين ، وأصبحت الجزيرة - كما ترى يا مولاي - بلقعا خاوية ، ولم يبق بها إلا هذا العمود وهذا البناء اللذين لم تعد لهما قيمة . .

قال الملك « سيف » وهو يستسلم لجيوش الكرى تغزو عينيه :

- كم تبدو القصة حية ؟ . . وكم تبدو هذه الجزيرة ميتة ؟ . .

والتفت « الخيرقان » ليرد على الملك « سيف » فوجده قد نام ، فدثره بعباءته ، وابتعد قليلا عنه ، واستلقى بجسده الكبير على الأرض وهو يهمس لنفسه :

- ما اعجب هؤلاء البشر ، لا يوقف طموحهم شيء . . ولولا أنهم

فانين لما أعجزهم شيء !

واستقبل بوجهه نسات الليل الندية ، تحمل له روائح البحر ، الذي تحيط مياهه بالجزيرة ، تمور غاضبة . . وتأتي مندفعة بقوة نحو الشاطئ ، فاذا ما وصلت لاهثة اليه ، ردتها الصخور الصلبة ، فعادت متكسرة عليه ، ثم أغمض عينيه ونام . .

مع أولى نسيات الصباح الندية ، استيقظ الملك « سيف » وهو يحس نشاطاً يملأ جسده ، وتحفزاً يدفعه إلى الحركة . . ووئب من مكانه ، يبحث عن « الخيرقان » الذى كان ما يزال يغط فى نومه العميق ، مجهداً من أثر الرحلة المضنية . . وايقظ الملك « سيف » المارد « الخيرقان » فوئب هذا من نومه وهو يقول :

- نعم يا ملك الزمان . .

قال الملك « سيف » :

- هيا بنا نستغل فترة الصباح الندية هذه ، قبل أن تخرج الينا الشمس بحرهما ، لنكمل رحلتنا ، ونزور ما بقى أمامنا من جزائر . .

قال « الخيرقان » وهو يقوم من منامته فى فتور :

- ان الرحلة اوشكت على النهاية ، وأمامنا اليوم طويل . . ولكن ما

دامت هذه رغبتك أيها الملك ، فهيا بنا . .

وحمله « الخيرقان » من الجزيرة المهجورة ، وطار به فى السماء . . وظل يخترق به السحاب حتى اشتد همجير الشمس ، وازداد حرها ، وعند الظهر قال « الخيرقان » :

- هذه هى الجزيرة ايها الملك

فقال الملك « سيف » ، وهو يعجب فى نفسه من هذا الفتور الذى

أحسه فى سلوك « الخيرقان » :

- اذن فانزل بنا اليها . .

وفي ببطء شديد نزل « الخيرقان » إلى الجزيرة ، وتمكن الملك « سيف » وهو يهبط إلى الجزيرة من أن يمتع عينيه بمنظر الجزيرة الخلاب وهو يشرف عليها من عل . . كانت واحة خضراء ، امتلأت بأشجار كثيرة وارفة الظلال ، واصطفت في نظام بديع وتنسيق متقن ، تقسمها انهار رقراقة ، أقساما متعددة ، يتميز كل قسم منها بلون خاص ، يسود ازهاره ، ويميز أشجاره . . وكانت الالوان في تعددها وتناسقها ، تبدو كأنها ألوان قوس قزح . وحين هبط المارد به إلى أرض الجزيرة ، استروحت رثناه مزيجاً من الروائح العطرة ، تشرح النفس ، وتبهج القلب وقال الملك « سيف » وهو يتلفت حوله :

- كأن هذه الجزيرة قطعة من الجنة . .

قال « الخيرقان » :

- لقد حققت لك أيها الملك ما أردت مني . . فدعني الآن انصرف واعطني لوحى ، واتركنى أتوجه إلى حال سبيلى . .
فدهش الملك « سيف » وقال « للخيرقان » :
- ألم نتفق على أن تصحبنى حتى نهاية جزائر واق الواق ؟
قال « الخيرقان » :
- وأنا قد فعلت هذا . .

فغضب الملك « سيف » وصاح به :

- أتريد أن تغدر بى أيها المارد الملعون . . أن هذه ليست سوى الجزيرة الخامسة ، وبقيت أمامنا جزيرتان غيرها . .

وانكمش المارد ، وظهرت عليه علامات الاضطراب ، وهو يقول :

- عفوك أيها الملك ، انما ضاقت نفسى من هذه الجزيرة . . ولست أحب أن أمكث فيها لحظة واحدة ، وأنت فيما أرى ، قد استهواك ما بدا

من جمالها ، وما كنت أخشى عليك الا من شرها ، فأردت أن أتحايل
لابعادك عنها . . ا

فعاد الملك « سيف » يلتفت حوله مندهشا ، فالجزيرة تبدو دوحة
منسقة جميلة ، وروائحها عطرة منعشة ، والاصوات الرقيقة التي تنبعث
من جوانبها ، تشرح الصدر وتملأ القلب بهجة ، وقال للمارد :
- بل قل إنك تعبت ، وتريد أن تتحايل لتنتهي هذه السخرة التي
فرضت عليك ، وانا لن أغفر لك انك تحاول ان تخدعنى . . ا
قال « الخيرقان » :

- وهل أملك - واللوح المرصود معك - أن أخرج من أسرك ، أو أن
أتحايل على خداعك . . أنها هي هذه الجزيرة - بها فيها من لعنة وشؤم -
هى التي تخيفنى وتمرضنى
فهز الملك « سيف » رأسه فى عجب ، وهو يقول :
- انها أجمل ما رأينا من جزر ، بل لعلها اجمل مكان فى العالم . .
فقال « الخيرقان » :

- هذا ما يبدو من بعيد . . أما الجزيرة فهى فى حقيقتها جحيم لا
يطاق ، ومهلكة لم ينج منها أنس أو جان . . فهيا بنا منها ، قبل أن نقع
فى مهاوى الهلاك ا

فضحك الملك « سيف » وهو يقول :

- إلى هذا الحد تخاف من سكان هذه الجزيرة . . ترى ايسكنها تين أم
أفعوان ، وما كنت احسب أنك تخاف من مخلوق أو حيوان ا
فقال « الخيرقان » :

- أن هذه الجزيرة لا يسكن بها أنسى أو جان ، كما أنها مهجورة لا
يطرقها حيوان أو طائر ، مهما كانت قوته . . وان زارها مخلوق ، فانما

يقصدها هلاكة ، ولن يعيش بها حتى يروى ما رآه . . !
فاشدد عجب الملك « سيف » وبدأ الخوف يتسرب إلى قلبه . . وعاد
يتلفت حوله ، فلا يرى الا أبهج المناظر الملونة ، تكسو الجزيرة كلها ،
فتحيلها صورة حلوة لأبهج ما يخاطر على قلب إنسان . . وأخذ يقارن بين
ما يرى وما يسمع ، فتشدد دهشته ، وتعظم حيرته . وبينما كان كلام
المارد ، يستحثة على الهرب ، من الخطر المجهول الذى لا يراه ، كانت
رغبته الشديدة تتزايد فى أن يعرف كنه هذه الجزيرة الجميلة وان يكشف
أسرارها . . واطرق إلى الأرض لحظة ، فقال « الخيرقان » :

- ليس هناك مجال للتردد ايها الملك ، فهيا بنا نغادر هذه الأرض
الملعونة . . وثق فيما أقول ، فانى اخاف عليك واخاف على نفسى . .

فرفع الملك « سيف » رأسه ، وهو يقول فى تصميم :
- بل سنزور هذه الجزيرة ، مهما تعرضنا للاخطار . . وستصبحنى
لتشرح لى أمر هذا الشيء المجهول الذى يخيفك . . !
وبدا الدعر على وجه المارد ، وهو يقول :
- أنا أصحباك يا مولاي ؟ . . أنا لا أريد أن أرى شيئا ، فاذهب أنت
وسأنتظرك حتى تعود . . !

فنظر اليه الملك « سيف » وفى عينيه نظرة عزم وتهديد ، وهو يقول :

- بل ستأتى معى كما قلت لك . .

واطرق المارد ، وهو يقول فى نخاذل :

- ما دامت هذه مشيبتك ، فالأمر لك . .

* * *

اتجه الملك سيف إلى الدغل الكثيف الذى يواجهه ، ووراءه « الخيرقان »
يتبعه فى استسلام وخوف . . وكان الدغل مجموعة كثيفة من الأشجار

المتشابكة التى تكسوها بدل الأوراق مجموعات كثيفة من الاعشاب الرفيعة التى تشبه الشعر الأدمى . . ووقف الملك « سيف » عندما وصل إلى أقرب الأشجار اليه يتأمل فى هذا المنظر الفريد الجميل ، فقد كانت الشجرة تكاد تختفى وراء شعر كث فاحم اللون يلمع فى ضوء الشمس المشرقة فى بريق زاه جميل . . بينما كانت الشجرة التى تجاورها تتألق فى بريق يخطف الابصار اذ تنعكس أشعة الشمس على شعرها الذهبى اللامع . . وأخذ الملك « سيف » يميل البصر حوله فى دهشة وذهول ، فلكل شجرة شعر بلون مختلف عن الشجرة التى تجاورها . . هذه شعرها فضى اللون ، والآخرى تحمل شعرا احمر فى لون الحناء ، وثالثة فى لون شعرها الاسود بالاحمر فى مزيج عجيب جميل . . والتفت الملك « سيف » مبهورا إلى « الخيرقان » وقال له :

- أهذا ما يخيفك ايها المارد الخائر القلب . .

فقال « الخيرقان » وفى صوته نبرة غريبة :

- بل الازهار يا مولاي ، هيا بنا فهى لم ترنا بعد . .

قال الملك « سيف » وهو يضحك ساخرا :

- ما هى التى ترانا يا « خيرقان » . . ؟

قال « الخيرقان » وفى صوته خوف واضح :

- الازهار . . ا

فانطلق الملك « سيف » و يضحك ساخرا ، ولكنه كف فجأة عن الضحك وقد تسلل إلى نفسه احساس مفاجئ بان عيننا ترقبه ، وتكاد نظراتها تخترق ظهره . . والتفت الملك « سيف » وراءه فى حركة فجائية وقد ضايقه أن يقع فريسة لاوهام المارد « الخيرقان » . . ولكن الامر لم يكن وهما ، فأمامه مباشرة ومن وسط الشعر الاسود الكثيف كانت تحدق فيه

عين سوداء لامعة . . ولم يصدق الملك « سيف » نفسه أول الامر ، ولكنها كانت أمامه حقيقة واقعة ، وفيها نظرة دهشة وتعجب . . وجاءه صوت « الخيرقان » الهامس ، تخرج كلماته منقطعة في صعوبة :
- أرايت ؟ . . ألم اقل لك ، هيا بنا نقطع هذا الدغل جريا ، فقد رأتنا العيون . . !

وتأكد للملك « سيف » أن ما رآه كان حقيقة ، فقال « للخيرقان »
متسائلا :

- أهنالك آدميون في هذا الدغل ؟ . . انها عين آدمي . .
وعاد صوت « الخيرقان » يهمس :
- انها الازهار أيها الملك . .

ثم تغير صوته إلى صياح ، وهو يهتف في ذعر :
- انظرأيها الملك ، لقد بدأت تظهر كلها . .

وعاد الملك « سيف » ينظر إلى الشجرة ، وأدهشة أن يرى فيها مالم يره من قبل . . فمن خلال الشعر الاسود الفاحم ، ظهرت فروع كثيرة ومتعددة ، تحمل في آخرها أكماما مغلقة ، سرعان ما أخذت تتفتح ، لتبدو وسطها عيون سوداء تنظر اليه في فضول ودهشة . . وكانت كل زهرة جديدة تتفتح ، تكشف عن عين جديدة تحملق ، وأدهشت هذه الظاهرة الفريدة الملك « سيف » ، وأذهلته عن نفسه . . فأخذ يبادل العيون المحملقة النظر في صمت ، وهو يحس أنه يفقد قدرته على الحركة تدريجيا ، وجاءه صوت « الخيرقان » كالفحيح وهو يقول :

- انظر عن يمينك . . !

والتفت الملك « سيف » للشجرة ذات الشعر الذهبي ، فاذا بشعرها ينفرج عن اكمام كثيرة متعددة . . قد تفتح بعضها عن عيون زرقاء جميلة ،

واخذ البعض الآخر يتفتح أمامه في سرعة مذهشة ، لتصبح الشجرة وكأنها اختفت تماما ، وراء هذه العيون التي تحدد في فضول وتطلع . ولم يكن الملك « سيف » في حاجة إلى تنبيه من المارد ، ليلتفت إلى الاشجار الاخرى . . ليجد أنها قد بدأت تمتلئ بالعيون التي تحدد واستهواه المنظر ، فنسى خوفه فقد كانت العيون من كل لون وشكل . . عيون سوداء ، وأخرى زرقاء ، وثالثة خضراء ورابعة عسلية وخامسة بنية ، وسادسة يختلط فيها اكثر من لون . . تحمل بعضها نظرات قاسية رهيبية ، وترسل اخرى نظرات حانية عطوفة ، ولكن كانت كلها ترقبه . . وعيون مستوية ، واخرى مائلة ، وثالثة مستطيلة ولكنها كلها ترقبه ، وعيون واسعة ذكية واخرى ضيقة خبيثة ، وثالثة عليها قمامة الغباء ، ورابعة تشع بالمكر والدهاء ولكنها كلها ترقبه .

وجاء صوت « الخيرقان » وكأنها يوقظ الملك « سيف » من سبات عميق وهو يقول :

- انها عيون السحرة ، اننى أفقد قدرتى على الحركة ، هيا بنا والا سحرتنا هذه العيون في اماكننا

وبدأ احساس بالخوف ، يغزو الملك « سيف » فقد بدأ يحس ان هذه العيون تنفذ كلها إلى أعماقه ، وكأنها سهام مبرية النصل ، حادة الرءوس ، وقال وكأنها يطمئن نفسه :

-انها أزهار ، ألم تقل هذا . . ؟

فقال « الخيرقان » وهو يجذب الملك « سيف » من ذراعه :

- لقد ماتت . . وكانت تبكى وكأنها هى حزينة على نفسها . . ا

وهل رأينا أزهارا بمثل هذه الحياة ؟ . . ان نظرات هذه العيون تحكى أسراراً رهيبية لا أدري كنهها ، ولكنى أدري أننى لو تركتها تحدد في

هكذا فترة أخرى ، فسأجن حتما . . !

وقال الملك « سيف » وكأنها يبث الشجاعة في نفسه هو :

- انما أزهار . . وهى لا تفعل شيئا ، سوى ان تنظر . . هل تخاف من الورد ؟ . انظر بنفسك أيها « الخيرقان » . .

ومد الملك « سيف » يده إلى واحدة من الفروع الرقيقة فجذبها بشدة من الشجرة واقتلعها في يده وهو يقول :

- هى وردة فعلا . . ألم أقل لك . . !؟

ولكنه لم يستطع أن يكمل حديثه ، فقد سمته في مكانه النظرة الغريبة - تطالعه من العين التى توسطت الزهرة التى أمسكها بيده - كانت أول الامر تحمل تعبيرا بالدهشة والاستغراب ، ثم تغير ما في العين ، فاذا هو ادراك وفجعية ، ثم تغير حديث العين ليصبح حزنا ولوعة ، وما لبث أن غشى العين ضباب رقيق ، ثم انسال من العين دمع ، ما أن تساقطت قطراته على يد الملك « سيف » حتى أحس به دافئا سخينا ، كأنها هى قطرات دماء من قلب مجروح ، ثم كفت الدموع ، وراح سواد العين ، وبدأت الزهرة تنكمش على نفسها . . وعادت الاكام تغلق في تهدج - وقد قتم لونها - وما هى الا لحظات حتى ذبلت الزهرة كلها ، وما كان الملك « سيف » يمسك في يده سوى بقايا نباتية ذابلة ، وهمس « الخيرقان » في ذعر ودهشة :

- لقد ماتت . وكانت تبكى وكأنها هى حزينة على نفسها . . !

ولم يستطع الملك « سيف » أن يجيبه ، فقد جف حلقه ، والتصق لسانه في فمه فهو لا يتحرك . . لقد كان ما رآه مازال يملأ عقله ، ويستولى على كل فكره . . وكان يستشعر في قلبه حزنا دفيناً ، أثارته مأساة هذه العين التى سبب لها كل هذه الفجعية والحزن . وحين رفع رأسه ،

أصابه ذعر قاتل ، فقد كانت العيون تنظر اليه في حقد وكرامية ، وكانت نظرات المقت وكأنها تصفحه وتدميه . . وأحس بالعيون تحاصره من كل جانب ، وجاءه صوت « الخيرقان » يقول :

انها تلتف حولنا . . ا

وحين نظر الملك « سيف » حوله وجد هذه العيون تتشابهك غصونها لتسد الشغرات بين الاشجار ، وهى كلها تنظر اليهما في تهديد ووعيد . وأدرك أنه ان ظل في مكانه لحظة أخرى ، فلن يجد لنفسه مخرجا من بين هذه الاشجار ، فاندفع يجرى بقوة ووراء المارد ، والعيون تلاحقه في كل خطوة . . تخرج فجأة من بين الشعر الكثيف الذى يحيط بالاشجار لتصفع وجهيهما ، وامتلأ الطريق بعيون تسد عليهما الطريق اذا ما اقتربا منها تراجمت لتفسح مكانا لعيون أخرى تحدق في صمت رهيب وكرامية مرعبة . وكان الملك « سيف » يجرى وهو ينتزع قدميه من الأرض انتزاعا ، فقد بدأ يحس أن طين الأرض مبتل ، وفي كل خطوة يزداد المجهود الذى يبذله لينزع قدميه من الأرض المبتلة انتزاعا . . وبينما كانت العيون الحاقدة تحاصره وهو يجرى ، كانت الأرض تزداد ابتلالا إلى أن أصبح ينزع قدمه من وسط برك الماء في صعوبة . . وهمس « الخيرقان » :

انها تبكى ، لتفرقنا بدموعها . .

وكاد قلب الملك « سيف » يكف عن خفقانه ، وهو لا يكاد يلتقط أنفاسه في جريه اللاهث نحو الخلاص . . فقد أدرك أن العيون تستطيع أن تقتله ، وأنه كان واهما حين ظن بها - أول الأمر - العجز عن الإيذاء . وأراد أن يغلق عينيه ، ليبعد عنهما هذه النظرات التى تحمل لقلبه السم القاتل . . وأراد أن يكف عن الجرى ويقف ليستريح أو يلقى بنفسه إلى الأرض ليلتبعه طينها الباكى المبلل بدموع ألف عين ، تبكى عينا ماتت

بيده الطائشة . . ولكن لم يكن هناك مجال للاستسلام والتخاذل ، فالموت تحت أقدامه ، والموت حوله يطل من كل العيون . . العيون التي تخرج فجأة ، كأنها من الهواء ، وتنبعث محدقه فيه ، كأنها لا تنتهى . . عيون من أمام ، وعيون من وراء ، وعيون من فوقه وعيون على الجانبين ، ودموع من تحته ترتفع لتغمر رسغ قدمه . . وفجأة وسط جريه اللاهث ، أحس أن أمامه ضوء الشمس من جديد ، وملاً رثيه هواء نقى ، وأمامه كان فضاء يشرف على حافة نهر قريب فاندفع نحوه لاهثاً وهو يحس بأنفاس «الخيرقان» تتردد فوق رأسه تماماً ، وجاءه صوته وفيه نبرة أمل . .

- النهر . . هيا إلى النهر أيها الملك . .

ولم يكن الملك « سيف » فى انتظار من يستحثه على الجرى ، فقد كان منطلقاً كالسهم نحو حافة النهر ، ولكنه حين وصل إليه ، وقف مكانه وقد تسمرت قدماه إلى الأرض ، وقال « الخيرقان » :

- أقفز أيها الملك فانى أحس بالعيون تتعقبنا وأخشى ان تدركننا . .

فقال له الملك « سيف » وهو ينظر أمامه فى ذهول :

- ألا ترى ما بالنهر . . ؟

وجاءه صوت « الخيرقان » يحمل كل نبضات الخوف ، وهو يقول :

- انه دم . . دم أيها الملك . . 1

وكان النهر بالفعل لا يحوى ماء ، وانما تجرى بين ضفتيه دماء قانية ولم يكن فى هذا شك . . فليس لها قوام الماء ولا شكله ، ونظر الملك «سيف» حوله يبحث عن منفذ آخر ، ولكنه رأى من خلفه ، عشرات الالاف من العيون تبرز من وسط الدغل الذى فارقه بأعجوبة . . ولم يتردد لحظة فكدف بنفسه إلى النهر ، وظل يسبح بسرعة إلى الضفة الاخرى ووراء المارد يتبعه عن كثب . . وحين لمست يده الضفة الاخرى تشبث بصخورها

بصعوبة فقد كانت يده مبتلة بذلك السائل اللزج الرهيب ، فأخذت تنزلق على الصخور ، دون أن ينجح في الإمساك بها ، وامتدت يد «الخيرقان» من ورائه ، تدفعه دفعة قوية ، فوصلت يده إلى اعشاب نامية، تشبث بها في يأس ، وجر نفسه جرا إلى الضفة الأخرى حيث جلس يلهث، وهو يزيل من على وجهه وثيابه ذلك اللون الاحمر القانى ، الذى اصطبغت به ، وإلى جواره تمدد «الخيرقان» بجسده الضخم يلهث ويتنفض !

* * *

لا يدري الملك « سيف » كم ظل في جلسته هذه على الضفة الأخرى من النهر ، يلتقط انفاسه اللاهثة ، ويعيد إلى ضربات قلبه المضطربة هدوءها وانتظامها . . ولكن اشعة الشمس الدافئة الحنون ، التى بعثت الدفء في اطرافه المرتعشة ، والجفاف إلى ثيابه المبتلة ، اعادت الطمأنينة إلى قلبه ، فاعتدل في جلسته ، وهو يقول للبارد :

- ما أجمل الجو هنا ، وما أرق الهواء . . أن هذه الرائحة المعطرة التى يحملها النسيم الينا ، لتنعش الافئدة وتحيى الآمال . .

قال المارد وهو يهب واقفا :

- ما أعجبك أيها الانسى . . ما أن بعدت عن الخطر ، حتى نسيت ، وعدت تتكلم عن الهواء والنسيم والروائح المعطرة ا

قال الملك « سيف » :

- لقد كان الخطأ فيها حدث لنا ، هو خطئى انا . . فما كان ينبغى لى أن أمد يدي إلى هذه الزهرة فأقتلها قتلا ا

وضحك المارد ضحكة خشنة ، وهو يقول :

- اننى اعرف كل جزء من هذه الجزائر ، بكل ما فيها من نبات وأثمار،

وبكل ما تحمل من مهالك ومخاطر ، الا هذه الجزيرة ، فان احدا من الجن الذين دخلوا فيها لم يخرج ليحدثنا بما وجد فيها وأنا لا أحب ان اسير في أرض اجعلها ، فكفى ما لاقينا من اذى ، وهيا بنا احملك إلى الجزيرة التالية . .

قال الملك « سيف » :

- تريدنى أن أعادر هذه الجزيرة ، دون أن اعرف كل ما بها . . ١٩٠
فظهرت على صوت المارد نبرة التردد وهو يقول :
- أتعنى أنك لم تكتف بما حدث ، وتريدنا أن نرمى انفسنا في مهلك
جديد ١٩١

وضحك الملك « سيف » وهو يقف ، وأخذ يسوى ثيابه وهو يقول :
- بل سنرى هذا الدغل الذى تبدو أشجاره امامنا ، واعدك اننى لن انزع زهرة من أزهاره فقط سأرى واتفرج ، فان الحوادث قد تتابع وتنعن
فى الدغل الأول ، بحيث لم أمتع نفسى ، بمشاهدة هذه العيون عن قرب . .

قال المارد فى خوف :

- لقد متعنا انفسنا بما فيه الكفاية . . ويكفينا ما شاهدنا . .
فقال الملك « سيف » وهو يملأ رثته من الهواء العذب المعطر الذى يحيط به :

- لست احسب انه سيتاح لى أن أزور هذه الجزيرة مرة اخرى . . ولهذا فينبغى أن انتهر الفرصة لارى كل ما فيها ، مهما كانت أوهاامك ومخاوفك . .

وما أن انتهى الملك « سيف » من حديثه ، حتى اسرع متجها إلى صف الاشجار التى تلمع شعورها المناسبة فى اشعة الشمس ، فتكون

شلالات من الضوء الملون ، تتهاوج مع هبات النسيم فتختلط الوانها وتمتزج في دعوة سحرية بمتعة حقيقية للعين المشاهدة ، واحس الملك «سيف» بخطوات المارد وهي تسرع إلى جواره وكان يقول :

- اذا كنت تريد الدخول إلى هذا الدغل الجديد ، فاعطني لوحى واتركنى اذهب فى سلام . .

فقال الملك « سيف » وهو يقترب من الاشجار :

- بل ستأتى معى ، فكيف تكون ملك الجان فى هذه المنطقة وانت لا تعرف شيئا من اسرار هذه الجزيرة . . انظر ما ارق هذا الشعر وأنعمه وأجمله ، ان كل امرأة فى الوجود لتتمنى أن تنزل عن نصف عمرها ، لو منحها الله مثل هذا الشعر الكثيف ، الذى يتهاوج فوق هذه الاشجار !

ولم يجر المارد جوابا ، فقد كانا قد دخلا فعلا بين صفيين من أشجار الدغل السامقة ، وبهره كما بهر الملك « سيف » منظر هذه الاشجار ذات الشعور المناسبة ، وقال الملك « سيف » :

- سنرقب باعيننا فقط . . ولن تمتد ايدينا إلى زهرة أو ثمرة بأى أذى . .

وظل الملك « سيف » والمارد « الخيرقان » يسيران فى حذر ، يتأملان ذلك النوع العجيب من ألوان الشعور المناسبة من الاشجار ، فقد كانت ألوانها لا يعدها حصر ، ولا يدركها خيال . . وسرعان ما اصبحت خطواتها اكثر اتزاناً ، وقد اطمأن قلباهما وهذأت مخاوفهما وقال الملك «سيف» :

- ما أعجب الخالق ، وما أروع قدرته . . لن يستطيع مخلوق ، أن يحيط باسرار ابداعه وخلقته . .

قال المارد ، وقد نسى خوفه ، واسترد طمأنينته :

- أصبت ايها الملك . .

فقال الملك « سيف » في دهشة :

- ماذا تقول ؟ . .

ولم يجد « الخيرقان » فيما قاله ما يستدعي دهشة الملك ، والتفت اليه وفتح فمه ليكرر الجملة ، ولولا أن النظرة المرتسمة على وجه الملك أوقفت الكلام في حلقه ، فقد كان الملك « سيف » ينظر في حذر وتطلع كأنها يستمع صوتا غريبا . . قال الملك « سيف » :

- أصمت . .

وكان صوت الملك غريبا ، بدا وكأنه يتحدث في بئر ، يرجع أصداء الصوت . وعاد الصوت المزدوج يقول في ذعر ، والملك يشير بيده :

- انظر . . ما هذا ؟

وتطلع المراد إلى حيث اشار الملك « سيف » فاذا به يرى غصنا رقيقا يبرز من بين شعر احد الاشجار ، وقد حمل زهرة ذات شكل عجيب وجعل يتأمل هذه الزهرة في ذهول ، فلم يسبق له أن رأى شيئا مثل هذا ، وكانت النظرة في عين الملك « سيف » ترسم محاولته المضنية ليتذكر أمرا غاب عن ذهنه ، وفجأة قال الملك « سيف » في ذهول ، وصوته يتردد برجع كالصدى :

- انها اذن بشرية . .

ولم يكن في كلام الملك « سيف » شك ، فقد كانت الزهرة فعلا أذنا بشرية كاملة . . وقال الملك « سيف » في رعب :

- انها تسمعنا . .

قال المراد :

- انها تردد ما نقول ، تلتقط حديثنا وتعيده فيتضخم الصوت . .
ولم يكذ المراد يتم حديثه ، حتى لاحظ الاثنان ، غصنا آخر يخرج من

بين شعر الشجرة نفسها ، وهو يحمل زهرة ضخمة مقفلة الاكمام .
سرعان ما انفتحت أكامها وانبسطلت ، لتبدو وسطها زهرة جديدة تشبه
الاذن تماما ، وقال الملك « سيف » في دهشة :
- أذن أخرى . . ١٩٠

وكان ترجيع الصوت في هذه المرة اشد واقوى ، فقال المارد في خوف
شديد :

- لقد ازدوج الصدى

وتسمرت اقدام الاثنيين وهما يرقبان عشرات الغصون ، وهى تخرج من
الشجرة تتفتح مسفرة عن اذان جديدة ، وقال الملك « سيف » في صوت
خافت متخاذل :

- ان كل الشجرة آذان . . ١

ورغم صوته الهامس ، فقد تردد الصوت وكأن هذه الجملة قد نطقها
الف فم . . واحسا بحيرة عظيمة ، فقد ادركا ان حديثهما يوقظ آذانا
اخرى من هذه الازهار . . فتخرج لتضخم اصواتها من جديد ، اذ بدأت
ثبار أخرى تظهر من خلال كل ما حولها من أشجار . وكانت كل أذن ما
أن تتفتح عنها أكام الزهر حتى تتجه نحوها في اصغاء ، ولم تكن هذه
الآذان متماثلة ، فقد كانت منها الكبيرة الضخمة التى تتعدد تعاريبها ،
وتتسع طاقتها - وهى تتجه نحوهم في اصغاء تتسمع - وآذان صغيرة
رقيقة ، دقت تعاريبها ، وضافت طاقتها ، واتجهت نحوهم في اصغاء
تتسمع . . وآذان طويلة واخرى قصيرة ، وآذان عريضة واخرى رقيقة ،
وكلها تتجه نحوها في اصغاء تتسمع . . كل كلمة ، كل همسة ، كل نامة
تلتقطها الاف الاذان ، وتردها وتضخمها لينقلب الدغل إلى جحيم من
الصوت ، وقال الملك « سيف » في همس مبحوح :

- لنسكت تماما . . فلعلها ، ان لم نسمع لنا صوتا عادت تنام من جديد . . !

وتردد حديثه في رجوع رهيب ، فأخذ يتلفت حوله في ذعر . . وكأنها ضبطت متلبسا يتأمر على هذه الأذان الصاغية ، التي لا نفوتها أدق الاصوات واخفتها . واحس أنه كمن يقف عاريا . . تكشف الأذان عنه كل ثيابه ، تسمع حتى صدى الافكار في رأسه ، وأخذ يستجمع نفسه ، فما كان ينبغي أن يخاف من أزهار ، لا تملك لنفسها ضرا ولا نفعا . وهمس « الخيرقان » في رعب :

- لا تتحرك أيها الملك ، فان صوت حركتك يكاد يصم أذنى . . وكاد رأس الملك « سيف » ينفجر . . فقد أخذت جملة « الخيرقان » تتردد ، وتتردد . وتتردد ، حتى لكأنه وسط مدينة مذعورة ، تصرخ كلها بهذه الجملة وحدها في رعب وخوف . وكف الاثنان تماما عن كل حركة ، فقد كان سيبلهما الوحيد إلى النجاة أن تنام الأذان

واستقر كل شيء حولهما في صمت رهيب . . وكأنها الكل يرقب وينتظر ، وهما في وقتها الجامدة وكأنها فقدتا كل حياة ، لا تتحرك منهما سوى العيون الوجلة ، تدور في ذعر وهي ترقب هذا السور الرهيب ، الذي أحاطهما من كل مكان ، سور من الأذان عن يمين وعن شمال ، اختفت خلفه الاشجار ، وسد عنها كل مجال للرؤية . . وبدأ صوت ضئيل ممتد يتردد في بطن ، يغيب ثم يعود اشد قوة ، كأن ريحا تهب ثم تتلاشى لتعود أشد عنفا ، كأنها موجة بحر تنكسر ثم تعود أقوى صخباً ، ورفع الملك « سيف » رأسه إلى أعلا . . وكانت السماء صافية والشمس ساطعة ، ونظر امامه - وكانت الازهار ساكنة لا تتحرك - ومع هذا فزيف الريح يشتد ويتعالى ، حتى أصبح كالعاصفة تتلاحق الريح فيها ،

وتأخذ بتلايبب بعضها ، وهى تتعاقب فى صوت متعال خفيف ، وعاد الملك « سيف » ينظر حوله ، وقد بدأ الصوت الرهيب يصك أذنيه فى عنف ، ويقتحم طريقه إلى عقله ، يكاد يشله عن الإدراك والفهم . وجاء صوت المارد يتردد فى تكرار خفيف :

.. انه صوت أنفاسنا . . ا

ومد الملك « سيف » يده بسرعة يكتم نفسه فتضاءل الزفيف الرهيب بشكل ملحوظ ، ونظر المارد اليه ثم رفع يده يمنع بها تردد الانفاس فى صدره ، فتلاشى الصوت ومات . . ولم يكن الملك « سيف » يدرى كيف سيستطيع ان يحمى هذا الخطر الذى ترغمه عليه الظروف . . إلى متى سيظل قادرا على حجب الهواء عن رئتيه ، ولكن لم يكن هناك بد من هذا فاما الصبر والتحمل ، واما أن يعود الصوت من جديد يحيل أنفاسها ريجا عاصفة تعصف بهما وتودى بعقليهما . . وسكن كل شىء وبدأ صدر الملك « سيف » يؤلمه ، وأحس بحاجته إلى الهواء تتزايد ، ولكن لابد من التحمل . .

ربما لو منع عن نفسه الهواء نجاة ، ربما لو نجح فى أن يكتم انفاسه المدة الكافية أنقذ نفسه وزميله ، فالصمت عن الكلام لا يكفى ، والصمت عن الحركة لا يكفى ، ولكن لابد من الصمت ، الصمت كله ، حتى نامة الهواء التى تدخل الرئة الزطامة ينبغى أن تتوقف . . وجال بعينيه من حوله ، وكانت الأذان تتجه اليها فى انحناء كأنها تبحث عن شىء تردده ، كأنها تريد أن تتأكد أن كل شىء قد مات .

وارتفع وسط السكون دوى خفيف ، أخذ يزداد شيئا فشيئا ، ويتبادل الملك « سيف » والمارد نظرات مدهوشة مرعوبة ، والضربات تعنف ، وصوت المطارق الجبارة ترفعها ألف يد قوية ، من أيادى المردة ، تهبط

بها في طرق عنيف ، والخبطات القوية تزداد شدة وكأنها تنصب فوق رأسيهما مباشرة

وعاد الملك « سيف » يتلفت حوله في ذعر ، وهو يحصى هذه الطرقات التي تتردد في انتظام ورتابة . . ولكن سرعتها تزداد من لحظة لأخرى وفجأة اجتاحه خوف قاتل ، وأسرع يمد يده إلى صدره ، ويضعها هناك لحظات ، أدرك بعدها سر ذلك الصوت الرهيب . . لقد كان صدى دقات قلبه ممتزجا بصدى دقات قلب المارد . . وحين نظر إلى وجه المارد ، أدرك من تعبير عينيه المدعورتين أنه عرف هو الآخر سر هذه الطرقات المنتظمة العنيفة التي كادت أن تحطم كل ما يربطها بالحياة ، وتبادل الاثنان نظرة متسائلة ، ثم انطلقا يجريان معا بكل ما يملكان من قوة ، واصوات أقدامهما على الأرض ، تتزايد وتدوى كأنها أقدام جيش مدعور يفر في معركة خاسرة ، واصوات أنفاسهما اللاهثة تتعقبها كأنها زفيف ريح غاضبة ، ودوى خفقات قلبيهما المدعورين يدوى فوق رأسيهما كأنه أصوات صخور ضخمة انتزعتها عاصفة غاضبة ، وهوت بها متتابعة إلى فرار سحيق . .

كانا يجريان جنبا إلى جنب في سرعة مذهلة ، وقد وضع كل منهما يديه على أذنيه ، يجنب عنها قدر ما يستطيع تلك الاصوات الممتزجة المختلطة التي تطاردهما ، والأذان من كل مكان تتحول نحوهما ، من كل حجم ، من كل شكل ، من كل لون . . أذان تسمع وترجع الصدى ، وأذان تلتقط الصدى وترجعه مرة أخرى ، وهما يلهثان في يأس ، يجريان في رعب ، يهربان من الهول حولهما . . وأحس الملك « سيف » وهو يجرى ، أنه لم يعد يحتمل كل هذه الضججة

كانت رأسه تكاد تنفجر ، وقلبه يكاد يكف عن ضرباته ، وأنفاسه

تكاد تخبس في صدره ، وقد أخذ الاعياء منه كل مأخذ ، وحاصر الخوف عزيمته فاعتقلها ، وكاد يتهاوى إلى الأرض يائسا مستسلما ، حين رأى بعينه المذعورتين نهاية الدغل تقرب ، ولمح ضوء الشمس يبدو من خلال فرجات الاشجار التي تشكل آخر حاجز بينه وبين النجاة ، فأشار بيده إلى المارد واندفعا معا يخرقان ذلك الحصار الذي فرضته عليهما الأذان التي تطل من آخر صف من الاشجار ، وكان الصوت قد بلغ أفسى شدته ، والصدى أعنف درجاته ، فاندفعا في عنف ليشاهدا أمامهما نهرا ، يفصل هذا الدغل المقيت عن باقى الجزيرة . . فقفز اليه دون تردد ، ليغمسا آذانها المرهقة تحت مياهه ، وليسبحا في عنف نحو الشاطىء الآخر ، وما زالت أصدااء جريهما تتبعهما ، وهما يسبحان في النهر ، ولكنها أخذت تخف تدريجيا كلما ابتعدا عن الشاطىء ونظر الملك « سيف » - وهو يسبح - إلى المارد يشق الماء إلى جواره وقال :

- لقد نجونا . . !

وقال المارد :

- ألا ترى ماء النهر الذى نسبح فيه ؟

وحين نظر الملك « سيف » إلى الماء الذى يضربه بذراعيه بقوة ، انتابه

ذعر جديد ، فقد كان يسبح في نهر من دم . . !

* * *

ما أن وصل الملك « سيف » والمارد « الخيرقان » إلى ضفة النهر ، حتى ركع المارد أمام الملك مبتهلا في ضراعة أن يعطيه لوحة ، ويدعه ينصرف إلى حال سبيله ، وقال المارد :

- ان مهمتى هي أن أصل بك إلى جزيرة البنات في نهاية جزر واق

الواق، وليس في هذه المهمة على الاطلاق أن نتعرض لهذا الجحيم الذى
تصر أن تقذفنا في مهلكه ومخاطره

وأبهى المارد « الخيرقان » حديثه قائلا :

- فشىء من اثنين . . اما أن احملك واذهب بك فورا إلى جزيرة البنات
واما ان تعطينى لوحى وجزاك الله خيرا . .

وابتسم الملك « سيف » وهو يقول :

- لقد أحالك الرعب أيها المارد إلى جبان رعديد . . وما كنت أظن أن
الامر يصل بك إلى حد التفكير في الهرب . . !

فتأوه « الخيرقان » في ألم وقال :

- أنت لا تعرفنى أيها الملك . . ليس في هذه الجزائر كلها من هو
أشجع منى من الجن أو الانس ، ولكن هذا الامر الذى نعانيه فوق
الشجاعة وفوق الاحتمال . . أننى في الحرب لا أهاب الموت ، وكم من
مردة عتاة أذلّتهم قوتى ، وكم من جموع غفيرة واجهتها وحدى ، ولكنى
كنت دائما أعرف من أقاتل ولماذا أقاتله . . أما هنا فنحن نخرج من مجهول
لنتقع في مجهول ، ونرى هذه الأشياء المهلكة تواجهنا بالعداء بلا سبب ،
وتريد أن تقضى علينا دون جريه . . !

فقال الملك « سيف » :

- ولكنك نسيت أيها المارد « الخيرقان » أننا نعرف الآن مالا يعرفه أحد
غيرنا ، والمعرفة نفسها غاية تبرر أن نقاتل وإن نتحمل

فقال « الخيرقان » وهو يهز رأسه في عناد :

- قد يكون هذا صحيحا بالنسبة لكم معشر البشر ، ولكنه عندنا نحن
ليس له قيمة . . ولست أريد منك أن تتراجع عما تريد من معرفة ،
فهاهى أمامك انهل منها كما تشاء ، أما أنا فاتركنى أذهب إلى حال سبيلى

أحسن الله جزاءك ، وأنا لك ما تريد من معرفة . .

فضحك الملك « سيف » وهو يقول :

- نحن الآن في وسط الجزيرة تماما ، وقد شاهدنا نصفها . . فينبغي الا نترجع عن مشاهدة النصف الآخر ، وأظن أننا قد انتهينا من أخطر ما في الجزيرة ، ولن يكون أماننا الا ما يشابه الزهرة ، نقطع فيه النصف الآخر من الجزيرة آمنين مطمئنين

فوثب « الخيرقان » في ذعر وهو يصيح :

- إذن فأنت مصمم على دخول هذا الدغل الجديد ، ولم يكفك ما لاقت من جنون ورعب ، فيها شاهدناه حتى الآن في هذه الجزيرة الملعونة . . ا

ووقف الملك « سيف » وهو يقول :

- نعم سنشاهد معا سر هذا الجمال الرائع ، الذى يشع سحره من أشجار هذا الدغل القريب الذى أظنه يفوق كل ما رأينا سحرا وفتنة . .
ثم تحول عنه واتجه إلى الدغل الذى كانت ألوان الشعور المناسبة من أشجاره أشد غرابة وأكثر فتنة ، من كل ما رأى الملك « سيف » في حياته من ألوان الزينة ، ومظاهر الجمال ، وقد استهواه هذا المزيج الغريب من الألوان الذى أخذ يتألف تحت أشعة شمس ما بعد الظهرية ، كأنه موسيقى مبهمه تشاهدها العين فتسمعها الاذن وتطرب لها ، وكلما اقترب الملك « سيف » من الدغل ، ازداد احساسه بأنه أمام لوحة رائعة امتزجت فيها الألوان في براعة فائقة ، وشدته روعتها شدا ، كأنها هو مسوق تدفعه إليها خيوط خفيفة وقال :

- ان الشعور فوق هذه الأشجار ، أشد كثافة من غيرها أيها المارد ، وان سحرها وجمالها لكفيلان بأن يقتلا أكثر النساء في عالمنا حسدا وغيره ا

ولكنه انتبه إلى أن المارد لا يرد عليه ، وحين نظر إلى جواره تأكد أنه لا يتبعه على الطريق . . ووقف الملك « سيف » ونظر وراه . . وهناك عند حافة النهر كان « الخيرقان » يقف منكمشا وكأنه يخفى جسده الضخم وراء الاعشاب القصيرة ، التي انتشرت على ضفة النهر ، فصاح عليه الملك « سيف » مناديا ، ولكن « الخيرقان » ازداد انكماشاً محاولاً الاختفاء عن أنظاره ، وظل الملك « سيف » يناديه و « الخيرقان » مع كل نداء يجدد محاولته الساذجة للاختفاء خلف الاعشاب التي ما كانت لتصل في طولها ركبته ، ولم يجد الملك « سيف » بدا ، من أن يعود على أعقابه إلى حيث وقف « الخيرقان » ، وصاح فيه قائلاً

- أنت تعلم أنني أستطيع أن أحرقك - ان شئت - ان خالفت أمرى ، فلوحك المرصود معى . . وأنا أمرك أن تكف عن هذه المحاولات الصيبانية المضحكة ، وأن تأتى معى ، لتكمل مشاهدة باقى الجزيرة وكان الخوف المرتسم على وجه « الخيرقان » يؤكد أنه يفضل أى شىء على القيام بهذه الرحلة . . ولكن اطراقة رأسه ، وسيره المدعن وراء الملك « سيف » كانا يؤكدان أنه لا يفضل الحرق بأى حال من الاحوال ! وهكذا عاد الملك « سيف » متجهاً إلى الدغل ووراء « الخيرقان » المدعور يسير بخطوات مترددة وجلة ، وقال الملك « سيف » مشيراً إلى الشعور المناسبة ، من أشجار الدغل الذى اقترباً منه ووقفاً أمامه تماماً :

- ألا ترى كل هذا الجمال . . ؟

وجاء صوت « الخيرقان » المدعور وهو يقول :

- لست أخاف فى هذه الجزيرة الا من الجمال . . فكلما ازداد المظهر جمالا ، أخفى وراءه المصائب والكوارث ، فيا خوفي من هذا الجمال . . ولم يكن الملك « سيف » يستمع اليه . . فقد مرت نسمة هواء رقيقة

عذبة ، تماوجت لها الشعور ، فامتزجت ألوانها ، كأنها شلال لون تتابع فيه كل ألوان الطيف في اتساق ونغم . . وكلما تحرك الملك « سيف » متأملا تلك القدرة الخارقة في ابداع الألوان ومزجها ، تبعه « الخيرقان » وهو يتلفت حوله في حذر وترقب وقد أعمى الخوف عينيه عن رؤية أى جمال في كل ما حوله . . وعاد الملك « سيف » يقول وهو كالمبهور :

- ان مثل هذا الجمال يحتاج إلى شاعر قدير ليصف حسنه ، ويبرز جماله .

ولم يرد « الخيرقان » لانها كانا قد أصبحا في وسط الدغل تحيط بهما الاشجار من كل مكان ، وكانت هذه الاشجار تبدو له أكثر ضخامة من أشجار الدغلين السابقين ، وكانت شعورها تبدو له أشد كثافة مما كان يكسو الاشجار السابقة ، وكانت تتنازعه رغبة شديدة ، في أن يقتحم شعر أحد هذه الاشجار ، ليتأكد مما فيها ، وليسرع في مجابهة الخطر الذى كان متأكدا أنه يجثم متحفزا متوثبا خلف هذا البريق ، الذى تعكسه هذه الشعور الملونة المتماوجة . . ولكن الخوف كان يمنعه من أن يفارق الملك « سيف » ، فظل يتبعه عن كשב ، وهو يتوغل في داخل الدغل ، وقد أرهف أذنيه ، وفتح عينيه ، وتوفزت عضلاته كلها في انتظار المجهول . .

كان الملك « سيف » مشدود البصر إلى ما حوله في استمتاع كامل ، واستغراق حقيقى ، يستهويه لون أحد الاشجار فيظل أمامه فترة طويلة ويرفع عينيه متتبعا هذه الاسلاك الحريرية من الشعر الهفهاف حتى أعلا الشجرة حيث تخرج من قلبها ثم تنحنى في أنسياب . . وكانت القمة دائما تستهويه ، حيث تعكس أشعة الشمس على انحناءة هذا الموج الكث من الشعر ، فيشتد لمعانه ، وتصبح لالوانه امتدادات تشع ضوءا وسحرا ، وقد بدأ الاطمئنان يملأ قلبه ، وبدأت الثقة تعود إلى نفسه . . وازداد ايمانا

بما قاله « للخيرقان » من أن مجال الخطر قد انقضى ، فقد مضى عليهما في الدغل فترة طويلة ، ولم يشاهدا فيه الا الأمن والسلام يشعهما الجمال من حولهما ، وملاؤه احساس بالاسف ، لان كل هذا الجمال معزول هنا بعيدا عن الناس ، لا يراه أحد ، ولا يعرف بوجوده مخلوق حينها أحس بلمسات خفيفة على كتفه فقال :

- لا تصرفنى عما أنا فيه أيها « الخيرقان » ، فان الجمال هنا لمذهل . . ا
وجاء صوت « الخيرقان » وهو يتقدم ليقف أمامه :
- ماذا تقول أيها الملك ؟ . .

ثم توقفت الكلمات في حلق « الخيرقان » وجمحت عيناه وشحب وجهه ، وارتعشت شفتاه ، ونظر الملك « سيف » اليه في دهشة وهو يقول :

-ماذا بك أيها المارد . . ؟

وعادت اللمسات إلى كتفه مرة أخرى ، فجفت الكلمات على شفتيه ، وقد أحس بنفسه يتسمر في مكانه . . فها هو « الخيرقان » المذعور يقف أمامه ، وليس معها أحد في الدغل ، ومع هذا فان اللمسات التي يحسها على كتفه ، لمسات يد لا شك فيها ، وهى تربت على كتفه في رفق ، كأنها تريد ان تلفته إلى شىء ما . . وفي ببطء شديد ، أخذ الملك « سيف » يحول رأسه تدريجيا ناظرا إلى كتفه الايمن ، وهناك كانت يد رقيقة صافية البشرة ، دقيقة الاصابع ، طويلة الاظافر في اتساق وجمال تربت برقة ونعومة فوق كتفه . . وجاء صوت « الخيرقان » متقطعا مبوحا يخرج كالفحيح وهو يقول :

- أنها يد . . ا

ولم يكن هناك شك في أنها يد . . ويد أنثى رقيقة . . لعل هذا الدغل

تسكنه حوريات من الجنة ، ذوات جمال وفتنة ، تكشف عنها هذه اليد الرقيقة . . ورسم الملك « سيف » على شفثيه ابتسامة مرحبة ، وهو يلتفت نحو فاتنة الدغل التى تربت على كتفه الايمن ، وكاد قلبه يكف عن الخفقان وماتت الابتسامة على شفثيه . . فوراء اليد الرقيقة الناعمة كانت ذراع بضة وردية ، ثم لا شيء الا الشجرة ، وجاء صوت « الخيرقان » تهزة الرجفة ويحشرجه الذعر :

- أنها زهرة . .

وأمعن الملك « سيف » النظر ليرى فى هذه المرة ، أن اليد تركز على أوراق متفتحة ، ثم غصن طويل يرتبط بالشجرة . . ولاحظ وعيناه تكاد تخرجان من مآقيها عشرات الاغصان تخرج من الشجرة ، تحمل كل منها برعما طويلا مضموما . . ما أن يخرج من وسط الشعر الكثيف حتى يتفتح بسرعة مذهلة ، لتخرج منه ذراع رقيقة تمتد وتستطيل إلى أن تصبح فى حجم الذراع الأدمية ، ثم تتجه اليه تتحسس وجهه وتلمس عنقه المندى بالعرق ، وتمسك برقة بأجزاء ثيابه وشعره وكانت لمسائها مبتلة ، كأن الأيدي مغطاة بشيء لزج ، تبعث كل لمسة منها القشعريرة فى جسده . . وبينما كان الرعب يغلف قلبه أحس أنه أصبح هدفا لعشرات الأيدي تجسه وتلمسه وتستكشفه ، وتقيس أبعاد جسده ، وكأنه سقط فى مدينة من العميان ، يرقبونه بعيون جوفاء ميتة ، ويتحسسونه بأيد شرهة مقيتة وصاح « الخيرقان » فى رعب شديد ، فالتفت إليه الملك « سيف » . . وهناك على كتفه وعند وسطه وفوق رأسه وحذاء ساقه امتدت أيادى من الشجرة التى يقف إلى جوارها غليظة خشنة مليئة بالشعر الكث ، تتقوس فيها الاظافر كأنها مخالب ، وتتحرك الاصابع فى قوة تبرز العضلات النافرة التى تملأ الكف والساعد

لقد كان « الخيرقان » هدفا هو الآخر لتجربة لعلها أشد وأقسى من تجربة الملك « سيف » إلا أن « الخيرقان » لم يكن مستسلما للمسات هذه الأيدي الممتدة حوله من كل مكان ، بل أخذ ينفذ السواعد عنه في قوة ، وصرخاته تتعالى وحركاته العنيفة تشتد ، وسرعان ما أصبح في معركة حقيقية مع الشجرة التي أخذت الأيدي تخرج منها بكثرة مذهلة . . وكلمها أبعد يدا التجهت اليه يدان ، وكلمها أزاح قبضة أسرعته اليه قبضتان ، وهو يضرب بيديه وقدميه ورأسه الضخم يشتد ويتعالى ، ينبعث منه زنين الحرب وصيحات القتال . .

وأدرك الملك « سيف » أن نتيجة المعركة بالنسبة « للخيرقان » معروفة ، فقد بدأت الأيدي تبرز بكثرة من مختلف الأشجار حولها ، ومهما كانت قوة « الخيرقان » فإن إصراره على القتال وهو واقف في مكانه سيؤدي به إلى الهزيمة . . فاندفع متجها اليه ليخرجه من هذه المعركة الخاسرة ، ولكنه أحس بشيء يجذبه إلى الخلف ، وفي ذعر شديد أدرك الملك « سيف » أن الأيدي الرقيقة التي كانت حتى الآن تتلمسه قد أمسكت به تثبته في مكانه ، والتف في قوة محاولا تخلص نفسه فاذا بالقبضات تشتد قوة ، تطبق على كتفه وعلى قدمه ، وعلى ساعده . . وأخذ يخلص نفسه بصعوبة ، وهو كلما حرر قدما ، اعتقلت الأيدي الناعمة اللزجة قدما أخرى ، وكلما خلص كتفا امتدت القبضات تمسك كتفا آخر ، واشتدت حركات الملك « سيف » عنفا ، وهو يتنزع ذراعيه من الأيدي الممسكة بها انتزاعا ، وصيحات « الخيرقان » تثيره وتلهب حماسه . . وسرعان ما وجد الملك « سيف » نفسه في معركة حقيقية مع الأيدي العديدة التي أخذت تتزايد وتتضاعف كلما ازدادت مقاومته عنفا وشدة وصاح الملك « سيف » في جنون :

- أيها «الخيرقان» أمدد يدك . .

والتفت إليه «الخيرقان» - وقد أدرك ما يعنيه - فخلص احد ذراعيه بعنف ومد يده إلى أقصى ما يستطيع ، بينما خلع الملك « سيف » هو الآخر احد ذراعيه ومدها بسرعة ، ليقبض على يد «الخيرقان» الممدودة ، وأخذ كل منهما يجذب الآخر نحوه ، وقد وضع كل قوته في هذه الجذبة التي كانت تمثل لهما الحياة أو الموت ، بينما اشتد تعلق الايدي في كل شجرة ، بما تمسك به من أطراف وثياب من يجاورها منها ، وعاد الملك «سيف» يصيح :

- اهدأ تماما أيها «الخيرقان» حتى تطمئن الايدي وتترأخي ، فنخلص

منها . .

وبينما أمسك كل منهما بكف الآخر ، توقف تماما عن المقاومة بذراعه الاخرى ، وسكن جسدهما دون حركة ، واشتدت القبضات على كل منهما لحظات ، أحس فيها الملك « سيف » بقرب النهاية ، وفشل خطته ، ثم بدأت الايدي تترأخي قليلا ، لتعود إلى اللمس مستكشفة ما تقع عليه من أجزاء جسديها ، وحبس الملك « سيف » أنفاسه مترقبا ثم صاح فجأة :

— الآن . .

وجذب «الخيرقان» بكل قوته ، بينما جذب «الخيرقان» بعنف . . فاذا بهما يصطدمان في شدة ويقعان على الأرض ، وقد تخلصا من الايدي الممتدة من الشجرتين باحثه عنهما متحسسة الهواء حيث كانا يقفان . . وما كادا يلمسان الأرض حتى أخذ كل منهما ينظر إلى الآخر في ذعر ، وقد هالتهما الميته المرعبة التي كادت تودى بهما ، وهبا واقفين وأسرعما يجريان متلازمين في سرعة متجهين إلى الناحية الأخرى من الدغل ، وقد أخذوا يلهثان بينما ملأ العرق المتصبب جسديها ، وانداحت حباته فوق

جبينهم ، تكاد تحجب عنهما الرؤيا ، وقال الملك « سيف » وهو يجفف عرق وجهه المتصبب :

- لقد نجونا بأعجوبة . .

فرد عليه المارد وهو يجرى إلى جواره قائلاً :

- اننا لم نخرج من هذا الدغل المجنون بعد . .

وفجأة طرق سمع الملك « سيف » صوت المارد وهو يصيح محذراً :

- انظر حولك أيها الملك ، ان الايدي تخرج من بين الاشجار من أمامنا

وخلفنا في سرعة مذهلة . .

وبعين ذاهلة ، وقلب واجف ، رأى الملك « سيف » ما سبق أن رآه

المارد ، فكأنها سرت دعوة مفاجئة إلى كل الاشجار ، فاستيقظت من

سباتها ، وانبثقت الازهار العديدة من بين الشعور الملونة ، تفتتح بسرعة

مذهلة ، وتخرج منها الايدي لتنمو وهي تمتد نحوهما ، وكأنها تدرك من

قبل مكانها . .

أيد رقيقة طويلة معروقة اصابعها كالمخالب ، وتمتد اظافرها حادة

كأطراف الخناجر ، تمتد في جنون نحوهما . . وأخرى غليظة مربعة

سواعدها قوية مفتولة ، والشعر الكث يغطيها ، واصابعها الغليظة

القصيرة تنتهي باظافر متسخة سوداء ، تمتد في جنون نحوهما . . واخرى

رقيقة حلوة ، بضة الساعد ، طويلة الاصابع مصقولة الاظافر تمتد في

جنون نحوهما . . واخرى مفتولة العضلات قوية الساعد ، كأن اصابعها

أفاعى صغيرة ، تطل رءوسها في جنون وهي تتجه نحوهما . . وأيد

ملتوية ، مشوهة الكف ، منثنية الاصابع ، تنتهي باظافر حادة ، كأنها

أسنان حيوان مفترس . تمتد في جنون نحوهما . . وأيد قد خلت من اللحم

وبدت العظام فيها ناحلة بيضاء ، وخرجت الاصابع قطعاً من العظم

المشوهة ، كأنها خارجة من قبر ، تمتد في جنون نحوها . .
وهما يجريان ويجريان . . يلهثان ، يتعثران ، يرتطم كل منهما بالآخر ،
وتصلهما بين الحين والحين لمسات خفيفة ، وتبرز أمامهما كل حين أياد
جديدة تترقب في صمت صاحب مليء بالتهديد والوعيد
وانحنى الطريق أمامهما فجأة ، فلم تكن هناك فرجة بين الأشجار
التي اختفت شعورها وراء الأيدي الممتدة ، سوى هذه الانحناء التي
تبدو من بعيد ، وبين الأنفاس اللاهثة هتف الملك « سيف » :
- لعل هذه الانحناء تقودنا إلى خارج الدغل . .

ولم يرد عليه « الخيرقان » فقد كانت عيناه الذاهلتان تتطلعان حوله
وأمامه في ذعر مجنون . . ولكنه ضاعف من سرعته ليلحق بالملك « سيف »
الذي اتجه نحو هذا المنحرج تحفه اشجار مليئة بالأيدي ، وماكاد الملك
« سيف » يدور مع المنحنى حتى أحس بيد ثقيلة توضع على كتفه في
عنف ، فملاؤه ذعر مجنون ، إذ لاح له ضوء الشمس واضحا في نهاية
الطريق الضيق الذي ولجه . . لقد كانت نهاية الكابوس قربية ، لا
يفصله عن الحرية سوى خطوات قليلة ، وها هي هذه اليد الغليظة تحاول
أن تعيقه ، وبكل ما يملك من قوة جذب نفسه من هذه القبضة ، فانتزع
نفسه منها ، ولكنه لم يستطع أن يستعيد توازنه . . فظل مندفعاً إلى الخلف
خطوات قليلة ، كانت كافية لأن يحس نفسه فريسة لعشرات الأيدي ،
التي تتلقفه من الشجرة التي كانت خلفه تماما ، وحاول أن يجذب نفسه
من جديد ، ولكن الأيدي كانت تتزايد ، تمنعه من الحركة ، وتشل قدميه
عند رسغ القدم يد ، عند الساق يد ، عند الركبة يد ، عند الفخذ يد ،
فوق كل جزء من جسده يد جديدة ، تخرج من حيث لا يدري لتمسكه في
جنون وقوة

وأحس باليأس الخائق ييجثم على أنفاسه ، وبالرعب المमित يشل حركته ، واضطربت أنفاسه وتحشرجت ، وغامت عيناه واهتزت الرؤية ، وكاد يفقد وعيه حينها أعاد اليه الانتباه صوت « الخيرقان » وهو يصيح في ولولة باكية حزينة فيها اليأس والمرارة وفيها العجز والفشل ، وأمامه كان « الخيرقان » قد وقع فريسة لشجرة ضخمة ، أطبقت الأيدي الممتدة منها عليه . . مئات الأيدي تحيطه وتمسكه وتعتقل حركته ، ومئات أخرى تخرج وليدة من الشجرة ، برعم مفضول يتفتح في سرعة مذهلة وتخرج اليد صغيرة ضئيلة ، ثم تكبر وتكبر وتمتد وتمتد ، لتجد طريقها هي الأخرى إلى جزء من جسد « الخيرقان » الضخم ، تطبق اصابعها عليه في شدة وقوة وكان هو يحس في كل لحظة بوقع يد جديدة تخرج لتجد لها مكانها فوق جزء من جسده ورآه « الخيرقان » فصاح متأوها :

- أهذا أنت أيها الملك ؟ . . لقد طنتك قد هربت . .

ونسى الملك « سيف » خوفه وهو يرى النظرة الغريبة على وجه المارد ، نظرة العجز والخوف واليأس وقال :

- أين جبروتك أيها « الخيرقان » ، أهذا حقا ملك الجن في هذه

الجزائر؟!

وانطلق يضحك ملء رثتيه من صميم قلبه بكل قوة حنجرته . . كان يضحك ويضحك ويضحك ، وأحس بجسده كله يهتز ، والضحكات المجلجلة تنفجر من فمه في عصبية وقوة وطفرت الدموع من عينيه غزيرة وقوية . . الملك « سيف بن ذى يزن » من دانته له قوى الانس والجن ، من ركب الهواء وغاص في الماء ، من فتح الممالك وأذل العتاة و « الخيرقان » ملك الجن يقطع مسيرة عام في يوم ، ويحمل الجبال بين يديه ، يدك بها المدن ويحطم بها الجيوش . . وعاد يضحك ويضحك من جديد حتى أحس برثتيه تكادان تنفجران . . فهذا وهو يشرق بأنفاسه ويسمع بأذنيه

دقات قلبه المتعالية ، وجاءه صوت « الخيرقان » وهو يقول :

- وهل يخرجنا الضحك مما نحن فيه أيها الملك ؟

فرجع الملك « سيف » رأسه . . ونظر إلى الوجه المدعور يكاد يخفى هو الآخر وراء الأيدي العديدة التي بدأت تمتد إلى شعره وأذنيه وأنفه ، وقال في همس وقد بدت في عينيه نظرة أمل :

- السيف ، الأيدي لا تحارب الأباييدي . .

وفجأة بدأت يد الملك « سيف » اليسرى تقوم بمجهود كبير لتقاوم الأيدي الملتصقة بها ، كما بدأ يضرب بقدميه في عنف ، وأسرعت الأيدي إلى أعضائه التي تتحرك في جنون ، وكانت يد الملك « سيف » اليمنى لا تتحرك كأنها شلت في مكانها ولكنه أحس بالامل يغزو قلبه حين رأى بوادر نجاح خطته ، اذ بدأت الأيدي تتخلى عن يده اليمنى وتتجه إلى يده اليسرى وقدميه التي اشتدت حركتها وزادت مقاومتها ، وحين أحس أن اللحظة المناسبة قد جاءت ، أطاح بيده اليمنى بكل قوة لتتخلص من الأيدي القليلة التي كانت ممسكة بها وتمتد في سرعة خارقة إلى مقبض حسامه يمتسقه ليلمع نصله في أشعة الشمس وهو يهوى بشدة فوق الأيدي العديدة التي تحيط به وتتساقط الأيدي ، ويرتفع السيف ويهوى في قوة وبأس

وتتساقط أيد جديدة ينبثق منها سائل أحمر كالدم ، وقطرات من السائل الكريه تنزل على وجهه ، ومزق الأيدي تتساقط أمامه ، وهو يضرب ويضرب ، وأشلاء الأيدي تتراكم عند قدميه ، وبركة الدماء التي تنزف توحد الأرض حوله ، ولكنه يضرب ويضرب بدون وعى وبلا تفكير، وأيقظته صيحة « الخيرقان » مليئة بالامل ، طافحة بالاستبشار. . وحين جذب الملك « سيف » نفسه هذه المرة ، لم يكن هناك ما يعوقه سوى

جذبات ضعيفة ، ثم تحرر ، واتجه ناحية « الخيرقان » وهو يصيح ويهدر صيحات الحرب ، وارتفع السيف وهوى في عنف ، وتحطمت ايدي وانثقت دماء ، ثم ارتفع السيف وهوى مرة أخرى وصاح « الخيرقان » :
- إلى اليسار أيها الملك ، لا شلت يدك ، ولا انثلم سيفك . .

وارتفع سيف الملك من جديد ، ليهوى إلى يسار « الخيرقان » وخرج « الخيرقان » من وسط الايدي التي كانت تحيط به وهو يمزق بكل قوته ما ظل عالقا به من الايدي الممتدة . . وصاح الملك « سيف » :
- ضوء الشمس يبدو هناك . . فهيا بنا اليه . .

ولكن الطريق لم يكن ممهدا كما ظن الملك « سيف » ، فكأننا جنت الاشجار . . وفي الطريق أمامها كانت ألف يد تمتد كلها وتتطاول لتسد الطريق ، لتحجب عنها ضوء الشمس ، لتثقل أمامها باب الامل ، فرفع الملك « سيف » حسامه وهو يصيح « ياخيرقان » :
- اتبعنى . .

واندفع يجرى وهو يضرب ويضرب ، ليشق لنفسه طريقا وسط الايدي الممتدة التي اخذت تتساقط امام ضرباته ، والاظافر تمتد لتدمى وجهه وتمزق ثوبه والقبضات القوية تمتد لتلطمه وتضربه وسيفه يمزق ذلك الحاجز الرهيب يرتفع وينخفض ، والدماء تسيل والاشلاء تتطاير ، و«الخيرقان» من ورائه يجذب الايدي ويمزقها ، ويكيل الضربات والركلات وهو يحطم ويبيد ، وفجأة وجد الملك « سيف » نفسه يواجه ضوء النهار الذى أخذ يميل إلى الغروب ، فاندفع يجرى بكل قوته ، وهو يحس بخطوات المارد تتعقبه إلى أن رأى نهرا أمامه فقفز اليه واخذ يسبح بكل قوته ، وسرعان ما سمع صوت المارد وهو يقفز إلى الماء وضرباته القوية تشق صفحة النهر ، لتبتعد به عن دغل الايدي الرهيبة . . ونظر

الملك « سيف » وراءه ليتأكد من أن ما سمعه هو صوت « الخيرقان » فرأى وجهه يبرز من بين الماء ويختفى من جديد وهو يشق صفحة النهر متجها إليه ، واستوقف نظر الملك « سيف » لون ماء النهر ، وسرعان ما ادرك انه يعوم من جديد فى بحر من دم . . ا

* * *

ليس يدرى أحدهما كم ظلًا جائمين على الأرض المعشبة إلى جوار حافة النهر ، وقد اجتمع عليهما البلل والتعب ، وعديد من المشاعر المتباينة المتناقضة ، تخلفت عن هذه التجربة المريرة التي كادت تكلفها حياتها ، وقال المارد وهو ينظر إلى السماء :

- أوشك النهار أن يتقضى ايها الملك ولم تأكل شيئاً . .

فقال الملك « سيف » ، وهو ينظر أمامه فى اهتمام واستغراق :

- ان من يشاهد مثل هذا الجمال ، ينسى كل ما يتعلق بالاكل والشراب . .

فقال المارد فى دهشة :

- أتسمى هذا العذاب المقيت جمالا ١٢

فعاد الملك « سيف » يقول ، وهو ينهض على قدميه :

- انى اتحدث عما أراه الآن امامى . .

والتفت « الخيرقان » إلى حيث ينظر الملك « سيف » ولم يملك نفسه . . فبدرت منه صبيحة دهشة واعجاب خافتة ، فأمامها كانت مجموعة كثيفة من الاشجار ، تشترك مع ما رأياه فى هذه الجزيرة من أشجار فى أنها مكسوة بشعر كث غزير متعدد الألوان ، ولكنها تختلف عن كل ما رأياه فى انسجامها المذهل ، وجمال الوانها ، وتنوعها ، وتداخلها فى اعجاز يشد البصر ويذهل العقول

وكانت أشعة الشمس التى بدأت تميل إلى الغروب ، تنعكس بضوئها الشاحب على أشجار هذا الدغل ، بينما تتباجج خصل من الشعر مع هبات نسيم الغروب ، لتحيل المنظر كله ، إلى تموجات راقصة رقيقة ، كأن ألف فاتنة قد مضت ترقص نشوانة على نغمات سحرية لا تسمعها أذن ، وإنما يعكسها التموج الرتيب لشعورهن المسدلة فى دلال ورقة ، تكاد تبدل على الاجساد الفاتنة الرخصة التى تختفى وراء هذه الثروات الرائعة من الشعر الاثيث ، وانتزع المارد « الخيرقان » نفسه انتزاعا من سحر المنظر الذى يراه ، وهو يقول :

- ان هذا الدغل ليبدو أروع ما رأينا فتنة ، ولا شك أنه يخفى أبشع ما فى الجزيرة خطرا ومحنة . . ا

ولكن الملك « سيف » لم يكن يسمع له ، فقد اتجه ذاهلا وكأنها تسحره قوة غريبة عن نفسه ، إلى حيث اصطفت الاشجار الأولى التى تكون الدغل الأخير فى هذه الجزيرة ، وأسرع المارد وراءه حتى لحق به ووضع يده على كتفه وهو يقول :

- أيها الملك ، أيها الملك ، إلى أين . ا .

فالتفت اليه الملك « سيف » وهو يقول :

- ألا ترى كل هذا الجمال ؟ ا .

فقال « الخيرقان » :

- نعم أنى اراه ، وأنت أيضا قد رأيت ، وهذا يكفيننا نحن الاثنين ،

فهيا بنا نغادر الجزيرة

فقال الملك « سيف » وفى صوته رنة عناد :

- بل لابد لى أن أرى هذا الجمال عن قرب ، وأن أعرف سره ، وما

يخفيه . .

فقال «الخيرقان» متوسلا :

.. ألا يكفيك أيها الملك ، كل الاسرار التي عرفناها . . أن جسدى كله
ليثن من وقع اخر الاسرار التي اكتشفناها ، وجلدى قد تمزق من أظافرها
المسنونة . .

فضحك الملك « سيف » وهو يقول :

.. أن هذا يا صديقى ، هو ضريبة المعرفة ، فلكل شىء ثمنه . .

فهز «الخيرقان» رأسه فى عناد ، وهو يقول :

.. ولقد دفعت كل ما لدى من اثنان حتى أفلست ، وإن شئت أن
تجرئنى الآن فافعل فان مصيرى أن أحرق على أية حال ، والنار التى
أعرفها خير من هذه الأشياء الملعونة التى لا خبرة لى بها . .

وأحس الملك « سيف » من لهجة المرارة فى صوته ، ومن نبرة العزم
والتصميم الهادئة التى يتحدث بها ، أنه يعنى ما يقول فالتفت اليه قائلا:
.. اذن فأنت لا تريد أن تصحبنى هذه المرة . .

فقال «الخيرقان» فى نبرة متوسلة يائسة :

.. أننى أصبحك فى كل مكان وإلى أى مكان ، فقط أخرج بنا من هذه
الجزيرة الملعونة وكفانا ما أصابنا من أذاها وتأكد أيها الملك أننا لو خرجنا
من هذه الجزيرة ، لكننا أول الاحياء على وجه الأرض ، التى تدخلها ،
وتعود لتخرج منها من جديد ، فقد كنا فى عالمنا نحن معشر الجن ،
نسمع كثيرا عن سفن تحطمها الرياح بالقرب من هذه الجزيرة وتقذف
الاقذار بحارتها اليها ، ولكنهم ما كانوا يظهرون مرة ثانية ، وكان هذه
الجزيرة وحش هائل يلتهم ما يلقى اليه فى نهم وشراهة ولا يبقى منه على
شىء . وفى أول الامر كان الشباب منا معشر الجن ، الذين تزدهيهم
قوتهم ، وتغرم شجاعتهم ، وتنسيهم حماستهم كل حذر وحيطة ،

يتراهنون على اكتشاف سر هذه الجزيرة ، وكانوا يخرجون فرادى وجماعات ،
ويندفعون إلى هذه الجزيرة طائرين ، وقد اطمأنت قلوبهم اليها ،
واستراحت نفوسهم لرؤية جمالها المذهل الذى يبدو من السماء ، والوانها
البراقة وسحرها الجذاب ، ثم تمضى الأيام ، وتمتد الأعوام ، وهم لا
يعودون . . وحين يتقدم العهد نعرف أنهم ضاعوا فى هذه الجزيرة إلى
الابد ، وتعلم من يومها شيوخننا أن يحذروا أطفالنا من هذه الجزيرة ، فكل
أرض واق الواق مباحة لنا معشر الجن ، الا هذه الجزيرة ، فقد ظلت لغزا
محيرا لا يعرف سره احد . .

وأطرق الملك « سيف » إلى الأرض وهو يقول :

- ولكنك رأيت وشاهدت وعرفت وما زلت حيا . .

فقال « الخيرقان » :

وكفانى ما رأيت أن اردت ان أظل حيا ، وقد قلت لك ان بقائى على
الأرض يفقدنى أهم ما يتميز به المردة من القدرة على الحركة ، والحرية فى
التصرف . . فمجالى الذى استطيع أن استخدم فيه قوتى ، ليس سطح
الأرض أنها هو ، ذرا الريح وفضاء السماء

وظل الملك « سيف » صامتا فترة طويلة ، وعينا « الخيرقان » ترقبان
شفتيه فى قلق وتحفز ، وربت الملك « سيف » على كتف « الخيرقان » فى
مودة وهو يقول :

- لست أريد أيها الصديق ، أن أكرهك على ما تكره . . والواقع أنه لا
يجدر بنا أن نقذف بأنفسنا معا إلى مجال الخطر ، فنهلك دون ان نستطيع
أحدنا أن يمد يد المعونة إلى الآخر ، ونحن ما خلصنا من دغل الأيدى
المشثوم الا بها يشبه المعجزة ، ولو انك كنت حرا طليقا فى الفضاء ، لا
ستطعت ان تنقذنى دون عناء . .

وكانت أسارير المارد متهللة ، ووجهه منشرحا وهو يقول :

- ان روحي فداك ايها الملك . .

فقال الملك « سيف » :

- اذن اتفقنا ، سأدخل انا هذا الدغل اتمتع بجماله قبل ان تغرب أشعة الشمس ، بينما تصعد أنت في الجو لترقبني ، فاذا ما انتهيت من مشاهدة كل ما في الدغل ، أمكنك ان تهبط لتصعد بي إلى السماء ، ونستأنف رحلتنا . .

وانحنى المارد مبتهجا على يد الملك « سيف » يقبلها ، وقد ملأه شعور بالخلاص والراحة وقال للملك :

- نعم ما رأيت . . ولن أدعك تغيب عن بصرى ، ولن يستطيع خطر ان يمسك بسوء ، وأنا موجود ، أحلق فوق الجزيرة . .

وتركه الملك « سيف » واتجه مسرعا إلى الدغل ، وسرعان ما غاب بين أشجاره واختفى جسده بين طيات الشعر المتكاثفة . . وما ان غاب الملك « سيف » عن ناظره حتى اعترى « الخيرقان » شعور قاتل بالوحدة . . فهو وسط هذه الجزيرة الملعونة وحيد ، ليس له مكان فوق أرضها ، فسرعان ما ركل الأرض بقدميه وانطلق محلقا في الفضاء ، وقد بدأ احساسه بقوته وجبروته يعود إليه ، فيملاً أعطافه زهوا ، ينسيه مرارة ما لاقى على الجزيرة من تجارب مريرة ولكن هذا الاحساس سرعان ما توارى . . لبترك مكانه شعور مرير بالخزي ، فكيف يترك الملك « سيف » وحده، ويفر هو من مواجهة الاخطار التي سيتعرض لها . كيف وهو جنى مارد ، بل ومملك الجن في جزائر واق الواق ، يهرب من ميدان لم يجفل أمامه انسى عادى لا يملك مثل قوته ، ولا يتمتع بمقدرة كمقدرته ، أيكون هذا الإنسان القزم العاجز أقوى منه قلبا ، وأثبت جنانا ، وأقوى بأسا؟

ودار « الخيرقان » في الجو وعاد متجها إلى الجزيرة . . وقد انتوى ان يهبط إلى الأرض ليلتزم الملك « سيف » في تجربته ويواجه ما يتعرض له من اخطار ، ولكنه حين عاد إلى الجزيرة وأخذ يخلق فوقها ، اختلط عليه الامر، وتشابهت أمامه الادغال . . ولم يعرف في أيها ترك صديقه الملك ، فقد كانت الادغال الاربعة تقسم الجزيرة تماما ، تفصل بينها أنهار حمراء اللون ، ولكنها كلها متشابكة ، واقترب « الخيرقان » أكثر من ذى قبل حتى صار يطير فوق رؤوس الأشجار ، وراح يحدق في شدة ، عله يلمح ما يرشده إلى كيفية البحث .

وقطع « الخيرقان » الجزيرة طائرا فوقها مرتين ، قبل أن يبدأ احساس رهيب بالخوف يتسلل إلى قلبه . . ألم يكن مغرقا في التفاؤل حين وعد الملك « سيف » أن يظل يرقبه من السماء ؟ . . ألم يكن جبانا لا يريد الا ان يحصل على حرته ، وان ينطلق إلى الجو بعيدا عن الخطر المجهول ، دون ان يحفل بأمر صديقه في شيء ؟ . .

وتذكر « الخيرقان » كيف خلصه الملك « سيف » بحسامه البتار، وضرباته الجبارة ، من الايدي المتكاثفة التي أمسكت به وكادت تعدمه الحياة بعد ان أعدمته الحركة . . وبعيون غائمة من الحزن والاسى ، أخذ « الخيرقان » يتطلع للمرة الثالثة إلى رؤوس الأشجار في الجزيرة ، وهو يطير فوقها باحثا في يأس واصرار ، وترقب واصغاء ، وأشعة الشمس تميل تدريجيا نحو الغروب ، والنهار يلفظ اخر انفاسه ، والرؤية تصبح أشد عسرا والبحث يبدو أقل جدوى . ! .

* * *

حين ترك الملك « سيف » المارد « الخيرقان » واتجه إلى الدغل ، كان يحس بالرضى يغمر نفسه اذ ما كان يغفر لنفسه ، لو أصاب « الخيرقان »

سوء بسببه وما كان يصر على اصطحابه ، الا لتوهمه أنه يعلم من أمر هذه الجزائر ما يجمله هو ، ولكنه حين اكتشف أن «الخيرقان» يجهل من أمر هذه الجزيرة مثل ما يجهل ، وان «الخيرقان» يخشى من أمر المجهول أكثر من خشيته للموت ، لم يعد هناك ما يبرر أن يعرض المارد لأخطار لا مبرر لها . .

ولعله مما يبهج النفس حقا ، أن يحس الإنسان أن هناك قوة خارقة كقوة المارد «الخيرقان» تسهر عليه ، وتحرسه وتحميه

وسرعان ما عادت صور الجمال الراقصة ، تتماوج مع تماوج الشعور الملونة تعبت بها هبات نسيم الغروب تلفت نظره ، وتستحوذ على اهتمامه فنسى أمر «الخيرقان» واتجه بكليته يتأمل هذا الجمال الخارق ، الذي يعكس أروع الصور لقدرة الخالق عز وجل على ابداع الجمال وتكوينه وكانت أشعة الشمس المصفرة تخرق الشعر الكث ، وتعكس له ظللا على الأرض تتخللها نقط من الضوء وشرائح طويلة بيضاء ، فتتحول الأرض نفسها إلى مزيج من الضوء والظل يتحركان معا في تناغم وتناسب ، بينما ينبعث من أعطاف اشجار عطر حالم رقيق يعطر الجو كله ، ويملاً القلب باحساس هادئ يهدد المخاوف ، ويزيل الاضطراب

ومع هذا فقد كان الملك « سيف » يتطلع حوله في حذر ، وهو يخشى أن ينسبه ما حوله من جمال الاستعداد الخطر المخبوء الذي تعود أن يلقاه في كل دغل من أدغال هذه الجزيرة ، ولكن شيئا لم يحدث . . بل كلما ازداد الدغل جمالا ، كلما ازداد الملك « سيف » فيه توغلا ، ولم تفقد المناظر المتكررة جدتها ، فقد كانت رغم تشابهها تزداد غرابة وتشتد تنوعا ونسى الملك « سيف » تدريجيا حذره وخوفه . . فلم يكن هناك شك

في أن هذا الدغل آمن من المخاوف أو بدا له أن هذه الأشجار السامقة قد استعاضت عن الازهار فيها بدقة مالمشعورها من ألوان ، وروعة مالها من تكوين ، ووقف الملك « سيف » يتأمل احدى الأشجار الغريبة ، ومد يده يلمس شعرها على حذر . وكان الملمس رائعا كأنها يمسك بيده خيوطا من حرير متقن الصنع ، واستهواه جمال الملمس ، كما طمأنه أن شيئا لم يحدث ، فمضى يملأ راحتيه بخصل من هذا الشعر ، يستمتع بملمسها ، ويمتع عينيه بألوانها ، وقربها من وجته ليزداد احساسه بقرب هذا الجمال ، فملأ رثيته رائحة « عذبة » جميلة ، تنبعث من خصلات الشعر الاثيث يملأ راحتيه

ومضى يلتهم الهواء برثيته التهاما . . يستنشق هذه الرائحة العطرة ويحفظ بها في رثيته المتعطشتين ، ثم يفرها في ارتياح واستمتاع . . ومضى يسير الهوينى ، وهو يقف أمام كل شجرة بعضا من الوقت ، وقد بدأت أشعة الشمس تتجه إلى الغروب ، وتلقى بظلالها على الدغل ممتزجة بلونها الشاحب الحزين . . وازدادت رقة الهواء ، وعذبت الروائح المتصاعدة ، وكأنها يسير الملك « سيف » في روض من رياض الجنة ، أو في دنيا مسحورة فتن ساحرها بمزج كل أنواع الجمال في اتساق ونغم هادئ يهدد القلب ، ويريح النفس . وفجأة مزق الصمت عواء طويل ممدود ، كأنه ينبعث من ذئب جائع عثر على فريسته ، وأجفل الملك « سيف » وقد أحس أن مشاعره تشتت ، وانه يتمزق ، وقبل أن يلتفت إلى مصدر الصوت ، أصابته ركلة عنيفة لم يدر مصدرها فاذا هو ملقى على الأرض الصلبة ، وسط مجموعة من الحشائش المنداة ، وخفق قلبه في عنف وهو يحاول أن يلتفت ليرى مصدر هذه الركلة العنيفة . . ولكنه ما كاد يرفع رأسه ، حتى أصابته ركلة أخرى فوق وجهه ، فاذا هو ملقى مرة أخرى إلى

الأرض ووجهه إلى السماء ، ومازال ملمس القدم المفتولة العضلات التي ضربته على وجهه يملأ ذهنه كله ، ويثير في نفسه عديدا من الاسئلة ، ولكن عيناه اصطدمتا بالشجرة أثناء تجوالهما الحائر في كل ما حوله ، واذا به يرى - وقلبه يكاد يكف عن الخفقان - عشرات الاقدام تبرز من الشجرة وهي تتجه نحوه في توتر ، وكأنها تستعد لركلة من جديد ، لو بدرت منه أى حركة .

وقللكه رعب طاغ . . فقد كانت هذه الاقدام تنتهى عند الشجرة ، ولا يبدو أنها تلتصق بأى جسم بشرى . . كانت الشجرة كأنها نبتت لها عشرات الاقدام ، خرجت كلها في حركة غاضبة ترقب منه أى حركة لتبرر ركله من جديد ، وبينما كان يتأمل الاقدام البارزة في خوف وحذر، رأى شعر الشجرة ينفرج في أكثر من موضع ، لتخرج منه أغصان طويلة ، تنتهى براعم مستطيلة كبيرة الحجم ما ان تبرز حتى تفتح بسرعة مذهلة ، وتخرج من وسطها أجساد صغيرة تنمو بسرعة لتصبح هذه الاقدام القوية المفتولة العضلات ، ثم تلتفت نحوه في توتر وكأنها تستشعر مكانه بقوة خفية لا يعرف مصدرها

ومع كل قدم جديدة تبرز من الشجرة ، كان احساسه بالرعب يتضاعف ، وكان خوفه مما ينتظره يتزايد ، وفجأة تملكه احساس عارم بالخوف المميت فهب من رقدته مسرعا ، واندفع قافزا يجرى ولكنه لم يسر خطوات حتى اعترضت طريقه قدم برزت فجأة فاذا به يسقط فوق وجهه ، وتصطدم رأسه بالأرض . وقبل أن يتحرك من مكانه ، كانت الركلات تنهال عليه في تتابع مذهل وسرعة خارقة ، فوق كتفه ، فوق ظهره ، فوق ذراعه ، فوق رأسه ، فوق أنفه ، فوق عينيه . .

ولم يكن هناك وقت أمام الملك « سيف » ليعرف من أين تأتي هذه

الركلات ، بل لم يكن الملك « سيف » يحس بالألم أو بالخوف ، فقد سلبت الركلات المتتالية كل قدرة على الاحساس أو التفكير . . فقط كانت العضلات القوية المفتولة تغوص في لحمه وتصك جسده ، وتصطدم بعظامه في قوة . وكانت الدنيا تغيم ، ورائحة حريفة كأنها رائحة الغبار تملأ رئتيه ودوائر سوداء أمام عينيه ، ثم لم يعد يحس بشيء . . .

* * *

كان اليأس قد تملك « الخيرقان » في أن يعثر على أثر للملك « سيف » حين طرق سمعه صوت عواء طويل ممتد ، يبعث القشعريرة في أشد القلوب فساوة ، وشلل الصوت الجائع الملهوف تفكيره وأوقف حركته ، وقد انقبض صدره ، وأحس بيد قاسية تضغط على قلبه ، وملاه احساس غامر بأن الملك « سيف » يتعرض لخطر مجهول ، فقد كان الصوت يحكى فرحا وحشيا لحيوان جائع عثر على فريسة ، ولم يكن هناك شيء حتى فوق الجزيرة سوى الملك « سيف » . . وما أن استرد « الخيرقان » وعيه الذي شنته الصرخة العاوية ، حتى اندفع كالمجنون نحو مصدرها مخترقا الهواء في عنف .

ومست أقدامه رءوس الأشجار ، فاعتدل في طيرانه ، وقد انتابه شك في أن تكون هذه الجهة هي مصدر الصوت المرعب . . فلم يكن تحتها الا دغل هادئ ساكن لا يكاد يتحرك تحت الهبات الرقيقة لنسيمات الغروب ، ولم يطل تردد « الخيرقان » فلم يكن هناك وقت يضيعه في التفكير بل اندفع مسرعا إلى اليسار يحدق بكل قوته في الأشجار المتشابهة المترابطة ، حتى وصل إلى آخر الجزيرة في لحظات دون أن يرى شيئا .
وفي لهفة محمومة انحرف إلى اليمين ، ومضى يدقق النظر في كل شجرة

يمر فوقها ، وهى تتتابع تحته بريئة المظهر ساكنة الحركة ، وعندما اصطدمت عيناه مرة أخرى بالبحر المحيط بالجزيرة أيقن انه يتخبط فى بحثه ، وأنه لا يستطيع تحديد الاتجاه الذى صدر منه هذا العواء المخيف ، وعاد احساسه بالخوف يطغى عليه ، ويملاً قلبه . . فاستدار مرة أخرى . عائدا إلى الجزيرة يبحث من جديد ، وقد فترت همته وملأ الحزن نفسه ، وأخذ اليأس يتسرب إلى قلبه .

عندما فتح الملك « سيف » عينيه ، كان يحس فيهما بثقل وألم ، وكأنها يحمل جفناه أثقالا من الرمال ، تمنع حركتهما ، وتؤلم عينيه . . فعاد يغلقها من جديد ، وقد بدأت صورة ما حدث له تعود إلى ذهنه المضطرب تدريجيا فتذكر الركلة القوية ، التى فاجأته بعد أن أذهله ذلك الصوت المرعب الممتد . . وأحس بالقشعريرة تعود لتتهز جسده كله ، وبدأت الألام تنبعث من كل جزء من جسمه ، وهو يتذكر الركلات العديدة التى انهالت عليه ، وارتمت أمام عينيه المغمضتين صورة الشجرة وقد خرجت منها الاقدام المتوعدة المهددة ، طويلة الساق ، مفتولة العضل ، التوت نحوه كأنها ترشدها قوة مجهولة وعاوده احساس طاغ بالخوف . . وتذكر هذه اللطمات التى أصابت رأسه وأنفه وعينيه وكيف راح فى دوامة مظلمة ألفت به فى بحر قاتم لا يعرف له قرار ا حتى غاب عن وعيه ، وعاد إلى ذهنه احساس مبهم ، بلمسات قاسية تتحسس جسده الساكن كله ، خفت تدريجيا حتى أصبحت لينة خفيفة ، تجسه وتتحسسه كأنها تتأكد أنه فقد الحركة وفارق الحياة ، وعرف الملك « سيف » أن سلمته رهن بجموده وسكونه ، فلا شك أن هذه الاقدام قد كفت عن ضربه حينها سلبه الانحاء كل مظاهر الحياة . .

وعاد الملك « سيف » يفتح عينيه بجهد كبير ، وهو يخشى أن يطالعه

منظر الاقدام المهدهه ، ولكنه لم ير الاشجار الوادعة الجميلة ، تتماوج شعورها الملونة تحت أشعة الشمس الغاربة في فتنة وسحر ، والتوت شفثاه المتقلصتان في سخرية . . فما كان هذا الجمال ليفتنه مرة أخرى ، عن حقيقة الهول المرعب الذى يخفيه ، وانعشت وجهه هبة رقيقة من نسيم الغروب ، حاملة إلى رثيته تلك الرائحة المنعشة العذبة التى تتضوع من الشعور الكثة الجميلة التى تحيط به

وانتعشت نفسه وهدأت ضربات قلبه وهو يتذكر أن «الخيرقان» موجود فوق الجزيرة يترقب دعوته ، لينتشله من وسط هذا الدغل المमित . . وكأنها أعادت له هذه الفكرة قواه ، فاذا به يحس بالدماء تتدفق إلى شرايينه وبالنشاط يدب في أعطافه ، بينما بدأ احساسه بالالم يخفت ويتلاشى ، أمام هذا الاحساس الجديد الغامر بالامل . . ما كان عليه الا أن يقف وينادى بكل قوته عليه ، وما هى الا لحظات حتى يكون فوق ظهره القوى الأمن يشق الفضاء بعيدا عن هذه الجزيرة وأهوالها . . وهب الملك «سيف» واقفا ، وأخذ يسوى ملبسه المشعثة ، وينفض الغبار عنها ، ثم رفع رأسه إلى السماء وصاح :

-أيها المارد «الخيرقان» . .

وتردد صوته يشق السكون المحيط به ، وانتظر الملك « سيف » ولكن لم يعد اليه سوى الصدى وحده ، يحمل إلى قلبه القلق والاضطراب . . ربما كان « الخيرقان » ينتظره عند نهاية الدغل ، فلم يصل إليه صوته ، وربما كان صوته ضعيفا أثر ما حل به من انهاك جسدى ، فلم يستطع أن يخرق ما يحجبه من أشجار كثيفة ، وأسرع الملك « سيف » يسير متلاحق الخطو في الاتجاه الذى حسبه أنه يقوده إلى نهاية الدغل ، وهو يصيح هذه المرة في صوت أقوى ، يكاد يصل إلى الصراخ :

- أيها المارد «الخيرقان» . .

وحينما عاد اليه الصدى بصوته مرتعشا مذنبذا ، زاد احساسه بالوحدة ، وأخذت قدماه تسرعان - دون أن يحس - حتى غدا يجرى ، وقد امتزج صوت أنفاسه اللاهثة بصوت ضربات قلبه المتعالية ، وعيناه تجولان في محاجرهما في ترقب وهو لا يرى سوى الأشجار تحيط به وتمتد إلى ما لا نهاية ، وتذكر فجأة والرعب يغزو قلبه أن « الخيرقان » لم يسع إلى نجده حين سقط فريسة للاقدام التي تناولته ضربا وركلا ، وجف حلقه وابتدأ الذعر يتملك منه ، فصاح في يأس ومرارة وقد جمع كل قوته في صيحته :

- أيها المارد «الخيرقان» . .

وما كاد صوت الصدى يعود إلى أذنيه ، حتى ارتفع صوت العواء الرهيب مرة ثانية يشل حركته ، يوقف ضربات قلبه . . كان صوتا جائعا طويلا ممتدا فيه فرح وحشى ، وفيه وعيد مميت . والتفت الملك « سيف » حوله في رعب قاتل ، ثم انطلق يجرى بكل قوته ، وكأنها تتعقبه الشياطين . . ومن جديد تعثرت قدماه في قدم برزت فجأة فسقط على وجهه وقد غاص رأسه في التراب ، وانقضت عليه ضربة قاسية فأحس بطعم التراب في فمه

وحاول أن يعتدل فانهاالت عليه الضربات ، وأخذ يقاوم بيديه وبقدميه يتلقى الركلات بذراعيه الممدوتين ، ويرد الاقدام بقبضتيه ، يلوى قدما ويضرب أخرى حتى كلت قوته ، وضعفت ضرباته ، وفترت همته ، والاقدام تتزايد من الشجرة ، والضربات تنقض عليه في كل جزء من جسده ووجهه

وأحس بسائل لزج ينبثق من أنفه . ويتدفق من فمه وعرف أنه يدمى . . وعاد يسترد من يأسه قوة ، وسط الضربات المتزايدة استطاع أن

يقف على قدميه ولكن للحظات . . فما لبث أن أصابته ركلة في بطنه ،
التوى لها جسده كله ، ثم استقر على الأرض اثر ركلة عنيفة اجتاحت
وجهه كله ، فامتزج في فمه طعم الدماء بطعم التراب . . بينما اختلطت
أمام عينيه صور شعور ملونة تتماوج ، وأقدام ترقص في جنون . تدك رأسه
وتدق جسده ، وكأنها تغيبه في بطن الأرض . .

وكان يردد ، وكأنها لنفسه في همس متحسرج ، لعله يدور في رأسه ،
ولعل لسانه يدور به في فمه :

- أيها المارد « الخيرقان » . . المارد . . أيها . . « الخيرقان » . .
« خيرقان » . .

* * *

وكان « الخيرقان » قد سمع أولى صرخات الملك « سيف » فانتشله
الصوت الاليف اليه من حيرته وابتدأ يتجه في حذر وهدوء نحو مصدر
الصوت ، وقد آنس في نبرات الصوت الذى وصل أذنيه المرهفتين ، نوعا
من الثقة والهدوء جعله يطمئن إلى سلامة صديقه

وأزاح يد اليأس التى كانت قد أطبقت على قلبه ، ولكنه ما لبث أن
سمع الصرخة الثانية وعندما ردها الصدى مرة أخرى ، كانت مليئة
بالاضطراب والخوف ، فعاد القلق يغزو نفسه ، وعاد الاضطراب يؤثر في
اتجاهه ، وجاءته الصرخة الثالثة مرعوبة خائفة تتردد في أصداء متعددة
تأتى من أمامه وعن يمينه وعن يساره ومن خلفه

ووقع « الخيرقان » في حيرة عظيمة ، وتمالك نفسه بصعوبة شديدة
حتى لا يضطرب في اتجاهه ، فيفقد الاثر الذى وقع عليه . . وسرعان ما
صكت أذنه الصيحة العاوية الجائعة ، فجمدته في مكانه ، وكانت وكأنها
تصدر من كل مكان . . كأن أرض الجزيرة نفسها هى التى تصرخ في ذلك

العواء الجائع المحموم ، واشتدت ضربات قلبه ، ولكنه بذل جهدا خارقا ليظل متبالكا لامر نفسه . .

ومرت لحظة الخوف ، وأخذ « الخيرقان » يسترد جأشه ، وقرر أن خير وسيلة لمعرفة مكان الملك « سيف » هي أن يغامر بالنزول إلى أرض الجزيرة ، وسط دغل من أدغالها ، ليحدد مكان الدغل الاخير الذى دخل فيه الملك . . وعجب « الخيرقان » لنفسه حينما استقرت قدماه فوق أرض الجزيرة ، اذ أحس أن كل خوف قد زائله وتقدم رابط الجأش نحو الدغل الذى يواجهه ، وقد قرر أن يقامر بكل شىء فى سبيل نجاة صديقه

* * *

حين بدأ الملك « سيف » يستعيد وعيه . . هاجمه احساس طاغ بالحقيقة التى تحيطه ، وكانت الآلام التى تنبعث من كل عضو فيه ، تذكره بالتجربة القاسية التى مر بها . . وتذكره أيضا بأنه فقد الامل فى كل عون خارجى ، وقفز إلى ذهنه سؤال رهيب : ترى هل تنتهى كل محاولة من محاولاته بمثل هذه النهاية الرهيبة حتى يقضى نحبه ، ويموت فوق هذه الأرض الغريبة ، تركله أقدام قاسية ، حتى الموت؟ . . لقد حاول بكل قوته أن يقاوم هذه الاقدام المجنونة ، ولكنها كانت أقوى منه ، تعرف كيف تركل وأين ، فتشل الحركة ، وتقضى على المقاومة وعادت إلى ذهنه مغامرته فى دغل الايدى وكيف استطاع حسامه أن يشق طريقه الدامى خلالها ، ولكن هذه الاقدام ، تبدو أكثر قدرة من تلك الايدى وأشد قسوة . . وهناك كان « الخيرقان » بجانبه يساعده بقوته الهائلة ، أما هنا فهو وحده دون معين . . لو ظل مكانه ساكنا لتركوه فى سلام يلفظ أنفاسه خوفا ورعبا ، وجوعا وعطشا ، ويتحلل جسده على الأرض ليغدو غذاء دسما لهذه الاشجار المتعطشة إلى دمائه ، وما أبشعها ميتة له . .

وهو الملك الذى يحكم الانس والجن ، ويثير اسمه الرعب فى الممالك ، ويلقى ذكره الخوف فى القلوب . .

ان « سيف بن ذى يزن » الفارس ينبغى أن يلقي مصيره وسيفه فى يده ، يواجه الموت بما هو جدير به من شجاعة وبسالة . . وفتح الملك « سيف » عينيه ، وكان الضوء قد ابتداء يشحب ، ولون السماء قد ابتدأت تشوبه حمرة « الغروب » وارتدت عيناه إلى الاشجار ، فاذا هى هادئة ساكنة ، ما تزال تحمل مظهرها الأمن الخادع ، فهب من رقدته وهو يضغط على أسنانه حتى لا تخرج منه صيحات الآلام أثر ما أحس فى جسده كله من رضوض وكدمات

وتحامل قليلا على نفسه حتى مرت لحظة الضعف ، ثم امتشق حسامه فى يده ، ومضى يسير فى اصرار وهو يتلفت حوله محاذرا ، وعيناه تترددان ، بين أسافل الاشجار واعاليها ، ومن بعيد لاحت له فرجة تبدو بين الاشجار تظهر فيها أضواء النهار الغاربة . . ولمحت عيناه أغصنا تخرج من بين الاشجار فى بطء ولكنها تخرج ، وتفتتح أكمامها ، وتبرز منها السيقان تكبر وتكبر . .

وضم شفثيه فى حزم ، وشد قبضته على سيفه ، ومضى فى خطوات ثابتة متجه نحو الضوء الذى يبدو له من بعيد ، وعيناه تدوران فى قلق وتحفز ، وانبعث صوت العواء الرهيب مرة ثالثة ، و لكنه لم يترك فى نفسه هذه المرة سوى المزيد من العزم والتصميم على القتال حتى النهاية

وفجأة لعت أمامه ساق بيضاء تخرج من قلب شعر احدى الاشجار قريبة من الأرض كأنها اندفعت ليتعثر فيها . . وما كان ليراها لولا أنه كان يترقب مثل هذا الامر وارتفعت يده بالسيف وانقضت فوق الساق تجزها جزا ، واندفق منها سائل قان ، وتهاوت إلى الأرض واندفع يجرى ، وهو

يضرب بسيفه كل ما يلقاه ، والضربات تنهال عليه من كل اتجاه . . أقدام
مفرطحة سوداء تخرج من سيقان غليظة كثيفة الشعر تلتوى في الهواء ثم
تضرب في عنف ، وأقدام مستوية بيضاء ، سيقانها ملفوفة العضلات ،
بادية القوة ، تلتف ثم تضرب في قسوة ، وأقدام رقيقة مناسبة تخرج من
سيقان شفافة اللون ، طويلة ترتفع ثم تضرب بلا هوادة ، وأقدام مشوهة
تبرز منها أطراف كالمخالب ، سيقانها رفيعة معروقة تلمع بلونها الاسمر
وتشق الهواء وهي تهوى فوقه بلا رحمة . . اقدام تضرب ظهره ، أقدام تحبب
رأسه ، أقدام تصيب وجهه ، وهو يضرب ، والدماء تنبثق والاشلاء
الهامة تتناثر . . والضوء يقترب والاشجار من حوله تتراجع ، وتبتعد
وفجأة أصابت ذراعه ركلة قوية أطاحت بالسيف من يده ، وانقضت
قدم تضربه بعنف فوق جبهته ، وأطاحت ضربة ثالثة بتوازنه فتهاوى إلى
الأرض وهو يضرب الهواء بساعديه . . وقد أحس بدنو النهاية مع وقع
الاقدام وهي تركل في عنف وتضرب في غضب ، وتهوى فوقه في وحشية
. . وتشبث بالأرض ، وأمسكت قبضته بالحشائش ، وأخذ يجذب
جسده زاحفا إلى أمام ، ورأسه يرتطم في عنف لتتفجر الدماء من أنفه ،
ثم يرفعه في يأس وهو يستأنف زحفه الدامى ، وضربات الاقدام تشتد
ضراوة ، ويعود رأسه ليرتطم بالأرض مرة أخرى ، ليتدفق الدم من فمه
ويشد جسده . . في يأس ، في تشبث ، في اصرار ، ويرتطم رأسه
بالأرض مرة ثالثة ، ويمس بالدم يتدفق من بين عينيه ، ولم تكن هناك
جدوى من كل هذا ، فقواه قد بدأت تخور ، وعيناه قد بدأتا تغيمان ،
وطنين رهيب يدوى في أذنيه ، والمرارة تأسر قلبه ، وترتفع لتترك طعمها
ملء فمه

وفجأة أحس بيد قوية تنتزعه من الأرض انتزاعا وتحلق به في الهواء ،

وفتح عينيه الغائمتين ليرى بركة الدماء وقد امتلأت بأشلاء ومزق ، ومئات
الاقدام تخرج من الاشجار لتضرب الهواء في عنف وحيرة . . والشعور
الملونة تضطرب ألوانها وتمتزج ، وتختلط بلون الدم القانى وأشعة الغروب
الحمراء ، لتكون مزيجاً من دماء متراقصة . . ثم راح في غيبوبة عميقة . .

* * *

أحس الملك « سيف » - وهو يفتح عينيه - بحفيف الهواء البارد وهو
يضرِب وجنتيه ويتخلل جسده كله . . وكان يشعر أنه يتحرك بسرعة
مذهلة ، ولكنه كان يدرك أنه يرقد فوق جسد قوى ، ليس له صلابة
الأرض ، ولا رخاوة الطين . . وفتح عينيه ليرى أمامه السماء وقد سطعت
وسطها النجوم ، وأحاطت بها العتمة التى تشتد رويدا رويدا ، وتحرك
قليلا ليحتدل ، فجاءه صوت « الخيرقان » ليقول فى ارتياح .
- اذن فقد أفقت أيها الملك . . لكم خشيت أن أكون قد وصلت اليك
متأخرا . .

واستعاد الملك « سيف » احساسه بالامان والطمأنينة ، وقال من بين
شفتيه المنتفختين :

- بل لقد تأخرت كثيرا أيها الصديق ، حتى يشت من قدمك . . ا
فقال « الخيرقان » وهو ما يزال مندفعا فى الهواء ، حاملا الملك « سيف »
فوق ظهره :

- لقد أضلتنى هذه الجزيرة الملعونة ، بأدغالها المتشابهة حتى لقد
اختلط الأمر على . . وعندما سمعت صيحاتك التى كانت تتردد بشكل
عنيف من أكثر من مكان ، قررت النزول إلى الجزيرة . . وعندما دخلت
الدغل الذى كان تحتى مباشرة ، عرفت سر هذا التردد الذى أضاع منى
الاتجاه الصحيح للصوت ، ذلك لاني وجدت نفسى فى دغل الأذان التى

أيقظها صراخك وذلك العواء الرهيب المجهول ، فمضت تردده في عنف
وقسوة . . ولكن هذا أفادنى في تحديد مكانك ، فطرت متخطيا دغل
الايدي لاراك فريسة لهذه الاقدام الرهيبة !!

واقشعر جسد الملك « سيف » وهو يتذكر تلك المحنة التي مر بها وقد
تداعت اليه الآلام من كل جزء من جسده . . تذكره بالركلات واللطعات
التي تلقاها دون رحمة ، وأطرق لحظات ثم قال :

- أتذكر حين حدثتني عن البحارةالذين كانوا يدخلون الجزيرة ، ولا
يعودون . . وهؤلاء النفر من شباب الجن المتحمسين ، الذين شاءوا أن
يكشفوا عنها القناع ، فلم يعد واحد منهم ، لينبئ بها رأى . . ؟

فقال «الخيرقان» في دهشة :

-أرأيت أحدا منهم أيها الملك ؟

فقال الملك « سيف » وهو يمر على وجهه المتورم ويلمس بأصابعه
دماءه المتجمدة :

- بل لقد رأيتهم كلهم . . أن هذه الجزيرة لا تسمح لشيء أن يعيش
فيها الا اذا تحول إلى جزء منها ، تبتلعه الأرض ، لتتحول دماؤه وجسده
قطعة من أحد الادغال المفترسة التي تكون هذه الجزيرة الملعونة !
قال «الخيرقان» :

- أننى أشعر أننى ولدت من جديد وأنا أعود إلى التحليق في السماء ،
وقد مرت على لحظات حسبت أننى لن أعتلى ظهر الهواء من جديد !
قال الملك « سيف » :

- لقد أنقذتنا العناية التي تحرسنا يا صديقى ، وما كنا لولاها الا ملايين
مصير من سبقنا . .

وعاد «الخيرقان» يقول وهو يشق الهواء بقوة :

- سينتقى الليل كله قبل أن نصل إلى الجزيرة السادسة . . وأظنك
جائعا أيها الملك ، فأنت لم تأكل شيئا طوال هذا النهار . .
فخرجت من بين شفتى الملك « سيف » ضحكة خشنة وهو يقول :
- سنتنقى أزمانا كثيرة قبل أن استرد شهيتى للاكل مرة أخرى ، فلقد
أكلت في هذا النهار من العذاب كفايتى . . ا
وعاد الملك « سيف » يحس بطعم الدماء الممزوجة بالتراب بين شفتيه ،
فقال في مرارة :
- ان طعم الدم في فمى يكفينى حتى طلوع النهار . .
فزاد « الخيرقان » في سرعته وهو يقول :
- أن أشد ما يجيرنى في أمر هذه الجزيرة ، هو هذه الانهار الغريبة التى
تندفق بالدماء بدلا من الماء . . ا
وازدادت ابتسامة الملك « سيف » وهو يقول في صوت خافت :
- فى مثل هذا العالم الذى لا تعيش فيه سوى العيون التى ترقب
وتحملك ، والأذان التى تتسمع وتردد ، والايدي التى تمسك وتعنتل ،
والاقدام التى تضرب وتركل ، لا يكون هناك من غذاء سوى الدم . . ا
وسكت الملك « سيف » لحظات ثم قال :
- سأنام أيها الصديق فوق ظهرك ، وحين تصل إلى بغيتك أيقظنى . .
فقال « الخيرقان » وهو ماض فى طريقه :
- سنصل عند الفجر وسأوقظك مع أشعة النهار البيضاء . .

حينما فتح الملك « سيف » عينيه طالعته أشعة الشمس تغمر وجهه وجسده كله . . وتطلع حوله ليجد نفسه وحيدا في وسط مجموعة من الازهار الملونة الزاهية ، وخليط من الاصوات العذبة الجميلة تردد كلمة واحدة في تنغيم وغناء . . وجلس الملك « سيف » وهو يطرق بأذنيه محاولا أن يلتقط هذه الكلمة التي تتردد بأكثر من طبقة وفي أكثر من نغم . . وكلما أزهف الملك « سيف » سمعه ، جذبته حلاوة الانغام وأطربته رقتها وعذوبتها ، واستطاع أن يميز الكلمة التي تتردد في صعوبة بالغة ، فهب واقفا وقد غادره كل كسل اللحظات الأولى من الاستيقاظ ، فقد كانت الكلمة هي :

-واق الواق . .

اذن فهو في الجزيرة السادسة . . وصلها نائما على كتفى «الخيرقان» الذى تركه مستغرقا في نومه ، وذهب دون أن يوقظه . . وأحس بالجوع الشديد ، فقد مضى عليه أكثر من يوم دون أن يذوق طعاما في تلك الجزيرة الملعونة المليئة بالازهار الجهنمية . . واعترت جسده كله رجفة ، وصورة العذاب البشع الذى قضى فيه أمسه إلى تأمل ما أتى به اليوم من صور جديدة في هذه الجزيرة السادسة . . وعاد ذهنه يقف عند الكلمة التى تتردد بأكثر من نغم وبأكثر من صوت . .

-واق الواق . .

وحاول أن يحدد مصدر الصوت ، ولكن محاولته كانت عبثا . .
فالصوت يأتي من كل مكان : من الهواء حوله ، ومن الأرض تحت
قدميه ، ومن السماء فوقه . . من كل مكان يأتي الصوت في حلاوة وفي
عذوبة . . في توافق وانسجام . وفجأة وقف ذاهلا وهو يحدد بصره في
الزهرة الجميلة الملونة التي تهتز مع النسائم العذبة أمامه تماما . . كانت
الزهرة تغنى الكلمة من فمها الحلو . . فم شابة جميلة لها وجه رقيق برىء
يحوطه شعر كث فاحم ، وعينان ذاهلتان . . وحين أمعن النظر تأكد أن
الشففتين تتحركان وتصدران صوتا منغوما واضحا . . كما تأكد أن العينين
لا يخالط بياضهما سواد . . كانت رائعتين حزبتين بلا انفعال . . كان
الوجه الرقيق الحالم الذى يشكل الزهرة الملونة الجميلة لا يرى . . كان فقط
يغنى في تعبد واستغراق كلمة واحدة :

-واق الواق . .

والتفت الملك « سيف » حوله ، وقد بدأ يدرك أن هذه الأصوات
الرقراقة العذبة انما تصدر عن الازهار البديعة التكوين التى تملأ كل مكان
يحيط به . . زهرة على هيئة وجه امرأة ناضجة حلوة ، وزهرة على هيئة وجه
طفل صغير برىء ، وزهرة على هيئة وجه شيخ عمجوز طيب ، وأخرى على
هيئة وجه كلب ، وثانية على هيئة وجه أسد ، وثالثة على هيئة وجه
حصان . . وجوه الناس ، ووجوه الحيوانات أليفة ومتوحشة ، كلها
زهرات ملونة تكاد تنبض بالحياة لولا نظرات باهتة فى العيون البيضاء
المنظفة ، ولولا عى فى الالسنه بحيث لا تخرج منها سوى النغمات المتكررة
الرقيقة . .

-واق . . الواق . .

ووقف الملك « سيف » ذاهلا وهو لا يكاد يصدق نفسه . . ان

الازهار تعيش في انهبك كامل مردده الكلمتين ، وكأنها تؤدي واجبا مقدسا تخشى أن يفوتها أداؤه . . الصوت الغليظ القاسى ، والصوت الرقيق الحالم . . النغمات القوية الصارخة ، والنغمات الهادئة الناعمة . . كلها تختلط وتنسجم في لحن واحد ، لا تكاد تبدو منه سوى الكلمتين الوحيدتين اللتين تعرفهما هذه الشفاة المبتهلة . .

- واق . . الواق . .

وأحس الملك « سيف » بحركة غير عادية خلفه ، فالتفت وراءه ليجد المارد « الخيرقان » يتقدم نحوه ، وهو يحمل بين يديه مجموعة ضخمة من الفواكه النادرة ويقول .

- لقد كنت يا مولاي تنام نوما عميقا فلم أحب أن أوقظك ، وإنما أسرعت أحضر لك ما تأكله . .

ثم وضع حمله الثقيل على الأرض ، وجثم إلى جواره يعد مجلس الملك « سيف » ويزيل عن الفواكه قشرها . . وقال الملك « سيف » وهو يتأمله أثناء انهبائه في العمل :

لقد خشيت أن يكون الرعب قد ركبك فقررت أن تتركنى لمصيرى على هذه الجزيرة الغريبة . .

فرفع المارد رأسه وهو يقول :

- أننى لا أعرف الرعب أيها الملك من كل ما أعرف . . وان كنت تشير إلى ما حدث في الجزيرة الملعونة ، فمرده إلى أننى لم أكن أعلم عنها شيئا . . أما الآن وقد عرفت ما بها من مهالك فأنا مستعد أن أعود معك إليها ان أردت . .

وأحس الملك « سيف » بقشعريرة باردة تتملك جسده كله . . وقال بسرعة :

- أما أنا - وقد عرفت - فلن تستطيع قوة أن ترغمنى على العودة إليها . . !

فقال « الخيرقان » وهو مستمر في اعداد الطعام :
- وهذا هو الفرق بيننا وبينكم يا معشر الانس . . ان كل رغبتكم تنحصر في أن تعرفوا المجهول ، وما أن يصبح هذا المجهول معلوما حتى يفقد قيمته لديكم . . !

ثم رفع رأسه وهو يقول :
- والآن أيها الملك ، أحسبك جائعا . .
وتذكر الملك « سيف » أنه لم يأكل زادا منذ يومين ، فجلس إلى الطعام وهو يقول « للخيرقان » :

- عندما استيقظت من النوم كانت شهيتى للطعام عارمة ، أما الآن فقد صرفنى عن الطعام ذلك الشيء الغريب الذى اكتشفته حولى . . !
فقال « الخيرقان » وهو يدفع إلى الملك بثمرة ناضجة :
- الاكل أولا ، ثم الحديث بعد ذلك . .

وتنهذ الملك « سيف » ثم مد يده يأخذ الثمرة ويرفعها إلى فمه . .
فمألت أنفه رائحتها الذكية ، وأثارت فيه من جديد احساسات الجوع . .
فمضى يقضم الثمرة وقد استشعر لمذاقها حلاوة أنسته الاسئلة الكثيرة التى تملأ رأسه . ولكن « الخيرقان » أعاد إلى ذهنه كل هذه الاسئلة حين قال :

- لعلك اكتشفت حقيقة الازهار فى هذه الجزيرة . . ١٢٠
فالتفت الملك « سيف » اليه يسأله :
- أكنت تعرف أن أزهار هذه الجزيرة على هيئة وجوه آدمية وحيوانية . .
فابتسم « الخيرقان » وهو يقول :

- طبعا ، فقصة هذه الجزيرة يعرفها صبية الجن منذ يشبون عن الطوق . . وأحب أن أصحح لك حديثك أيها الملك . فهذه الأزهار ليست على هيئة وجوه آدمية وحيوانية ، بل هى بالفعل وجوه آدمية وحيوانية تحولت إلى أزهار . .

وتوقف الطعام فى فم الملك ، وارتسمت فى عينيه نظرة ذاهلة مستنكرة . . وحين وجد صوته أخيرا همس فى دهشة :
- ماذا تقول ؟ . .

فعاد « الخيرقان » يبتسم وهو يقول :

- هل أزعجتك أيها الملك ؟ . .

وابتلع الملك « سيف » ما كان يفمه من طعام ، ثم التفت إلى « الخيرقان » صائحا :

- تقول إنها وجوه آدميين وحيوانات تحولت إلى أزهار ؟ . . !

فقال « الخيرقان » وهو يمد يده بثمره أخرى للملك « سيف » الطعام أولا أيها الملك . .

فهب الملك « سيف » واقفا وهو يصيح :

- لا طعام ولا شراب . . أريد أن أعرف أولا معنى هذا الذى تقوله . . !

فقال « الخيرقان » فى صوت هادئ :

- وستعرف أيها الملك كل شىء . . فقط لابد أن تأكل أولا . .

فأبعد الملك « سيف » يد المارد الممتدة بالثمرة وهو يقول :

- بل هيا بنا . .

فهب « الخيرقان » واقفا وهو يقول ، ويده تمتد لتسد الطريق أمام

الملك « سيف » :

- إلى أين أيها الملك ؟ . .

- سأذهب لأرى . . سأبدأ جولتي في الجزيرة حالا . .

فقال « الخيرقان » وهو ما يزال يسد الطريق أمام الملك :

- وماذا ستري ؟ . . ليس في الجزيرة شيء الا ما تراه الآن أمامك . .

أزهار من كل لون ، وكل زهرة لها وجه ، هو مرة وجه إنسان ومرة وجه

حيوان . . وكلها تغنى هذه الاصوات التي تسمعها . . فماذا ستري ؟ . .

- هذا الذي كنت تقوله الآن . . ؟

فأنزل « الخيرقان » يده ، وعاد إلى مجلسه على الأرض وهو يقول :

- أن هذا لن تعرفه بالرؤيا ، وانما وسيلة معرفته هي السماع . . أجلس

وأبدأ في أكلك أيها الملك ، وسأقص عليك من أمر هذه الجزيرة ما

استغلق عليك فهمه ، وأثار دهشتك واستنكارك . .

ووقف الملك « سيف » يحدق في « الخيرقان » لحظات ، ثم عاد في ببطء

شديد إلى مجلسه الأول ، ثم أطرق برأسه وهو يقول :

- اذن أحك ، أريد أن أعرف كل شيء . .

فعاد « الخيرقان » يبتسم ، وهو يقول :

- الاكل أولا يا مولاي . . هذه الثمرة الشهية ستعيد اليك الرغبة في

الطعام ، وسأقص عليك أعجب حكاية يمكن أن يسمعها إنسان . .

فجمع الملك « سيف » أطراف ثيابه واستراح في جلسته ، ومد يده

ياخذ الثمرة من « الخيرقان » ويقضمها في سكون ، وعينه متعلقتان

بشفتي « الخيرقان » الذي مضى يقول :

- بدأت هذه الحكاية أيها الملك منذ عهد بعيد جدا . منذ ذلك الزمن

الذي كانت فيه هذه الجزيرة عامرة بسكانها من رجال ونساء ، يعيشون

في نعيم مقيم وسلام دائم . . فالانهار في الجزيرة جارية بالماء العذب

والخير الوفير ، والاشجار في الجزيرة مزهرة أبدا بأحلى أنواع الفواكه
والثمار . . والحيوانات ترتع كلها في طمأنينة وسلام في ربوع الجزيرة . .
فهذه الجزيرة كانت جزيرة الحب والسلام . . لم يعرف أهلها أكل اللحم
ولم يسفك فيها دم . . حتى حيواناتها لم تكن تعرف رائحة الدماء ولا
طعمها ، بل كل طعامهم من خيرات الأرض وثمار الأشجار . .

ولهذا لم يكن غريبا أن يسود بين الجميع شعار المحبة ودافع السلام . .
وكان سكان الجزيرة جميعا يحسون في أعماقهم بالأمن والطمأنينة فليس في
تاريخهم حروب ، ولم يشهد آباؤهم وأجدادهم ما يحدثه البغض والانانية
في حياة الناس من تنازع وشقاق . ومن أين يأتى الشقاق وكل ما في
الجزيرة متاح مباح . . كل متعة حلال ، وكل رغبة مجابة ، وكل أمنية
محققة . . ولم تكن الحكايات التى يقصونها على أطفالهم تحمل سوى
أقاصيص التعاون والتعاطف والتواد . .

وكان الملك « سيف » قد انتهى من الشجرة التى فى يده ، فمد يده
يتخير ثمرة أخرى جميلة اللون ذكية الرائحة ، ومضى يديرها فى يده وهو
يتشممها ويقول

.. ألم يتغلب الخيال بعض الشيء على حكايتك أيها الصديق المارد . ؟

فقال «الخيرقان» وهو ينظر إلى وجه الملك « سيف » :

.. أننا معشر الجن لا نعرف هذا الذى تسمونه خيالا ، أننى أحكى لك
ما يعرف كل جنى فى هذه البلاد أنه الحقيقة . . لقد كان آباؤنا يتسللون إلى
الجزيرة ليشهدوا ما بها من معالم السعادة ، كما كانوا يصحبوننا ونحن
صغار إلى هنا لتتعلم من هؤلاء البشر ، بل ومن الحيوانات التى تعيش
معهم معنى المحبة والود . . بل لقد كنا نترنم بتلك الأغنية العذبة الجميلة
التي كانوا جميعا يرددونها كل صباح وكل مساء . .

فالتفت الملك « سيف » اليه في دهشة وقاطعه صائحا :

- كانوا يغنون ؟ . . .

- الأطفال والشباب والشيوخ ، النساء والعدارى والصغيرات . . .

الطيور فوق أشجارها ، والوحوش في مكائنها ، والأنعام في مراعيها . . .

الكل يغنى والكل يسبح . . .

- حتى الطيور والحيوانات ؟ . . .

- كل من عاش ، وما عاش في جزيرة الله هذه ، يحوطه الحب ، وتغمر

قلبه السعادة . . . كان لابد أن تغمر نفسه سكينه الايمان فيتوجهها إلى أغنية

تعبد وابتهاج إلى خالق السعادة ومانح السكينه . . .

- أو كانوا يعرفون الله ؟ . . .

- وكانوا يعبدونه في كل ما يعملون ، وكل ما يقولون ، ويتغنون دائما

باسمه بأرق الاصوات وأحلاها . . . وفي هذه الجزيرة الواحة الآمنة ما كنت

تسمع سوى الأغنية العذبة الرقاقة تشترك فيها كل الأصوات في تبث

وابتهاج . . . كلهم يغنون : سبحان الملك القهار . . . سبحان الملك

القهار . . .

فقال الملك « سيف » :

- ولهذا سميت الجزيرة بجزيرة الله . . .

فقال « الخيرقان » وقد سهمت عيناه بعيدا وكأنها يسترجع ذكرى

عزيزة :

- لقد سميناها ، وسماها كل من كان يسكن هذه الجزر بعدة اسماء . . .

سموها جزيرة الله لأنهم اعتبروا ما يعيش فيه أهل الجزيرة من سلام ورضاء

من الله اختص به سكانها ، كما أسميناها أيضا جزيرة الصوت . . .

فقاطعة الملك « سيف » سائلا في دهشة :

- الصوت ١٩ . .

فقال « الخيرقان » وقد أعاده سؤال الملك « سيف » إلى أرض الواقع :
- نعم ، أيها الملك ، جزيرة الصوت . . فما كان أعذب وأحلى وأرق
تلك النغمات المتسقة الحلوة تتعالى من كل جزء في الجزيرة ، وتتصاعد من
كل مكان فيها لتملأ الجو حولها بغلالة من النغم تردد كلها : سبحان
الملك القهار . . سبحان الملك القهار فتمتم الملك « سيف » مرددا في
همس :

- سبحان الملك القهار . .

وأطرق متأملا لحظات ، ثم رفع رأسه يسأل « الخيرقان » :
- ولكن ، ماذا حدث ؟ . . وأين ذهب ناس الجزيرة وحيوانها ؟ . .
وما سر هذه الأزهار ؟

فقال « الخيرقان » :

- هذا ما أريد أن أحدثك بأمره أيها الملك ، فما حدث للجزيرة حدث
في الماضي . . أما الآن فالجزيرة كلها لا تفعل شيئا سوى الانتظار . .
فعاد الملك « سيف » ينظر إلى « الخيرقان » في دهشة وهو يقول :
- انتظر ماذا ؟ . .

فقال « الخيرقان » في صوت هادئ :

- كل شيء له أوان أيها الملك . . ولن تعرف ما ينتظرون الا اذا عرفت
ما حدث . . !

فأطرق الملك « سيف » وهو يهمس :

- أنت محق . . هيا إذن احك لي القصة منذ بدايتها . .

قال « الخيرقان » :

- قلت لك أيها الملك أننا كنا نسمى هذه الجزيرة بجزيرة الصوت ،

فقد كانت أصوات التساييح على ألسنة الناس والحيوانات في هذه الجزيرة أحلى نغم عرفته أذاننا . . وكنا نحن - معشر الجن - كما كان العابرون من بنى آدم لا يستطيعون الا الوقوف طويلا بالجزيرة يشنفون آذانهم بهذا الدعاء الصادر من القلوب المخلصة والذي كان يهز كل القلوب مهما غلظت وقست . . الا قلبا واحدا . . كان لساحر عجوز كافر ، مر بالجزيرة يوما فاستهوته هذه الأصوات العذبة فاستقر في الجزيرة لا يرحها . . الا أن قلبه الأسود ما كان يهدأ وهو يسمع اسم الله صباح مساء تردده كل الشفاه التي تعيش في أمن وسلام . . وظل زمنا يعيش في كهف بعيد . ، هناك في آخر الجزيرة حيث لا إنسان ولا حيوان محاولا أن يحجب عن أذنيه أصواتهم الحلوة ، ولكن الصوت مع هذا كان يتسلل إلى سمعه كلما صحا وكلما نام . . يحس له في قلبه لدغ السياط ولدغات العقارب ، فيظل يجرى مبتعدا عن الأماكن المعمورة بالجزيرة حتى وصل ذات يوم إلى حافة مستنقع بعيد آسن الماء ، راكد الهواء ، وأخذ يجرى بين أعشابه الطويلة المتشابكة حتى اختفى الصوت تماما ، ولم يعد يسمع شيئا من غناء الجزيرة التي خلّف أجزاءها المأهولة وراءه تماما . . وجلس فوق صخرة سوداء وهو يضع رأسه بين يديه ويلتقط أنفاسه اللاهته . . وليس يدري الساحر العجوز كم ظل في جلسته تلك ، ولكنه رفع رأسه وقد طرق سمعه صوت غريب ، ليس كتلك الاصوات التي يسمعها في الجزيرة ، وانما صوت حاد رفيع ، لا نغم فيه ولا لون له . . صوت قبيح منفر يتردد في خفوت وعلى استحياء وكأنها يخشى صاحبه أن يسمعه أحد . .

وأخذ الساحر العجوز يتلفت حوله دون أن يعثر على مصدر هذا الصوت الغريب ، ولكنه بينما كان يمعن النظر عند حافة بركة موحلة رأى

صرصارا كبيرا يهز شواربه الطويلة مع نغمات الصوت الناشز الذى يسمعه . . فركز انتباهه على الصرصر ، وسرعان ما أدرك أنه هو مصدر هذا الصوت المنفر القبيح الذى استرعى انتباهه منذ أول الأمر . . وابتسم الساحر العجوز وهو يشهد هذه المحاولة اليائسة من الصرصر لأن يفعل بصوته شيئا ، ثم قام من مجلسه محاذرا واقترب فى حرص من الصرصر الذى لم يلتفت اليه وقد أنساه انهاكاه فى الصراخ كل ما حوله . . وانحنى الساحر العجوز فى لطف حتى كادت لحيته البيضاء الطويلة أن تمس سطح الماء الموحل الآسن ، وهمس فى رقة مخاطبا الصرصر :

- ما أجمل هذا الصوت أيها الصديق وما أعذبه . . ا

فأجفل الصرصر ، وكفت شواربه الطويلة عن الحركة . . وكاد يسرع هاربا لولا أن ما سمعه من هذا الشيخ الذى ينظر اليه بعينه الكبيرتين مس وترا حساسا فى نفسه ، فتوقف عن الهرب ورفع شواربه نحو الشيخ ذى اللحية البيضاء الكثة . . وقال :

- أيعجبك صوتى أيها الشيخ الطيب حقا ؟ . .

فقال الشيخ وهو يكسو صوته لهجة الجدد والاحلاص :

- اننى منذ وطأت قدمى هذه الجزيرة المزعجة لم أسمع صوتا كصوتك

أيها الصديق الطيب . . ا

فاستراحت نفس الصرصر إلى قول الشيخ وهدأت حركاته ، والتفت

إليه قائلا فى رزائة :

- ان هذه الجزيرة الملعونة بها تصدر من أصوات سمجة لا تترك مجالاً

لمثل لكى يرتفع صوته . . ا

وكاد الساحر الشيخ أن ينفجر ضاحكا . . ولكنه كتم رغبته العارمه فى

الضحك ، وتصنع الجدد وهو يقول للصرصر الذى اعتدل فى وقفته بحيث

أصبحت شواربه الطويلة تتحرك في مواجهة الساحر المنحنى :
- حقا انك مغبون الحق ، ولك مثل هذا الصوت الساحر . . ا
وهنا صاح الصرصار طربا وهو يقفز وينط ، وقد تداخلت كلماته
المنفصلة حتى استطاع الساحر أن يميزها بصعوبة :
- أنت إنسان لك مثل أنفهم ، ولعينيك مثل لمعة عيونهم ، ولصوتك
رنة تشبه رنة أصواتهم ، ولكن حديثك غير حديثهم ، وكلامك غير
كلامهم . .

فضحك الساحر العجوز وهو يقول :

- أتكره الناس إلى هذا الحد . . ؟

وهنا اعتدل الصرصار ، وقال وهو يشير حوله بشواربه الطويلة :
- أترى . . أن هذا المستنقع النائي هو المكان الوحيد لى ، ولكل
أخوانى الصراصير ، ولأبناء عمومتنا العناكب . .
ونظر الساحر حوله فوجد نفسه وسط دائرة هائلة من الصراصير
والعناكب تجمعت حولها أثناء انهماكه فى الحديث مع الصرصار دون أن
يحس بها . . وانتابه شعور عنيف بالتقرز والخوف ، ولكنه تمالك نفسه ،
ورسم على وجهه ابتسامة مرحبة وهو يقول فى صوت حرص أن تكون نبراته
جادة تماما :

- مرحبا . . هذا صحيح ، انكم كلكم هنا . .

فقال الصرصار فى نبرات متألمة :

- ان مكاننا ليس هنا . . كنا نعيش فى البيوت على أجمل المأكولات
وأشهاها ، وكنا نعيش فى المروج وسط أحلى الأزهار وأنضجها . . ولكن
الإنسان هو الذى طردنا من دنياه ، وأقصانا عن الجزيرة ليعيش فيها
وحده مع الحيوانات التى خدعها وجعلها تنسى غرائزها الحقيقية بدعوى

كاذبة عن السلام والحب ، ومضوا جميعا ينشدون هذه الكلمات الغربية
التي تسمعونها منهم ليل نهار . .

قال الساحر في خبث ، وقد بدأ يستشعر راحة في حديث الصرصار
الذى يتجاوب مع ما بنفسه :

- أنهم يسبحون الله ويقولون : سبحان الملك القهار .

فصاح الصرصار ، وقد امتلأ الجو بصرير رهيب صادر عن الجمع
الحاشد من الصراصير الذين التفوا حولها :

- اصمت . . الآن اصبح صوتك مثل اصواتهم ، وكلامهم مثل
كلامهم . . أننا ما هربنا من الجزيرة كلها الا لتستريح اذاننا من سماع هذه
الكلمات . .

فأسرع الساحر العجوز يقول في تأكيد :

- أننى أيضا هربت إلى هذا المستنقع لابتعد عن صدى اصواتهم وهم
يرددون هذه الكلمات ، فمشكلتى مثل مشكلتكم ، وحكايتى
كحكايتكم . .

وران على الجمع الحاشد صمت طويل ، وبدا وكأن الصراصير
يفكرون في كلامه مكذبين ، واخيرا تحدث الصرصار قائلا :

- ولكنك تستطيع أن تغنى مثلهم . . !

فقال الساحر :

- ولكنى لا أستطيع أن أردد هذه الكلمات ، وليس لديهم من نشيد
سواها . . كما أننى لا أستطيع أن أعيش وسطهم فانا لا أعيش حيث يجلب
السلام والأمن . . ان حياتى فى أن أرى الدم المراق ، وفى أن أشهد
الشقاق والخلاف ، وفى أن أبذر الطمع والجشع لاسيطر وأسود . . !

فصاح الصرصار ، وفى صوته رنة فوز :

- أنت غريب عن الجزيرة . . انك لست من أهلها . . أنك من هذا الصنف الذى رأيناه كثيرا يفر هاربا إلى المستنقعات حيث يموت جوعا ، أو يجن فيقذف بنفسه إلى البحر ليبتلعه الموج . . لقد عرفتك . . !
فقال الساحر فى دهشة :

- أهنأك غيرى . . ١٩

فقاطعة الصرصار قائلا :

- دائما هناك غيرك ، ولكنهم لم يكونوا يفهمون لغتنا أو حديثنا . . وكانوا فى جريمهم يطئوننا بأقدامهم ويتخبطون فى نسيج ابناء عمومتنا العناكب إلى أن يموتوا فى يأس رهيب . .
وعلت وجه الساحر ابتسامة صفراء وهو يقول فى تودة :

- ولكننى لست كغيرى . . أننى أستطيع أن افهم حديثكم ، كما ان لدى من القوة ما يفوق قوة أهل الجزيرة مجتمعين . .
وسكت لحظات ، ثم التفت إلى الجمع من حوله وهو يقول موجها الحديث اليهم جميعا :

- ولو ضمنت مساعدتكم لجعلتكم تحلون محل الناس والحيوانات فى الجزيرة . . !

وسرعان ما ارتفعت الصيحات من كل مكان يشوبها فرح جنونى وأمل غامر . . ولكن الصرصار رفع صوته فسكتوا جميعا ، والتفت إلى الساحر قائلا :

- ونغنى نحن ؟ . .

- ويصمتون هم . . !

- ونقول ما نشاء ؟ . .

- ولا تصبح هناك كلمات غير كلماتكم ، ولا اصوات غير اصواتكم . . .

وعاد السكون يغمر المستنقع كله لحظات ، ثم انفجر الجميع في صياح متعال مدو . . واحس الساحر بزهو وهو يلتفت إلى أنصاره الجدد ، ويدبر في فكره ما يستطيع أن يفعل بقوتهم الهائلة . . ثم رفع يده فسكت الجميع دفعة واحدة . . وعاد الساحر يقول :

- فقط عليكم ان تطيعونى طاعة عمياء ، لا يسأل أحد عن شيء ، ولا يتردد واحد في تنفيذ أوامرى . . !

وعاد صوت الصراخ يدوى في هتاف هستيرى . . وشاهد الساحر عنكبوتا ضخما يتقدم نحوه في اثناد حتى يقف إلى جوار الصرصار الذى يخاطبه ، وحين شاهده الجميع كفوا جميعا عن الصراخ بينما قال العنكبوت الضخم :

- لقد عانينا من الحياة فى الجزيرة الامرين ، فان كنت حقا تستطيع أن تعيد لنا مكاننا فى الجزيرة فنحن معك . . وسنقف إلى جوارك - نحن الصراخير - مهما كانت التضحيات التى تطلبها منا . . فقط نريد أن نعرف لماذا تعاوننا وانت واحد منهم ؟ . .

فقال الساحر العجوز وهو يهز لحيته البيضاء :

- لقد قلت لكم أننى اكرههم . . هؤلاء الذين يعيشون فى سلام ويعبدون الله ، وليس لمثلى مكان وسطهم . . !

فهز الصرصار شواربه وهو يقول :

- أنه مثلنا . .

فقاطعه العنكبوت فى صوته المتشد سائلا الساحر :

- أنتحب الشمس ؟ . .

فصاح الساحر :

- لا . .

واستمر العنكبوت :

.. أتكره الدماء ؟ ..

فصاح الساحر :

.. بل أحب أن أرى لونها القانى يخضب الأرض .. !

وعاد العنكبوت يسأل :

.. والنظافة ؟ ..

وهنا صاح الساحر :

- لا أستطيع أن أعيش فى مكان نظيف .. ان مكانى الكهوف الرطبة . ولعبتى حنايا النفوس الضعيفة حيث يكمن أقدر ما فى الإنسان !

وهنا صاح العنكبوت :

- اذن فانت منا ، ونحن معك ، ؟ .. فماذا تريدنا أن نفعل ؟ ..

وعادت الابتسامة تملأ وجه الساحر العجوز وهو يقول :

- اذن اسمعوا ..

والتفوا جميعا حوله وهم يصغون السمع لما يقول ..

* * *

وسكت المارد « الخيرقان » وهو يتأمل فى وجه الملك « سيف » وقال :

.. وهكذا بدأت حكاية .. هذه الجزيرة ..

فقال الملك « سيف » وهو يقوم من مجلسه :

- لنبحث عن مكان ظليل فقد توسطت الشمس كبد السماء ، ثم

تكمل لى هذه الحكاية الغريبة ..

وسار الاثنان والملك « سيف » يتأمل الازهار المسبحة ، ونظرات

عيونها الجامدة تثير فى قلبه اشجانا غريبة .. ومازال صدى « الخيرقان »

وهو يحكى له يتردد فى رأسه .. وعند شجرة عالية غزيرة الاغصان جلس

الملك « سيف » وقد اراح ظهره إلى جذعها الضخم ، بينما افترش
«الخيرقان» الأرض أمامه . . وقال الملك « سيف » :
-والآن يا « خيرقان » اكمل حديثك . .
قال « الخيرقان » :

- منذ ذلك اليوم بدأ غزو الصراصير والعناكب لناس الجزيرة
وحيواناتها . . ما يفتح احدهم صيوانا للملابس الا ويجد الصراصير قد
اتلفت له كل ما في الصيوان من ملابس الشتاء والصيف . . ولا يقرب
احدهم طعاما الا ويجد فيه آثار الصراصير ما يجعله يقذف بالطعام إلى
النهر . . أما الحيوانات فقد عافت نفوسها كل طعام ، فحوله وبداخله
خيوط العنكبوت الترابية تثير التقرز وتقتل كل شهية في طعام . .

وبدأ الناس حربهم العنيفة مع الصراصير ، ولكنها كانت حربا يائسة
. . فلا القوة تستطيع القضاء على جموعهم الكبيرة ، ولا النظافة
استطاعت أن تمنع تناسلهم المستمر الغزير . . وخرج الناس جماعات إلى
العراء يدعون الله أن يرفع عنهم الغمة ، ولكن الصراصير بقيت تنغص
حياتهم ، كما أن العناكب استمرت تضايق الحيوانات في عيشها . .

وهجر الناس منازلهم ولجئوا إلى الكهوف والمغائر ، ولكن الصراصير
سرعان ما اكتشفت اماكنهم ، وسرعان ما احتلت هذه الكهوف بأعداد
غزيرة جعلت البقاء فيها مستحيلا . . وفتح الناس هارين إلى الخلاء . .
وهناك كانت الحيوانات تحتشد في ذعر وقلق فلم يعد لها مكان في عالم
تسيطر عليه العناكب . . ا

ووسط هذا الذعر القاتل ، واليأس المرير ، سرت اشاعة بين الناس
والحيوانات لا يدري احد مصدرها أن بالمستنقع البعيد ساحرا عجوزا
يستطيع أن ينهى هذا الكرب الذي حل بالجزيرة ، وعندئذ الدواء الناجح

الذى يستطيع به القضاء على الصراصير والعناكب معا وفى الحال . . وما
أن سرت هذه الاشاعة وسط الجمع المحتشد حتى هرعوا جميعا متدافعين
نحوالمستنقعات التى لم يكن قد قصدها احد منهم من قبل . .
قال الملك « سيف » مقاطعا « الخيرقان » وهو يعتدل فى جلسته ليظل
فى الظل :

- وكيف أمكنهم أن يعرفوا مكانها ؟ . .
قال « الخيرقان » :

- أيها الملك ان أحداً منهم لا يعرف من الذى اخبرهم بامر الساحر ،
كما ان احدا منهم لم يكن يعرف كيف انساقوا إلى المستنقعات . . وانما هم
وجدوا انفسهم يندفعون فى تسابق مجنون نحوالمستنقعات ، وكان دليلا
حاذقا يقودهم ويدهم على الطريق . .
فقال الملك « سيف » :

- ان هذا لا يهم الآن . . تابع قصتك الغريبة ايها المارد . . ماذا وجدوا
فى المستنقعات ؟

قال « الخيرقان » وهو يتطلع بعينه إلى الافق البعيد :

- حين وصل الجمع الحاشد إلى المستنقعات اصابته رهبة غريبة فسكت
كل صوت ، وراى سكون غريب على الجزيرة كلها وكأنها كلها فى انتظار
شئ خطير . . ومن وسط الضباب المنعقد فوق ماء المستنقع الآسن خرج
عليهم الساحر العجوز وكأنها هبط من السماء أو انشقت عنه الأرض . .
ولم يعرف فيه احد ذلك العجوز ذا اللحية البيضاء الكثة الذى مر
بجزيرتهم منذ حين ليس ببعيد ، فقد تغير شكله تغيرا كاملا . . وغدا
شيئا لا ينتسب إلى جنس ، فلا هو إنسان كامل ، ولا هو حشرة كاملة ،
بل هو مزيج غريب من الاثنين . . الشعر الابيض اصبح بلون التراب

المقيت وتحت انفه امتدت شوارب طويلة شبيهة بشوارب الصراصير . .
وعند مفرقه ظهر قرنان غريبان يملأهما الشعر ، وكسا جلده كله زغب
غريب اشبه بالزغب الذى يملأ جسد العناكب . . وبهت الناس ووقفوا
ينظرون إلى هذا الكائن الغريب الذى طلع عليهم من وسط الضباب . .
وحين تحدث كان صوته اشبه بصرير الصراصير ، حادا رفيعا صارخا . .
وقال الساحر العجوز :

- أنا أعرف لماذا اتيتم إلى . . انكم تريدون الملجأ والملاذ من الصراصير
والعناكب . . لقد حاربتموها فهزمتكم ، واستعنتم عليها بالدعاء فلم
ينفعكم . . والآن جئتم صاغرين إلى ، إلى أنا . . أنا وحدى أملك الحياة
لكم . . أنا وحدى الذى يستطيع أن يتقدم من البلاء الذى انتم فيه ،
وأنا مستعد لهذا ، ولكن بشروط . . !

وتعالت الاصوات من كل مكان ، من اليمين ومن الشمال ، ومن
الناس ومن الحيوانات . . كانوا جميعا يصيحون فى نفس الوقت وكأنها
تتزاخم اصواتهم لتبلغ أذنيه . .

- كل شروطك مجابة . . اطلب ما تشاء . . أغشنا . . أغشنا
وسكت الساحر العجوز وقرناه العجيبتان تجولان فوق رأسه فى زهو ،
وشواربه السوداء الطويلة تتحرك فى انتصار ، ثم صاح بصوته الحاد الرفيع
اللزج :

- وتلبون شرطى . . ١٩ . .

وعاد الصياح من كل مكان يردد كلمة واحدة :

- نعم . . نعم . .

ومرة أخرى سكت الساحر العجوز وهو يهز ذراعيه الطويلتين
المغطاتين بزغب اسود مقزز :

-وتقسمون على هذا . . ؟

وانفجر الصباح في صبر نافذ :

-نقسم . . نقسم . .

واندفع الساحر العجوز يصرخ ، وكل جسده العجيب يهتز في رجفة غريبة خفيفة ، وكأنها يرقص لوثن لا يراه أحد سواه :

- تقسمون ؟ تقسمون ؟ . . وبماذا تقسمون ؟ ! الهكم لم ينفعكم . .

أنا الذي انفعكم وأنا الذي اضركم . . باسمي أنا يكون القسم ، ولى أنا يكون التسبيح . . اقسما ، اقسما ، اقسما ، أنا الواحد القهار ، أنا لا غير . . اقسما بالساحر العظيم . . بالقهار . . بى أنا . . !

وزان على الجزيرة وجوم رهيب ، وسكت كل صوت الا صوت الساحر الذى استخفه الطرب فمضى يرقص ويغنى ، وهو يردد كلماته بصوته الرفيع اللزج وكأنها مات كل الاحياء الا هو :

-أنا الامل في الخلاص . . أنا الحياة والاستقرار والأمن . . أنا القوة . .

اركعوا . .

وتسمرت اقدام الجميع وقد احسوا بلفح قائظ يشوى وجوههم ويكتم أنفاسهم ، بينما ترددت صرخات الساحر ترجعها الاصداء في المستنقع الأسن . . واحس الساحر بالوجوم يخيم وسط الجمع المحتشد حوله . . فسكت لحظات وشواربه الرفيعة الداكنة تتحرك في سرعة ، وعيناه اللامعتان تطلان في كل وجه . . وفي صوت هادئ مهدد واضح النبرات أخذ يهمس في فحيح خفيف :

- ألم تقولوا أن كل شروطى مجابة ؟ . . ألم تقسموا على هذا ؟ . . ألم تأتوا

إلى هنا صاغرين . . ! ؟

وتحرك قرناه في عصبية ، وهو يلتقط أنفاسه في صعوبة ، وعاد يقول في

نفس الصوت الذى يشبه الفحيح :

- ليس لكم من مهرب . . لقد احيظ بكم . . من شاء أن ينجو
فليركع هنا أمامى ، ومن لا يريد أن يتمتع بحمايتى فليذهب من أمامى . .
فليعد إلى الجحيم هناك فى الجزيرة أن كان يستطيع أن يجد له مكانا . . !
وتردد الجمع لحظات ، ثم اندفعوا يفرون بكل قوة . . كانوا يندفعون فى
عنف وأقدامهم تتعثر فى الحشائش النامية والاحجار المتناثرة ، ويسقط
بعضهم فلا يجد من يقبل عثرته ، وتشج رءوس بعضهم فى تعثرهم فى
الاعصان الطويلة الممتدة من الاشجار وتتفجر دماؤهم تسيل بغزارة وهم
لا يحسون . . فقط يجرون بكل ما فى أجسادهم من قوة ، وبكل ما فى
أرواحهم من اصرار . . وضحكات شيطانية مرعبة فى صوت رفيع حاد ،
صرير يؤلم النفس وينهش القلب نهشا ، تتعقب خطواتهم ، وتدفعهم فى
جريهم دفعا ، وتغلق منافذ الهرب أمامهم فيتعثرون ويدمون . .
ولكنهم يجرون ويجرون . . وحين وصلوا إلى الجزيرة قصد كل منهم إلى
بيته ليجد بابه مغلقا وقد احتلته عائلة ضخمة من الصراصير تصرخ بأعلى
اصواتها فى صرير يصم الأذان . . وحين توجهت الحيوانات إلى أوكارها لم
تستطع دخولها ، فقد غطت منافذها تماما ستائر كثيفة من خيوط
العنكبوت المتشابكة المتداخلة . . ووسط الجزيرة مضى الناس والحيوانات
يتخبطون فى ذهول ورءوسهم تكاد تطحنها الاصوات الرهيبة الحادة التى
تردد من كل مكان فى الجزيرة . .

* * *

وسكت « الخيرقان » ، وظل الملك « سيف » صامتا وقد استغرقت
افكاره التى انسته المكان والزمان ، وأمام عينيه يرتسم هذه المشهد الرهيب
الذى حكاها « الخيرقان » . . وتنهى الملك « سيف » وهو يعود ببصره إلى

الازهار المسبحة من حوله يتأملها في حنان وعطف . . وهمس قائلا :
- عالم تحكمه الهوام . . الصراصير في المنازل ، والعناكب في الحقول
والكهوف ، والناس والحيوانات تتخبط دون أمل ودون هدف ما ابشع
هذا . . ان الامر ليحتاج إلى شجاعة نادرة لاحتماله . . شجاعة فوق طاقة
البشر . . ا

قال « الخيرقان » بسرعة كأنها لا يريد أن تفوته عبارة الملك « سيف » :
- لقد اصبت كبد الحقيقة يا مولاي . . كان الامر يحتاج إلى شجاعة
فوق طاقة البشر . وقد حدث أنه حينما فر الجمع المدعور من أمام
الساحر، أن عاد الساحر ببصره وقد تملكه يأس مخيف ، ولكنه رأى على
الأرض قلة من رجال ونساء ، ومجموعة ضئيلة من الحيوانات تركع في
المستنقع الخالي الا منه ومن الصراصير والعناكب . .

فقاطع الملك « سيف » المارد « الخيرقان » وهو يقول وفي صوته تحفز :

- هؤلاء هم من خانتهم شجاعتهم . . ا

فابتسم « الخيرقان » ابتسامة فيها مرارة وهو يقول :

- كان هذا أول الغيث يا مولاي . . ا

فصاح الملك « سيف » في حدة :

- تعنى أنه كان هناك آخرون . .

قال المارد وابتسامته المريرة تزداد اتساعا :

- أنت لا تريد أن تصبر علىّ يا مولاي . . هلا امهلتنى لأحكي

لك الحكاية بالترتيب . .

قال الملك « سيف » :

- حسنا . . لقد نظر الساحر المعجوز فرأى حثالات الناس والحيوانات

راكعين تحت قدميه . . ثم . .

قال « الخيرقان » :

- لقد عاد الامل إلى الساحر . . عاد عارما قويا جبارا . . وأحس أنه انتصر ، والتفت إلى الراكعين تحت قدميه وهو يقول :

- أنتم أعقل أهل هذه الجزيرة وأكثرهم فهما . . بيوتكم لكم لن يشارككم فيها شيء ، سأمنع عنكم الصراصير والعناكب ، كل خيرات الجزيرة لكم . . وأنتم وحدكم من سيسمح لهم بالغناء ، فقط أنتم تعرفون لمن سيكون الغناء والانشاد . . أنه لى أنا . .

وارتفعت الاصوات هزيلة مترددة وجله ، وأصحابها لا يرفعون اعينهم عن الماء الآسن الذى يركعون وسطه :

- سبحانك أنت . . سبحانك أنت . .

وكان صوتهم شاذا غريبا . . كان حادا ، ا شبه الاصوات بصوته هو . . وعاد الساحر يصيح :

أعلى . . أريد أن اسمع أصواتكم أكثر ارتفاعا من هذا وعادوا يصيحون فى قوة أكثر :

- سبحانك أنت . . سبحانك أنت . .

وفى هذه المرة كانت تشاركهم أصوات رفيعة غريبة تنبعث من كل مكان فى المستنقع ، وحين التفت الناس حولهم وجدوا آلاف الصراصير والعناكب وكلها تهتز كما يهتز الساحر ، وتهتف معهم نفس الهتاف فى صرير حاد رفيع . . وعاد الساحر يصيح :

- أعلى . . أعلى . .

وعادوا يصيحون وأجسادهم تهتز على نغمات أصواتهم ومع ايقاع حركة الهوام حولهم :

- سبحانك أنت . . سبحانك أنت . .

وصاح الساحر العجوز فجأة صارخا :
- اسكتوا . .

وساد السكون العميق المستنقع كله ، وأخذ الساحر يتلفت حوله
بعينه الخبيثتين الماكرتين ، ثم قال في صوت كالهمس :
- لتعودوا الآن إلى الجزيرة ولا تكفوا لحظة عن التسبيح باسمي ،
وستنعمون تحت حمايتي بكل خير . . فمن الآن لن تخشوا شيئا . . فقط
أريد أن أحس أنكم لا تنكرون الجميل ولا تنكرون للعهد . . أريد أن
أعرف من الذي يجرى على الناس والحيوانات ، من الذي يمنعهم عن
التسبيح لى ، لأزيجه عن طريقى ، لأريكم قوتى وجبروتى ، ولأعلم
الأخرين من هو صاحب الامر فى هذه الجزيرة ا

ودار بعينه فيهم دورات سريعة ، ثم عاد يصيح بصوته الرفيع الحاد :
- أفهمتم . . ؟ اركعوا . .

وعاد الجمع كله يركع أمام الساحر العجوز ، وهم يلصقون جباههم
بالأرض تحت أقدامه . . وانطلق يضحك ولحيته المغبرة تهتز ، والقرنان
الغريبتان عند رأسه تتراقصان فى الهواء . . ثم صاح :

-والآن اذهبوا إلى منازلكم وجحوركم وكهوفكم فقد منحتها لكم . .
وحين انطلق الناس يهرولون ، وحين اندفعت الحيوانات تجرى ،
كانت نفوسهم خاوية ، وقلوبهم يحتلها الفراغ ، وعيونهم لا ترتفع عن
الأرض الموحلة ، أرض المستنقع الأسن . .

وصمت المارد « الخيرقان » . . ثم رفع عينيه إلى وجه الملك « سيف »
الشاحب وقال :

- هل ضابقتك الحكاية يا مولاي إلى هذا الحد . . ؟
قال الملك « سيف » :

- أنى أحس بحزن غريب يفترس قلبى ، وبشئء كالجبل يريزح فوق
صدرى . . ومع هذا فلتكمل لى الحكاية . .

فقال « الخيرقان » :

- ان موعد غذائك قد حل ، وأرى أن تأكل أولا ثم نواصل الحكاية . .

فقال الملك « سيف » :

- ليست بى أية رغبة لأى طعام ان حديث هذه الجزيرة لم يبق

فى رغبة لأى شئ . .

فقال « الخيرقان » :

- لو أذنت لى يا مولاي فسأغيب عنك لحظات أعود لك بعدها

بالطعام . .

فقال الملك « سيف » :

- بل سأحضر أنا الطعام ، واحك أنت باقى القصة . .

وأخرج الملك « سيف » القدح ، ووضع فوقه الفوطة ، ثم قال :

- خبز وثمرات . .

وحين رفع الفوطة ، كان الخبز أمامه ومعه ثمرات ناضجة . . فشرع

يأكل فى صمت ، بينما عاد « الخيرقان » إلى حديثه قائلا :

- من يومها وأصبحت الحياة فى الجزيرة جحيا رهيبا . . فيكفى أن

يطمع أحد هؤلاء الزاحفين الذين شهدتهم المستنقعات يركمون تحت قدمى

الساحر فى منزل أو حقل حتى يشى بصاحبه إلى الساحر . . وسرعان ما

يختلى الساحر بنفسه فى بيت رصده ، ثم يخرج بدمية صغيرة يزرعها فى

الأرض فاذا بصاحب المنزل أو الحقل قد تحول إلى شجرة صغيرة ملتصقة

بالأرض لا تستطيع حراكا . . ولم يمض وقت طويل حتى غدا كل أهل

الجزيرة من حيوانات وأناس ممن رفضوا التسبيح للساحر العجوز نباتات

ثابتة في الأرض كهذه النباتات التي نراها في كل مكان . . ولكن أصواتهم لم تسكت لحظة عن تسييح الله وحده ، فلم يكونوا سوى الاصرار ، فمضوا جميعا يرددون بأصوات حزينة :

- سبحانك الخلاق . . سبحانك الخلاق . .

بينما أخذت الجزيرة تعيش في فرضى كاملة ، تحكمها العناكب والصراصير ، ويعيش بينهم رجال أشبه بهم ، وحيوانات تزحف بدلا أن تسير على أربع . . وسرعان ما ذهبت الصراصير والعناكب إلى الساحر العجوز تشكو هؤلاء الدخلاء الذين تخلوا عن قومهم ليشتروا حياتهم ووجودهم ، وقال الصرصار :

- ان أصواتهم لا تقل قبحا عن أصوات هذه الازهار المنكودة التي ما تزال رغم نكبتها تجحد فضلك وتنكر قوتك . .

واطرق الساحر العجوز برأسه التي اختلفت منها كل المعالم التي تربطها بالرأس الإنسانية وغدت أشبه برأس الصرصار ، ثم قال :

- سأحرس السنة هذه الازهار الملعونة . .

ثم انفلت إلى كهفه تاركا الصراصير تنظر إلى بعضها في عجز ، وقال الصرصار مخاطبا الجمع المحتشد حوله :

- أنه لم يفهم شكوانا ، وكل ما يهمه هو الازهار التي لا تسيح له . .
فننصرف الآن ونعود له مرة أخرى فيما بعد . .

وحين عاد الصراصير إلى الجزيرة لم يكونوا يسمعون فيها صوتا واحدا يسيح الخالق ، فقد خرجت السنة الزهور جميعا وفقدوا القدرة على النطق . . بينما كان الناس من حلفائهم الطائعين يرقصون في فرح ، وهم يصيحون في أصوات رفيعة حادة ، وقرون الاستشعار التي بدأت تظهر على رءوسهم تهتز في عنف :

.. سبحانك أنت .. سبحانك أنت .. أيها الساحر العظيم ..
ولكنهم حين شاهدوا جمع الصراصير العائد إلى الجزيرة كفوا عن
الرقص وقد علاهم الوجوم .. ووسط هذا السكون الشامل الذى ساد
الجزيرة كانت هناك عيون تلمع ، تنظر فى اتهام ، وفى لوم .. وهى ترفع
أهدابها فى كل حين إلى السماء كأنها ما تزال تنطق بدون صوت :

.. سبحان الخلاق .. سبحان الخلاق ..

والتفت أشباه الناس حولهم فى قلق ، ثم اندفعوا يجرّون نحو المستنقع
. وهم يرددون التسييح للساحر العجوز .. ونبهت الضجة الساحر
فخرج من كهفه يطل عليهم .. وما كادوا يرونه حتى خروا إلى الأرض
ساجدين .. واهتزت شوارب الساحر العجوز فى افتتاح بنفسه وقوته ،
وصاح بهم :

.. ماذا تريدون .. ؟

وصاحوا قائلين :

.. أن هذه الصراصير الملعونة لا تقلل اجراما عن الازهار التى ما تزال
تحقق بعيونها فينا تمنعنا من النوم ، ثم ترفعها إلى السماء فى ابتهاج صامت
أكثر تحديا لقدرتك من أصواتهم المنكرة ..

وسكت الساحر لحظة ثم قال فى صوته الرفيع الحاد :

.. الازهار الملعونة .. أنها لن تنظر بعد الآن ، سأحرمها عيونها التى

تبتهل ، كما حرمتها ألسنتها التى تغنى .. !

ثم هرول إلى داخل كهفه تاركا أشباه الناس وأشباه الحيوانات ينظرون
إلى بعضهم فى قلق وهم يقولون :

.. أنه لم يفهمنا ، أننا نشكو من الصراصير فيتحدث عن الازهار ..

وهمس أحدهم :

- حذار لعله يسمع . .

فركعوا جميعا في الأرض ، وهم يقولون :

- هو الاعلم ، هو الاقدر ، لعله ينصفنا من الصراصير والعناكب في
مرة أخرى . .

ثم بدءوا ينسحبون واحدا اثر الآخر في صمت واستسلام وحين وصلوا
إلى الجزيرة كانت الصراصير والعناكب ترقص في انتصار وهي تطوف حول
الازهار وتتسلقها في نشوة وأصواتها الرفيعة تصم الأذان . .

وكانت الازهار تقف مستسلمة صاغرة وقد غدت عيونها بيضاء ولا
ترى ، وألسنتها خرساء لا تنطق ، وأجسادهم مقيدة لا تتحرك . .

ووجوا جميعا وجعلوا يتبادلون النظرات في يأس ومرارة . . المثل هذا
ذهبوا لكي يقابلوا الساحر العجوز ؟ . . أهذه هي النهاية لكل من كانوا
يعيشون معهم ويأكلون معهم ، لكل من ترنموا بالصوت الشادى
الجميل ، لكل من زرعوا الحب والحنان والسلام . . ؟

وحين شاهدتهم الصراصير والعناكب توقفت عن رقصها الصახب ،
وأخذت تتجمع في سرعة حولهم ، ثم راحت كلها تصيح وهي تضرب
وجوههم وأجسادهم وأعناقهم بأيديهم اللزجة وشواربها الرفيعة السوداء :

- الدور عليكم يا أشباه الأدميين . . سنحيلكم إلى أحجار . . إلى
صخور ، إلى تراب . . الجزيرة لنا ، لنا وحدنا . .

وفجأة انفجر كل شيء دون سابق تأهب فانقض الناس الذين باعوا
أنفسهم للساحر ، وانقضت الحيوانات التي عفرت جباهها أمام
أقدامه . . انقضوا جميعا وكأنها كانوا على موعد محدد نتيجة خطة مبيتة على
الصراصير والعناكب ، يمزقونها بأيديهم ، يركلونها بأقدامهم ، يسحقونها
بأجسادهم . . وهم يصيحون في وحشية :

- لقد خاننا الساحر . . لقد خاننا الساحر . .

وفوجئت العناكب والصراصير بهذا الهجوم المفاجئ ، فوقفن حيرى صامتة ذاهلة وهى تتقبل الضربات والصفعات والركلات . . ثم اندفعت فجأة فى غضب تقاثل فى وحشية واصرار ، تعض وتشمش وتمسك بكل ما فيها من قوة ، وتتجمع باعدادها الهائلة لتشل المهاجمين عن الحركة وتعجزهم عن الرؤية وتمنعهم من التنفس . .

وهى تصرخ فى غضب مدعور :

- لقد خاننا الساحر . . لقد خاننا الساحر . .

ولم يكن الساحر يدرى من الامر شيئاً . . كان فى كهفه البعيد وسط المستنقع ، وكلما تناهت اليه الأصوات الغاضبة لم يسمع منها سوى كلمة «الساحر» وهى تتردد على السنة العناكب والصراصير مرة ، وعلى السنة أنصاف الأدمين والحيوانات مرة أخرى ، فيفرك كفيه فى ارتياح وسرور ، وهو يهمس لنفسه فى سعادة :

- كلهم يسبحون باسمى ، اسمى أنا وحدى . . أنا القادر . . أنا

القوى . . أنا الساحر . .

ثم ينطلق فى ضحكة حادة صاخبة تحجب عن أذنيه كل صوت الا ما تهمس به شفتاه هو فى اصرار وافتتان :

- الساحر . . الساحر . .

واستمرت المعركة الرهيبة دائرة طوال النهار . . وحين أسدل الليل أستاره فوق الجزيرة الدامية انفصل الفريقان الملتحمان ، وكل منهما يتأهب للمعركة الفاصلة فى الغد مع طلوع أول أشعة الشمس الجديدة . . أما الصراصير والعناكب فقد اجتمع رأيهم فى الليل على أن ينفثوا سمومهم فى الماء الجارى فى الجزيرة ، فاذا ما اصبح الصباح وأقبل أشباه الناس وأشباه الحيوانات على الماء ليشربوا منه سرى السم فى أجسادهم . . وسرعان ما يقضى عليهم قبل أن تتوسط الشمس السماء . .

وأما الفريق الآخر فقد اجتمع رأيهم على أن يظلوا ساهرين ، فاذا ما أوت الصراصير والعناكب إلى شقوقها سدوا هذه الشقوق بنبات سام يقضى عليها جميعا قبل طلوع الشمس ويترك لهم الجزيرة وحدهم . . !
ولكن اتفاقين آخرين كانا قد ثما بمعزل عن الفريقين المتنازعين المتحارين . . ذلك أن فريقا من الصراصير يتزعمه ذلك الصرصار الذى كان أول من خاطب الساحر العجوز فى المستنقع ، وفريقا من العناكب يتزعمه ذلك العنكبوت الضخم الوقور الذى أعلن تضامن العناكب مع الصراصير ، قرأ أن يتسللوا جميعا أثناء الليل للقضاء على الساحر العجوز الذى خانهم وأسلم الجزيرة لانصاف الأدميين وأنصاف الحيوانات الذين خانوا بنى جنسهم وعبدوه . .

وكذلك اتفق نفر من الفريق الآخر على التسلل قبيل الفجر إلى كهف الساحر العجوز حيث ينتهزون فرصة نومه العميق فى هذه الفترة لبناء حاجز ضخيم من الحجارة فوق باب الكهف ، بحيث يتعذر على الساحر الخائن الذى أسلم رقابهم للصراصير والعناكب ، وقضى على اخوانهم من الأدميين والحيوانات ، فيموت وحيدا فى الكهف المظلم من الجوع والعطش وفساد الهواء . . !

وما أن حل الظلام على الجزيرة حتى زحفت العناكب والصراصير إلى منابع الماء الموجودة فى الجزيرة كلها ، وهناك أخذت تنفث سمومها فوجا وراء فوج . . ثم أخذت مجاميع الصراصير والعناكب تخرج قتلها التى سقطت فى معركة النهار وتقذف بها إلى الأنهار والعيون حتى كادت تسدها لكثرة عددها وكبر حجمها . . ثم انفلتت الصراصير والعناكب مجهدة متعبة تأوى إلى جحورها وشقوقها . .

وما كاد آخر صرصار وآخر عنكبوت يختفى من فوق أرض الجزيرة

حتى هرع أنصاف الناس وأنصاف الحيوانات يجمعون أعدادا ضخمة من النبات السام يسدون به كل منافذ الشقوق والجحور ، وقبل الفجر بلحظات انتهوا من عملهم فعادوا إلى المنازل يأوون إليها وقد هدهم التعب واضناهم الجهد . .

وفوجئ الساحر وسط أحلامه الناعمة بالمجد والسيطرة بخيوط دقيقة تلتف حول قدميه ، وحول ساعديه ، وحول رقبته وتضغظ . . وهب واقفا يزيح عن عينيه ثقلا بغیضا لزجا يحاول أن يطبقها بنسيج رقيق ناعم الملمس ، واندفع نحو باب الكهف يحاول ازاحته للخروج من ظلام الكهف المخيم . . ولكن الباب استعصى على دفعاته القوية التي أخذت تشتد وتشتد حتى أقعده الجهد وهذه التعب ، فبدأ يصرخ في عنف وهو يضرب باب الكهف المسدود بقبضتيه وقد اختلط في لحيته الدم الذي أخذ يتكون في عزم واصرار طبقة وراء طبقة ومجموعة وراء مجموعة . . وجلس إلى الأرض يائسا وقد تحول صراخه إلى عويل ، وأحس بمئات الحشرات تزحف نحوه من كل جانب وبآلاف الخيوط تحيط به ، وتشل حركته ، وتدور حول رقبته ، وصرخاته المذعورة لا تكاد تبين . .

* * *

وعند الصباح لم تظهر للعناكب والصراصير أية آثار ، فقد فعل النبات السام فيها فعله القاتل المدمر . . وانتشى أشباه الناس وأشباه الحيوانات بنصرهم ، فأقبلوا على الطعام بشهية ثم اندفعوا يعبون من الماء عبا . . وما توسطت الشمس كبد السماء حتى كانوا يلهثون جميعا لصق الأرض ، وقد تمكن السم من أجسادهم . . وعند المساء الحزين كان الشئ الوحيد الذي مازال يحيا هو هذه النباتات العمياء الخرساء التي تهتز مع النسيم في ابتهال صامت حزين . .

قال الملك « سيف » :

- ولكنها الآن تتكلم ؟ . .

قال الخيرقان :

- نعم أيها الملك ، مع مرور الزمن بدأت هذه الأزهار تنمو وبدأت
عيونها البيضاء تدب فيها نقاط سوداء ، كما بدأت أصواتها تعود مبهمة
غامضة . . ولكنها عادت في هذه التسيحة الخرساء . . واق الواق . .
وهو ما استطاعت أن تنطقه من جملتها القديمة - سبحان الخلاق . .
سبحان الخلاق . .

فقال الملك « سيف » وهو يطرق برأسه إلى الأرض :

- أجل أيها المارد . سبحان الخلاق . . سبحان الخلاق . . .

واستمر المارد يقول :

- وحين يتم نضج عيونها لترى ، وألسنتها لتنطق ، ستعود إلى هيئتها
الأولى اناسا يعمرون الأرض . .
وهمس الملك « سيف » :

- يعمرونها بالحب الصامد القوي الذى يدفع ثمن البقاء والخلود ، ثم
الصمود الذى يهزم كل بطش . .

قال « الخيرقان » :

- أو شك الليل أيها الملك أن يحل بالجزيرة ، وما زالت رحلتنا طويلة
وشاقة . . فهيا بنا لنصل إلى بغيتنا عند طلوع النهار . .

كان الظلام حالكا كثيفا ، والملك « سيف » يقطع الفضاء فوق ظهر «الخيرقان» الذى أخذ يشق به السماء فى سرعة مذهلة . . وبين الحين والحين تلمع أمام الملك « سيف » نجيمات براقه تبدو شديدة البياض واضحة المعالم . . وبدأ الخندر يدب فى جسده وهو يريح رأسه فوق راحتيه المعقودتين خلف ظهره حين أحس بوهج يتصاعد من تحته كالنار ، وحين فتح عينيه - وقد غادرته كل رغبة فى النوم - رأى تحته منظرا رهيبا جعله يجلس فوق ظهر «الخيرقان» فى توفز واضطراب . . كانت الأرض تحته كرة من النيران المشتعلة تتصاعد منها شرارات ملتهبة كأنها سهام تقذف بها الكرة نحو السماء . . وأحس «الخيرقان» بحركة الملك « سيف » فقال له وهو مستمر فى طيرانه السريع :

- لا تجزع أيها الملك فهذه هى الجزيرة السابعة واسمها جزيرة الزمهير . . !

فقال الملك « سيف » فى جزع واستنكار :

- وهل تنوى أن تنزل بى إليها . . ؟ . .

فقال «الخيرقان» وهو يضحك :

- كلا أيها الملك . . ان هذه الجزيرة لا يستطيع أحد أن يدخل فيها

سواء كان انسيا أم جنيا . . كما أن من فيها لا يستطيعون الخروج منها

أبدا . . !

فعاد الملك « سيف » يسأل :

- أفيها سكان ؟ .. أهنك من يعيشون داخل هذه الكرة الملتهبة
الرهيبه؟

قال « الخيرقان » :

- ان من فيها من الكفار الذين يعبدون النار ، وقد أقاموا بالارصاد
والسحر هذه النيران العظيمة حول جزيرتهم تحرق كل من يقترب منها أو
يحاول أن يدخلها ، وكذلك تلتهم كل من يتمرد على الحياة داخل الجزيرة
ويحاول الهرب منها . . ا

فقال الملك « سيف » والجزيرة تبتعد من تحته تدريجيا ، ووهج حرارتها
يخف تأثيره عليه :

- لا أحد يدخل ولا أحد يخرج . . اذن فلا أحد يعرف ما فيها . . ا

فقال « الخيرقان » وفي صوته رنة جزع :

- أو تريد أن تعرف ما بداخلها ؟ .. أن أحدا حتى اليوم لا يعرف عنها
شيئا ، وان أردت أن تحرق فهذا شأنك . . اننى أستطيع أن أعود بك فوق
الجزيرة تماما وأقذف بك اليها . .
أما أنا . .

فقاطعه الملك « سيف » ضاحكا وهو يقول :

- كفى أيها الملك « الخيرقان » . . لا أحد يريد أن يحترق ، لا أنا ولا

أنت ، وانما أنا أسأل فقط . . ا

فقال الخيرقان « وهو يتنهد في ارتياح :

- أنا لا أخشى من شيء أيها الملك قدر خشيتى من أسئلتك . .

وصمت الملك « سيف » وهو يتأمل الكرة الملتهبة تحته وهى تصغر

وتصغر ، وتختفى تدريجيا ثم قال :

- أهذه اذن جزيرة الزمهرير . . ١٩٠

قال «الخيرقان» :

- وهى آخر الجزر يا مولاي . . وليس بعدها سوى جزيرة البنات ،
وستصلها عند الصباح . . فتم الآن وخذ قسطك من الراحة لان أمامك
فيها من المشقات ما يحتاج إلى كل انتباهك ويقظتك . .
وعاد الملك « سيف » إلى رقدته المسترخية ، وقد عقد يديه خلف رأسه
وعيناه تتبعان النجوم المتلألئة ، وذهنة يستعرض الصور العجيبة التى
مرت به فى الجزر التى زارها . . ورق الهواء وشف ، وقل لمعان النجوم ،
وغشى الكون سحاب رقيق من غيم . . ثم راح الملك « سيف » فى سبات
عميق . .

* * *

عندما استيقظ الملك « سيف » أحس أنه فوق أرض ثابتة . . فهب
من نومه واقفا وهو يتلفت حوله فى دهشة . . ولكنه لم يستطع أن يرى شيئا
فقد كان الظلام ما يزال مخيبا على الأرض ، ولكنه استطاع أن يميز شبح
«الخيرقان» الضخم يقف إلى جواره ، فقال له وهو يتمالك نفسه :
- اذن فقد وصلنا أيها المارد . .

قال «الخيرقان»

- هذه بغيتك أيها الملك ، ولم يبق على طلوع الصباح سوى ساعات
قليلة . . واذا ما سرت إلى الامام منذ الآن فلسوف تصل إلى النهر الفاصل
بين مدينة البنات ومدينة الرجال مع أشعة الشمس الباكورة . .
فالتفت الملك « سيف » إليه مجفلا ، وقال :
- اذا سرت ، تعنى أنك لن تصحبنى . .
قال «الخيرقان»

- هذه آخر رحلتى أيها الملك ، ولست أستطيع أن أتجاوز هذا المكان . . فلكل أرض ناسها وحراسها ، وكما لم تستطع « عاقصة » وكذلك « عيروض » أن يصحبك في الرحلة عبر جزر واق الواق ، فكذلك لست أستطيع أن أخطو في هذه الأرض خطوة واحدة . . فأستودعك الله داعيا لك بالسلامة والتوفيق ، وسأظل أيها الملك هنا في انتظارك بعد انتهاء مهمتك وعودتك غانما منها . .

ثم صمت « الخيرقان » لحظة ، وقال وهو يمد يديه بحمل ملفوف :
- وهذه ذخائرك أيها الملك . . الاكرة والصولجان والبدلة التي لا بد أن تلبسها لانها ستعينك على انجاز مهمتك . . وهذا أيها الملك قدحك ليسد حاجتك إلى الطعام ، والزمردة نغنيك عن الماء وتحجب عنك العطش . .
وظل الملك « سيف » صامتا ينظر إلى « الخيرقان » لحظات ، ثم مديده وهو يتنهد يصفح المارد ويقول :

- أيها الصديق لقد كنت لى نعم الرفيق ، ولن أنسى ما حبيت اللحظات التي قضيناها سويا في مواجهة الاخطار المجهولة والمعلومة معا . .

ثم تناول الملك « سيف » ذخائره من « الخيرقان » وانحنى المارد في أدب وهو يقول :

- أستودعك الله يا مولاي . . انى في انتظارعودتك هنا . .
ثم اختفى من أمام الملك « سيف » . . وظل الملك ينظر حيث كان يقف ، وقد شردت نظراته . . فهي لا تقع على شيء ولا تنظر إلى شيء . .
وفي صعوبة شديدة استجمع الملك « سيف » نفسه الشاردة ، ومضى يخلع ملابسه في بطء ويرتدى الملابس النسائية الغربية التي احتوتها اللقافة ، وأمسك في يده بالاكرة والصولجان بينما حمل في ملابسه القدح

والزمردة . . وعندما بدأت أشعة الفجر الأولى ، مضى على هديها يسير
إلى أمام في صحراء ممتدة عارية من كل صخر أو حجر . .
ولم يكن الملك « سيف » يحس بالطريق ، فقد كان غارقا في أفكاره
يستعرض في رأسه ما مر به من أهوال في بحثه عن ابنه وزوجته
« منية النفوس » وهو طورا يتخيل صورة ابنه « مصر » وهو يبتسم في وجهه
ابتسامته الملائكية العذبة - فتتفرج شفثاه عن بسمة حانية دون أن يحس ،
وهو طورا يرى أمامه وجه زوجته الحبيبة « منية النفوس » وأسى غريب
يطل من عينيها ، ودعوة ملححة عند شفثيها أن يسرع إليها . . ودون أن
يحس أيضا تندفع قدماه مسرعة في الطريق ومعالم الجدل والاهتمام تعود إلى
وجهه . .

وفجأة رأى أمامه ربوة عالية كأنها انشقت عنها الأرض ، ومضى
يتسلقها في سرعة ونشاط . . وعندما وصل إلى قمته وقف مبهورا أمام
عظمة المنظر الذي طالعه وروعته . .

كانت الأشعة الوليدة للشمس لا تكاد تبدد الظلام تماما . . وفي
غبشة الصباح الهادئ امتد تحت قدميه نهر رائق الماء ساكن لا تعكر صفو
سطحه موجة . . وعن يمين النهر مرج أخضر العشب كثير الأشجار
ينتهى بأسوار مدينة كبيرة يلفها النوم والسكون . . وعن يسار النهر يمتد
مرج آخر شديد الشبه بالمرج الآخر تتناثر فيه الأشجار التي تنتهى أيضا
بسور مدينة كبيرة لا تصدر عنها حركة ولا يند عنها صوت . .

ولم تطل وقفة الملك « سيف » فاتجه إلى اليمين ، وأخذ ينزل الاكمة في
سرعة وحذر ، وعيناه ترقبان أسوار المدينة البعيدة خشية أن يكتشف
وجوده مخلوق قبل أن يستطيع الاختفاء عن العيون وسط الأشجار الكثيرة
القريبة من النهر . . وعندما وصل إلى المريج الأيمن كانت الشمس قد

استطاعت أن تهزم الظلام نهائيا ، وبدأ نور أشعتها يملأ الكون بهجة ونشاطا وحياة . .

وبينما كان الملك « سيف » يتأمل المنظر الساحر الذى طالعه فى الوادى ، تناهت إلى أذنيه أصوات عديدة تقترب تدريجيا . . فأسرع يبحث عن مكان يحميه عن الانظار ، ووسط مجموعة من الأشجار الكثيفة الاغصان اختبأ الملك وهو يبتهل أن لا ينكشف أمر مخبئه البسيط الذى اضطر إلى اللجوء اليه . .

وازدادت الاصوات اقترابا فمد الملك « سيف » رأسه فى حذر ، وهناك عند حافة النهر كانت مجموعة من الفتيات يلبسن جميعا أردية متشابهات ويسرن فى سرعة ومرح . . وما لبثت الفتيات أن توقفن ، ثم بدأن يلعبن ويتضحكن ويتواثبن فى بهجة وسعادة . . وتأمل الملك « سيف » أرديتهن ثم تأمل الرداء الذى يرتديه ، وسرعان ما أدرك أن ثوبه لا يشبه أثوابهن على الإطلاق . .

وأحس الملك « سيف » بخيبة أمل كبيرة سرعان ما تركت مكانها فى نفسه الاحساس بالدهشة ، اذ عاد يطرق سمعه من جديد صوت وقع أقدام كثيرة ولغط شبيه بما سمعه أول الامر . . وبعد لحظات انفرجت الأشجار عن مجموعة جديدة من الفتيات تماثل فى العدد المجموعة الأولى وتتجه مثلها إلى حافة النهر . .

وما أن وصلت الفتيات إلى حافة النهر حتى بدأن يلعبن ويتضحكن فى سرح وسرور كما فعلت المجموعة الأولى تماما . . وعاد الملك « سيف » يقارن بين ملابسهم وملابسهن ، فاذا بها مختلفة أيضا . . فلا هى شبيهة برداءه ، ولا هى شبيهة بأردية المجموعة الأولى من الفتيات . . فتتهد الملك « سيف » فى ضيق ، وأخذ يرقب المجموعة الثالثة من الفتيات

اللاتى أخذن يتقدمن إلى حافة النهر ، ولكن ملابسهن أيضا كانت لا تشبه رداعه . .

وتعاقبت مجموعات الفتيات اللاتى يقبلن من المدينة إلى حافة النهر ، مجموعة أثر مجموعة . . ولكل مجموعة زينا الخاص بها ، ولكل مجموعة طريقتها الخاصة في اللعب والتسلية ، وبدأ الملك « سيف » يحس بالخوف يتسرب إلى أعماقه فان الفتيات في تقدمهن التدريجى عند حافة النهر أصبحن قريبات من المكان الذى اختفى فيه . . وأخذ الملك « سيف » يدور بعينيه في المكان من حوله بحثا عن نخباً أكثر أمنا وأشد سلامة ، ولكن الوقت كان قد فات فقد أصبح ضوء النهار ينير المرح كله ، ولو حاول أن يخرج من مكمنه للمحتمة العيون العديدة المنتشرة عند حافة النهر، ولاكتشفت صاحباتها أمره بكل تأكيد . . ولكن لو لبث في مكانه لتعرض أيضا لخطر الاكتشاف المؤكد بعد حين ، سواء طال أو قصر ، ولكنه أت لا ريب فيه . .

وحين عاد الملك « سيف » ببصره مرة أخرى إلى حافة النهر أوشك قلبه أن يكف عن الخفقان ، فأمامه تماما وعلى مسيرة مسافة صغيرة جدا من حيث يخبئ توقف مجموعة كبيرة من الفتيات ، وأخذن ينتشرن في نظام بامتداد حافة النهر . . وكان الملك « سيف » يستطيع أن يرى وجوههن البضة المليئة بالحوية والشباب ، كما كان يستطيع أن يسمع حديثهن المرح الذى يصله واضحا جليا . . لو نظرت أحدهن ناحيته لما تعذر عليها أن تدرك أن هذه الاغصان المتشابكة تخفى جسما بشريا . . ولو بدأن يلعبن ويمجرين كما تفعل المجموعات الأخرى فلا بد أن يجسن خلال هذه الاشجار التى يخبئ خلفها . .

ورغم نسفات الصباح الندية ، أحس الملك « سيف » بالعرق يتصبب

من جيئنه ورقبته . . وحين رفع يده يجفف العرق اصطدمت عيناه بأكمام
ثوبه ، وأسرع يتأمل الثوب الذى يرتديه كأنه يراه لأول مرة . . وعاد يبصره
إلى حافة النهر القريبة ، وكان ما جال بفكره صحيحا . . لقد كانت
الفتيات القربيات منه يرتدين ملابس تشبه رداءه تماما . . وبعين قلقة عاد
يتأمل كل جزء من ملابسه ويقارن بينه وبين أرويه الفتيات . . لقد كان
الشبه تاما فى كل شىء . .

وجفف الملك « سيف » عرقه وهو يحاول أن يجبس ذلك القلق
الغامض الذى بدأ يسيطر عليه . . وحين عاد بنظره إلى الفتيات مرة أخرى
لاحظ أن بيد كل واحدة منهن اكرة وصولجان تشبه تماما الاكرة والوصولجان
الذين يحملها بين يديه . .

افاق الملك « سيف » من ذهوله على صوت أمر يرتفع وسط الضججة فيسود السكون مرة واحدة كل حافة النهر . . واستطاع أن يتبين نبرات الصوت تصله واضحة جلية ، وكان في الصوت - رغم لهجة الامر التي تتضح فيه - نغمات عذبة رقيقة ، مليئة بالانوثة الناضجة المتفتحة . . وأطل الملك « سيف » برأسه من بين فرجة الاغصان الكثيفة فشاهد البنات جميعا وقد اصطففن في صفين طويلين وبين كل مجموعة وأخرى مسافة فاصلة لا يشغلها أحد . . كما وقفت أمام كل مجموعة واحدة منهن تتطلع إلى صاحبة الصوت الأمر التي كانت تقف في الوسط تماما . .

وتذكر الملك « سيف » جنوده وهم يقفون هكذا كل صباح لبدء عرض الصباح العسكري ، وسأل نفسه : هل هؤلاء الفتيات جنود ؟ ولكن واحدة منهن لم تكن تحمل في يدها سلاحا . . ومع هذا فقد كانت وقفتهن المشدودة وقفة جنود مدربين ، كما كان نظامهن المكتمل نظام جنود متمرسين . . وانتهت صاحبة الصوت الأمر من حديثها الطويل ، فارتفع هدير يمزق صمت المكان من كل الفتيات المصطففات وهن يرددن معا :

- عاشت الملكة . . عاشت الملكة . .

وعاد الملك « سيف » يدقق النظر في تلك التي تتوسط الصفوف ، فرآها تلبس رداء مثل رداؤه . . وأدرك أنها جاءت مع المجموعة الأخيرة من

الفتيات ، تلك المجموعة القريبة من مكانه . . ثم شاهدها وهى تصفق بيديها ، فاذا بنظام الصفوف يختل من جديد بينما عادت إلى الهواء أصوات الضحكات العذبة والصيحات الطروبة . . .

ومضت الفتيات يجربن ويلعبن فى مرح ونشاط من جديد . . وكان الملك « سيف » مازال مصوباً نظره ناحية صاحبة الصوت الأمر ، فاذا به يراها تتجه نحو المجموعة الاخيرة ، وسرعان ما دارت بها الفتيات وكأنها يستشرنها فى اللعبة التى سيقمن بها . . ومارٍبث الملك « سيف » أن رأى الدائرة الملتفة حول صاحبة الصوت الأمر تتفرج عنها وهى تمسك فى يدها صولجاناً تضرب به كرة من الذهب جعلت تجرى فوق الاعشاب المبتلة بندى الصباح فى سرعة وقوة متجهة نحوه تماماً . . وخلفها كل الفتيات يتصايجن ويجربن ، وكل واحدة تمسك بيدها صولجاناً لتسبق زميلاتها فى ضرب الكرة المندفعة بسرعة نحو مكمنه . .

وأحس الملك « سيف » بأن لحظة الخطر التى كان يخشى حلولها تقترب بسرعة مع حركة الكرة الذهبية المندفعة نحوه . . وشمله الاضطراب فما عاد يدرى ماذا يفعل . . لو ظل فى مكمنه فلا شك أن الفتيات فى اندفاعهن وراء الكرة سيعثرون عليه . . وان تحرك اية حركة لأمكنهن اكتشاف مكانه دون عناء . . وازدادت الكرة اقترباً ، وازدادت ضربات قلب الملك « سيف » سرعة واضطراباً . . وفجأة وجد نفسه يندفع فى سرعة من وراء الاعصان المتشابكة ويضرب الكرة بكل قوته ثم يقف وقد توترت أعصابه أثر هذه الحركة العنيفة فى انتظار ما سيحدث . . ولكن شيئاً لم يحدث ، فقد اندفعت الفتيات وراء الكرة من جديد وهن مازلن يتضحكن فى نشوة وسرور . .

وملاً الملك « سيف » رثيته من الهواء النقى حوله ثم زفره فى راحة . .

لقد حسبنه واحدة منهن ، ولم يشعرن بأنه غريب وانه رجل . . . فقد ساعدته الملابس التي يرتديها - كما ساعده اطمئنانهن الزائد إلى استحالة وصول غريب إلى أرضهن - وأدرك الملك « سيف » أنه إن ظل وقفا هكذا فلا بد أن يلفت إليه الأنظار ، فلم يكن أمامه إلا أن يندس وسط الفتيات تاركا أمره للظروف والقدر . . فاندفع يجرى بكل قوته حتى أدركهن ، وسرعان ما كان يسبقهن إلى الكرة ليضربها بصولجانه من جديد . . !

وعادت الكرة مرتدة ، ووراءها عادت الفتيات وقد بدأت الدماء تتصاعد إلى وجوههن . . وأخذت أنفاسهن تنقطع من الجرى العنيف بينما خفت أصواتهن الا من صيحات احتجاج لاهثة . . وكان الملك « سيف » في جريه بينهن يتجنب أن يصطدم بأحدهن أثناء جريه ، ولهذا فقد كان يتعمد دائما أن يكون في المقدمة . . وهكذا لفت الملك « سيف » إليه الانظار من حيث أراد أن يخفى أمره ويستر وجوده . .

وحين سمع الملك « سيف » صوت التصفيق أول مرة لم يهتم به ، ولكن صوت التصفيق في المرة الثانية كان يحمل ايقاع الغضب ونبرة الحنق . . والتفت الملك حوله ليرى انه وحده الذى يجرى ، بينما رجعت كل الفتيات إلى الاصطفاف عند حافة النهر . . وصاحبة الصوت الأمر تقف هناك وهى تنظر إليه فى غضب وتصفق بيديها للمرة الثالثة .

وتوقف الملك « سيف » عن جريه حائرا ، ولكن حيرته لم تطل فقد وجد انه من الأسلم أن يستمر في تمثيل دوره حتى النهاية ، وهكذا اتجه مسرعا إلى حيث وقفت الفتيات عند حافة النهر ، واندس في الصف الاخير يأخذ له مكانا بعيدا عن عيني صاحبة الصوت الأمر التي كان

يحس أن نظراتها تكاد تخترق جسده وتنفذ إلى أعماقه لتكشف زيفه
وخذعته . .

وتحولت العينان عنه ، ثم صفت بيديها ، وتعالى من جديد
صيحات الفتيات وضحكاتهن ، واحترار الملك « سيف » فى معنى هذه
التصفيقة الجديدة ، ولكنه حين تلفت حوله وجد الفتيات وقد اشتبكت
كل اثنتين منهما فى صراع فنى ، تتجاذبان وتتدافعان ، وكل واحدة تريد
أن تنزل غريمها إلى الأرض . . وخشى الملك « سيف » أن ظل واقفا فى
مكانه أن يثير الشكوك التى احس من نظرات صاحبة الصوت الأمر أنها
بدأت تتولد فى نفسها بالفعل . . وخشى كذلك أن تعارك مع إحدى
الفتيات أن تكشف حقيقةه وتعرف تنكره . . ولم تطل حيرة الملك « سيف »
هذه المرة أيضا ، ولكنه فى هذه المرة لم يكن صاحب الفضل فى انائها إذ
تقدمت منه صاحبة الصوت الأمر حتى وقفت فى مواجهته تماما ،
وجعلت تحدق فى عينيه فى قوة وهى تقول :

- انك تتجنين اللعب مع الفتيات . . !

وخشى الملك « سيف » أن يرد عليها فتكشف خشونة صوته حقيقة
امره ، ولكن صاحبة الصوت الأمر لم تكن تنتظر منه ردا بل عادت تقول :
- لقد غرّتك قوتك حين رأيت انك تسبقين كل الفتيات فى الوصول إلى
الكرة ، وتقذف ضرباتك بالكرة بعيدا جدا عن قدرة أية واحدة منهن . .
وعاد الملك « سيف » يلتزم الصمت مرة أخرى ، وهو يحس بالقلق من
نظرات عينيه النافذة ، وبالأضطراب من نبرات صوتها التى توحى بأكثر
مما تحوى من معان . . وعادت هى تقول :

- اننى لا أكاد اذكر وجهك ولا اسمك رغم أننى اعرفكن جميعا
تقريبا ، كما اننى لا أذكر اننى لاحظت مهارتك فى اللعب قبل هذا
الصباح . .

وصممت لحظات ، ثم استدارت فجأة تسير في هدوء وهى تقول
بنفس الصوت الأمر :

- اتبعينى . .

ووجد الملك « سيف » نفسه يسير وراءها مسلوب الإرادة ، شارد
الفكر . . وقد ازداد اضطرابه وتوترت اعصابه وهو يشعر أنه يواجه لحظة
خطيرة قد تحدد مصير حياته نفسها . . وظلت صاحبة الصوت الأمر
تسير والملك « سيف » يسير وراءها إلى أن ابتعدا عن الفتيات وأشرفا على
الاشجار الكثيفة المتقاربة . . وحين وقفت تواجهه اخر الأمر كانت
الاشجار تعزلهما عن شاطئ النهر وتحجب عنهما الفتيات اللاتي كانت
اصواتهن اللاهثة المضطربة المليئة بالحياة والمرح تصل إليهما من بعيد . .
وقالت وهى تواجهه :

- والان . .

ورفع الملك « سيف » رأسه فى دهشة ، فقد عاد إلى نفسه ذلك الشعور
الغريب بأن نبرات صوتها تحمل أكثر من المعانى التى تبدو من كلماتها . .
ولكن عينيها كانتا تحملان نفس التعبير الصارم والنظرة النافذة الأمرة . .
وقالت :

- هل تريدان أن تجربى قوتك معى لأثبت لك زيفك ؟

وفجأة ، تحركت نحوه ، وبحركة من حركات الصراع المتقنة رفعت
الملك « سيف بن ذى يزن » الذى شلت حركته الدهشة ، وقذفت به إلى
الأرض فى سرعة ، ثم اندفعت تجشم فوق صدره وهى تبتسم . .
وحار الملك « سيف » فى تحليل ابتسامتها فلم تكن ابتسامته فوز ولا
ابتسامته تشفى . وانما كانت ابتسامته عبث ساخر . . وقالت :
- لم أكن أظن انك جاهلة بفنون الصراع كل هذا الجهل .

ثم انطلقت تضحك في سخرية . . وبحركة سريعة من يده القوية
ألقى بها الملك « سيف » أرضا وقد استفزه غضب مفاجئ ، ثم وثب واقفا
وحملها من فوق الأرض في سهولة ورفعها فوق ذراعه في يسر ، وكاد يخبط
بها الأرض في عنف لولا أنه تذكر فجأة انها امرأة . . فملاها احساس
بالخجل من نفسه ومن تصرفه الطائش الاحمق . . وأنزلها إلى الأرض في
بطء ، ووقف أمامها هادئا وقد عقد يديه فوق صدره ، وقد تأكد أنه أفسد
كل شيء بعدم ضبطه لغضبه العارم ، وانفعاله الغاضب الاحمق . .
وظلت تمهدق في وجهه لحظات ، ثم انفجرت فجأة ضاحكة . . ولم
يكن في ضحكاتها السخرية التي توقعها الملك « سيف » ولا الغضب أو
السخط الطبيعيين بعد ما أقدم عليه الملك « سيف » . . واعتراه اضطراب
شامل لم يدر معه ماذا يفعل ولا كيف يتصرف . . وقطعت ضحكاتها
قائلة :

- عبتا تحاول الاختفاء أيها الملك . . لقد عرفتك منذ اللحظة التي
خرجت فيها من وراء هذه الأشجار المتشابكة التي كنت تختبئ خلفها . .
ولكني لم أكن متأكدة . . وحين رأيت ضربتك للكرة ، وشاهدت جريك
وراءها ، أو شك ظني أن يتحول إلى يقين . . . وحين تفرست في وجهك
فرأيت هذه الشامة التي طالما سمعت وصفها لم يعد يساورني أى شك في
شخصيتك . . !

وارتج القول على الملك « سيف » ، ولكنه استعاد هدوءه بسرعة وقال :

- وتعرفين من أنا . . ؟

فعدت تضحكك ضحكاتها الهادئة ، وهي تقول :

- وأعرف أيها الملك « سيف بن ذى يزن » لماذا أنت هنا في هذه الملابس

النسائية . . !

واحترارت عدة أسئلة عند شفتى الملك « سيف » . . كلها تتدافع
متسابقة تريد أن تحظى بجواب سريع . . ولكنه قبل أن يتحدث سمعها
تقول فى صوتها الأمر الذى سمعه منها أول مرة وهى تخاطب الفتيات :

ـ قلت لك انك لا تجيدين الدفاع عن نفسك ، انظرى . .
واندفعت نحو الملك « سيف » الذى عقدت لسانه الدهشة . .
فأمسكت بذراعه فى شدة وثنته فى عنف ، ثم طوت الذراع فجأة بحركة
ماهرة ألقت بالملك « سيف » إلى الأرض . . وسمع الملك ضحك فتيات
من خلفه ، فنظر وراءه فإذا بمجموعة من الفتيات تقف عن قرب وهن
يتغامزن عليه ويضحكن منه ، ففهم الملك « سيف » سر التغيير المفاجئ
الذى طرأ عليها . . وقام من رقدته متخاذلاً وهو يتشاغل بتنظيف ثوبه
من الغبار الذى علق به ، وسمعها تقول :

ـ وأنتن أيتها الفتيات ماذا جاء بكن هنا ؟ . . هيا انصرفن إلى المران
حتى أنتهى من هذه الفتاة الكسول التى لا تعرف الا الجرى بساقيها
الطويلتين . .

وارتفع صوت ضحكات الفتيات من جديد ، ثم انطلقن جاريات
حتى غبن عن أنظار الملك « سيف » . . وعادت تقول :

ـ عفوا أيها الملك ، لقد اضطرت إلى هذا اضطراراً حتى لا ينكشف
أمرك ، فان بذرة شك واحدة لو نبتت فى نفوسهن فيها القضاء عليك
وعلى أنا وعلى من تحب . . هؤلاء الذين قطعت هذه المسافة الطويلة من
أجلهم . . !

وقال الملك « سيف » فى لهفة :

ـ أنت تعرفين مكان « منية النفوس » ومكان « مصر » ابنى . . واقترب
منها دون أن يحس ، وأمسك بذراعيها يهزها فى عنف وهو يقول :

- أين هما ؟ أين هما . . ١٩ .

وعاد صوتها يكتسب جموده وهى تقول :

- تمالك نفسك أيها الملك ، ان كل شىء مرهون بأوانه . . وقد صبرت حتى الآن ، وتجشمت المشاق لتصل إلى هنا ، فاصبر قليلا وسأخبرك بكل شىء . . .

وأعادت كلماتها الهادئة الملك « سيف » إلى صوابه ، فترك ذراعيها وأطرق إلى الأرض وهو يقول فى صوت هامس :

- عفوا . . أرجوك أن تعذريني ، فهذه الساعات التى قضيتها هنا أشق على من كل ما مر بى فى رحلتى الطويلة . لقد قتلتنى القلق والخوف والاضطراب حتى اعترانى اليأس ، وجاءت كلماتك لتحيى فى أملا قد ماتت ففقدت قدرتى على التحكم فى نفسى . . ا

فاقتربت منه ، ووضعت يدها على كتفه وهى تقول :

- ليس عليك من بأس أيها الملك . . انى مقدره ما أنت فيه ، وسأريحك فأقول لك أننى أعلم مكان زوجتك وابنك ، وهما حتى الآن فى أمان . . وقد أقسمت أن أنقذهما مهما كلفنى الأمر . . وهذا هو سر توقعى بجيتك . .

ورفع الملك « سيف » رأسه وهو يسأل :

- تنقذيهما ! . . ؟ من أى شىء . . ؟

قالت فى صوت هادى متزن :

- ان « منية النفوس » منذ عادت من بلادك ، وهى فى السجن مع

ولدها تعاني أشد أنواع العذاب وأقساه . . ا

وهتف الملك « سيف » فى غضب :

- فى السجن !؟ . .

وعادت تقول في نفس الصوت الهادئ ، وان شابهته نبرات حزن
واضحة :

- نعم أيها الملك ، وأى سجن ؟ . . أنها تعانى من الشقاء ما كان
كفيلا بالقضاء عليها . ولولا أنها كانت دائما تؤمن أنك ستسعى اليها
وستخلصها من سجنها لقضى عليها ما تلقاه من عذاب من زمن
طويل . . !

وسكنت وقد بدت في عينيها نظرة شاردة حزينة ، وتنهدت وهى
تقول :

- لقد كبر ابنك الآن وأصبح يدرك العذاب الذى تعيش فيه أمه . .
وكلما نظرت في عينيه البريثتين طالبنى حزن دفين وسؤال محبوس كأنه
يقول: لماذا ؟ . . لماذا تعيش أمه في هذا العذاب ، ولماذا يعيش هو في
القبورالربط بعيدا عن الضوء والحياة ، بعيدا عن الشمس والمروج . . ؟
وغشت وجه الملك « سيف » سحابة قائمة ، وقال في بطء وعيناه
تلمعان في غضب :

- حقا . . لماذا . . ؟ انها هربت من قصرى لتعود إلى أهلها ، أياكون
جزاؤها منهم السجن والعذاب . . ! ؟
قالت :

- لقد عادت وهى زوجة وأم . . وفي مدينتنا لا مكان الا للفتيات
العذارى . . وعندما تعرف واحدة منا أن هناك في الوجود شيئا اسمه
الرجل فلا مصير لها الا الموت ، أو ما هو أسوأ من الموت ، حيث تنفى إلى
كهف الوسط . . وهو كهف عند منبع النهر الذى يفصل مدينة الذكور
بمدينة الاناث ، تعيش فيه المرأة التى قضت الصدفة بأن تتأخر عن
العودة إلى المدينة فيشاهدها الرجال ويأسرونها . . وفي الكهف تظل هناك

نهبها لرجال المدينة الاخرى حتى تلد ، فان كان ولدها ذكرا حمل إلى مدينة الذكور ، وأن كان ولدها أنثى حملت إلى مدينتنا . . .

صاح الملك « سيف » في غضب :

.. ما هذا الضلال ؟ . . أتتكرون على المرأة أن تعيش كامرأة ، وتتكرون على الرجال أن يعرفوا نساءهم . . وتستحلون هذا الفحش الذى تسمينه كهف الوسط . . ١٩

وكان فى صوتها حدة وهى تقول له :

- أيها الملك لا تنس نفسك فتضيعها ، احذر ما تقول ولا ترفع صوتك . . ان هذا هو قانوننا ، عشنا عليه منذ سنين . . ونحن راضون به . . ١

وكان صوت الملك « سيف » خافتا ، ولكنه ينطلق بالمرارة والغضب وهو يقول :

- ان قانونكم هذا ضد الحياة ، لا بد له أن يموت . . ان للخالق شرعته ، ولا بد لشرعة الخالق أن تسود . . ١

وأحس بها تضع يدها فوق ذراعه وهى تقول فى صوت مضطرب :

- يحسن أيها الملك أن نبتعد قليلا فقد بدأ وقوفنا الطويل يلفت الانتباه . .

وتركها تقوده متغلغلة بين الاشجار حتى ابتعدا تماما عن حافة النهر ، وحتى اختفى النهر ومن حوله من الفتيات وراء حاجز سميك من الاشجار . . ثم وقفت ونظرت اليه قائلة :

- لقد حدثتني سيدتى « منية النفوس » عنك كثيرا . . عن شجاعتك وقوتك ، وعن خلقك وشهامتك حتى تمنيت أن أراك ، وحتى آمنت معها أنك ستجتاز كل صعب فى سبيل الوصول إليها وتحليصها . . ولكنك اذا

كنت ستترك للغضب أن يسيطر عليك ، فلست أرى لك أو لها أى أمل
في الخلاص . . ولست أرى إلا أن تتركها لمصيرها وتعود إلى بلادك ناجيا
بنفسك . . !

وظل الملك « سيف » ينظر إليها لحظات في وجوم . . ثم أخذت
الابتسامة الهادئة تعود إلى شفثيه وهو يقول :

- أنك حقا فتاة باسلة . . فمن أنت . . ؟

قالت وعلامات الاطمئنان تطرد معالم القلق من وجهها :

- ان هذا أحسن أيها الملك . . ان اسمى مرجانة وأنا وزيرة هذه المدينة
منذ أن كانت « منية النفوس » هي ملكتنا . .

قال الملك :

- ومن ملكتكم الآن . . ؟

قالت مرجانة :

- أنها الملكة « نور الهدى » أخت « منية النفوس » . . وكانت قد
أرسلت إلى أبيها الملك « قاسم العبوس » بخبر اختفاء أختها
« منية النفوس » فأمرها أن تتولى هي حكم المدينة . . وحينما عادت
« منية النفوس » أخبرت أباهها بأمر عودتها وبأنها تحمل معها طفلا ، فأمر
بحبسها بعيدا عن كل عين وتعذيبها بضربها بالسياط كل يوم . . كما
أمرها أن تحبس معها ابنها حتى يكبر فيرسل إلى مدينة الذكور . . !

قال الملك « سيف » :

- وتعذيبها أختها . . !؟

قالت « مرجانة » :

- انها تضربها كل يوم بالسوط تنفيذًا لأوامر أبيها ، ولا تقدم لها من

الطعام الا ما يسد الرمق . . !

همس الملك وهو يكتم غضبه الذى ينشب مخالبه فى صدره وقلبه بصعوبة بالغة :

- دلينى على مكانها وسأخلصها مهما كان الثمن ..
ضحكت « مرجانة » فى مرح وهى تقول :

- انك حقا كما وصفتك تماما ، لا يثنيك شىء .. ألا تعلم أنها فى قبر داخل السجن ، والسجن محاط بالحراس والسجن داخل المدينة ، والمدينة محروسة بجيش من الفتيات المدربات ، ولا سبيل للدخول اليها الا من أبوابها .. وعلى الابواب تماثيل مطلسمة لا يقترب منها ذكر الا وتصيح عليه صارخة : عند الباب ذكر ، فيندفع اليه الحراس من الفتيات يمزقنه بسيوفهن شر ممزق .. كلا أيها الملك .. ان الامر ليس بها تظن من السهولة واليسر .. !

وتقلص وجه الملك « سيف » فى حزم :

- ولكن لا بد من انقاذها .. وسأنقذها .. ولست أظن انك تودين بقاءها إلى آخر العمر فى هذا العذاب المقيم ..
قالت « مرجانة » وفى صوتها نبرة حنان :

لقد كنت لها نعم الصديقة ، فقد نشأنا معا منذ الطفولة .. وفى محتتها الرهيبه هذه لا يخفف عنها ما تعانى الا زيارتى اليومية لها .. فأنا أزورها كل يوم لأواسيها واشجعها واداعب طفلها الجميل البرىء .. وفى زيارتى هذه لها سمعت منها عنك ، ووصفتك لى حتى أننى عرفتك منذ اللحظة التى رأيتك فيها .. وأنا وما أملك ، بل وعمرى نفسه فداء لها .. فأمر بها تشاء وستجدنى أول من ينفذ أمرك .. أما أنا فانى عاجزة عن القيام بأى شىء لانقاذها .. !

وأطرق الملك « سيف » إلى الأرض مفكرا، ثم رفع رأسه وهو يقول لها .

- هل تستطيعين ادخالى إلى المدينة دون المرور على الابواب ذات الحراس
المطلسمة؟

وصمتت « مرجانة » لحظات ولكنها سرعان ما اندفعت تقول في
حماس .

- هناك طريقة واحدة أيها الملك ، أن تدخل المدينة من فوق الاسوار .
ان يبيتى يقوم عند السور الجنوبي فلو أمكنك أن تختفى حتى المساء فربما
استطعت أن أدلى اليك بسلم من الحبال من نافذة حجرتى عبر السور
لترتقيه وتدخل المدينة دون أن يحس بك احد . .

وانتقلت عدوى حماسها إلى الملك « سيف » فصاح في توفز :

- بورك فيك يا « مرجانة » . . ان وجودى داخل المدينة ضرورى
لانقاذها ، ولا يجب أن يشعر بى أحد حتى أخلصها من قيودها . .
وبعدها سنرى . .

وكان وجهه ملتهبا بالحساس ، وقد التمعت عيناه في عزم ، وارتفعت
جبهته في ثقة ، وشمخت أنفه في تحد وتصميم . . ونظرت اليه « مرجانة
في اعجاب وقد ملأت نفسها الثقة أنه قادر على أن يفعل ما يقول . .
ونظرت حولها فلمحت حركة الفتيات بين الاشجار ، فقالت في سرعة وهى
تمسك بذراعه :

- هيا بنا نعود إلى الفتيات ، فقد حان موعد الافطار ولا بد أنهن يبحن
عنى . . وحين نعود ، عليك أن تختلط بالفتيات وأن تأكل معهن ، وان
تواصل اللعب كواحدة منهن ، ولكن عليك ونحن في الطريق إلى المدينة
أن نختار مكانا صالحا للاختفاء ثم تنفصل عنهن دون أن يشعر أحد بك ،
وتظل في مكنك حتى المساء . ولا تنس السور القبلى . . . !

وكانت وهى تتحدث قد قاداته نحو العودة وهى تسرع في سيرها ، وما

أن وصلنا إلى حافة الأشجار حتى تركته لتتجه نحو مجموعة من الفتيات
تقف على مبعدة ، وسمعها وهي تصيح فيهن :

- ماذا تفعلن هنا وقد حان موعد الافطار ؟ . . ا .

وقالت الفتيات ، وهن ينظرن إليها في دهشة :

- أننا نبحث عنك أيتها الوزيرة فقد قلقت الملكة عليك ، والغريب

أننا بحثنا في كل مكان فلم نجدك . . ا .

وعاد صوت « مرجانة » يرتفع وفيه اضطراب خفيف لم تخطئه أذن الملك

« سيف » وهي تقول :

- كنت أجمع أشتاتكن المتفرقة . . هيا أسرعن إلى حافة النهر، وكل واحدة

منكن لن أجدها في مكانها عند النهر ستعرض نفسها لأشد العقاب . . ا .

ونظرت إلى الملك « سيف » نظرة سريعة ، ثم أسرعت متجهة إلى حافة

النهر . ومضى الملك « سيف » يخطى لسبقها إلى هناك . . واستطاع

أن يندس وسط جمع كبير من الفتيات كن يتحدثن في اهتمام ، واستطاع

أن يدرك أن حديسهن ينصب على غياب الوزيرة عن موعد الطعام . .

ولكن حين ظهرت « مرجانة » تتبعها الفتيات صمت كل صوت ، ووقفت

وقفة الانتباه وقد انتظمت صفوفهن . . ووقف الملك « سيف » وسطهن ،

وقد اطمانت نفسه إلى أن ملابسه تخفى حقيقته عنهن . .

وظلت « مرجانة » واقفة أمامهن صامته ، والمكان كله ينجيم عليه

السكون وكأنهن في انتظار حدوث شيء . . وفجأة لمح الملك « سيف »

كوكبة من الفارسات يقبلن على ظهور الخيل من ناحية المدينة ، وأحس أن

كل الانظار تتجه نحوهن في انتظار . . ا .

وما أن وصل الموكب إلى مكان الوزيرة « مرجانة » حتى توقف . .

وتقدمت « مرجانة » نحو الفارسة الأولى ومدت يدها تساعدها على

الترجل ، وخيل إلى الملك « سيف » أن في هذه الفارسة شيئا أليفا عليه . .
وما أن نزلت الفارسة عن جوادها حتى واجهت الصفوف المنتظمة
للفتيات ، وصفقت « مرجانة » بيدها فارتفع صوت الفتيات كالهدير . .
.. عاشت الملكة ! .. عاشت الملكة ! ..

وفجأة أدرك الملك « سيف » سر ما كان يحسه من ألف تجاهها . . فقد
خيل إليه للحظات أنه ينظر إلى زوجته « منية النفوس » ، وأحس بقلبه
يسرع في خفقاته ، وبأنفاسه اللاهثة تكاد تكشف أمره . . ولكنه سرعان
ما أدرك أن الشبه بين الفارسة وبين زوجته كبير جدا ، ولكنها لم تكن
هى . . ولم يخالجه شك في أن هذه الفارسة هى « نور الهدى » اخت زوجته .
« منية النفوس » التى تعذبها كل يوم ، وتسجنها في قبر القصر ، وتحتل
مكانها كملكة على المدينة . . !

وصفقت « مرجانة » مرة أخرى . . وسرعان ما تقدمت الفتيات نحو
الفارسات الاخريات اللاتى كن يتبعن الملكة يأخذن منهن الطعام
لاعداده عند حافة النهر ، وقد بدأت أصواتهن من جديد تتعالى
ضاحكات في مرجح . . وتحرك الملك « سيف » يشارك في كل شىء ،
وذهنه غائب عنه ، وبصره لا ينزل عن الملكة « نور الهدى » . . !

وبينما هو يحمل حملا من الفاكهة إلى المائدة المعدة عند النهر ، أحس
بيد توضع على كتفه وبصوت « مرجانة » يهمس في أذنه :

.. لا تكشف نفسك أيها الملك . . كن على حذر ، وكفاك تحديقا في

الملكة . .

وأعادت هذه الكلمات إلى الملك « سيف » هدوءه وضبطه لاعصابه ،
ومضى يحاول جاهدا أن يتصرف بصورة طبيعية طوال فترة الافطار التى
أحس بها تطول وتضغط على اعصابه وتشدها شدا . . !
وحين انتهى الافطار ، عادت « مرجانة » تقف في مواجهة الفتيات

وتصفق بيدها ، فعادت الفتيات إلى الاصطفاف من جديد ، ثم بدأت يتحركن في رحلة العودة . . وكلما ازداد اقترابهن من أسوار المدينة اشتد اضطراب الملك وهو يتلفت حوله باحثا عن مكان يخفيه عن الانظار حتى يجن الليل . . ولكن الجميع يقتربن من أسوار المدينة وهو لا يجد مكانا ملائما ، و « مرجانة » منصرفه عنه تماما تسير في مقدمة الموكب إلى جوار الملكة . .

وبدأت أولى الجماعات تدخل أبواب المدينة بالفعل . . وخشى الملك « سيف » ان هو ازداد اقترابا من الباب أن يصبح التمثال المطلسم كاشفا مكانه ، فظل ينتقل بحذر وهدوء بين الصفوف ليقترب من المؤخرة وليصحب مكانه في أقصى الطرف الايمن . .

وحانت من الملك « سيف » نظرة إلى يمينه . . وهناك رأى شجرتين سامقتين ، تقارب ساقاهما بحيث أصبحا كالكتلة الضخمة الواحدة . . وكانت هذه فرصته الوحيدة ، فنظر عن يمينه وعن يساره ، ولم تكن هناك فتاة واحدة تهتم بمراقبة حركاته ، فكلهن قد انصرفن إلى النظر نحو الباب الكبير مترقيات دورهن في الدخول إلى المدينة . .

وبسرعة خارقة قفز الملك « سيف » من مكانه نحو الشجرتين وانبطح على وجهه فوق الأرض . . ثم أخذ يزحف بسرعة حتى اقترب من الجذعين العريضين وتوارى خلفهما . . ولم ترتفع خلفه صيحة واحدة ، ولم تره واحدة من الفتيات . . ورفع رأسه في حذر ، وهناك كن جميعا يدخلن إلى المدينة دون أن يشعرن بما حدث . . واخذت ضربات قلبه تعود إلى هدوئها السابق وهو يهمس لنفسه :

..موعدنا حلول الظلام . .

ثم التفت محمدا مكان السور الجنوبي للمدينة ، وغاص برأسه مختفيا خلف جذع الشجرتين ينتظر موعد بدء العمل . . ا

كان الملك « سيف » في مكمنه يرقب غروب الشمس في قلق ، وهو يعد الدقائق الباقيات في عمر النهار . . وأذناه المرهفتان تلتقطان اصوات المدينة التي بدأت تخفت تدريجيا كلما تقادم بالنهار العمر وأوشكت لحظاته الباقيات على النهاية . .

وكانت عيناه دائمة التحديق في الجهة الجنوبية من السور ، وقدظن أكثر من مرة في ذلك النهار الذى قضاه ساكنا لا يأتي بحركة أنه شاهد شبحا عند نافذة من السور الجنوبي يطيل التحديق في اتجاهه . . وكان الخوف يتملكه حينما خشية أن يكون أمره قد افتضح . . ثم يعود الامل ليحل محل الخوف حينما آخر مرجحا أنها « مرجانة » تتأكد من وجوده عند أسوار المدينة كما اتفقا في مطلع النهار . . ولكنه كان آخر الامر يرجع ما يظن أنه يراه إلى الوهم الذى تغلب عليه وأصبح يرسم له أشياء كثيرة هى وليدة قلقه واضطرابه وانتظاره الممل الطويل . .

وحين غابت أول أشعة الشمس من السماء ، ملأ الملك « سيف » رثيبه من الهواء النقي حوله في راحة واسترخاء . . وحين لمع ضوء أول مصباح في المدينة وقف الملك « سيف » على حذر وهو يتلفت حوله . . فلما اطمأن أنه يقف في الوادى كله وحده بدأ يحرك ذراعيه وقدميه التى احس أنها قد تيبست من طول توقفها عن الحركة . . ثم بدأ يتسلل وظلام الليل الوليد يستر حركته وهو يتجه نحو السور الجنوبي ، وفى ذهنه أن يقصد إلى ذلك

المكان الذى خيل اليه أثناء النهار أنه لمح فى نافذة منه شبها يمدق فى اتجاهه . .

وكان الملك « سيف » يتحرك فى سرعة ، ولكن فى حذر ، فقد كان يخشى أن تقع عليه عين أحد الحراس فيضيع كل ما بذل من جهد هباء . . وأكثر من مرة خيل اليه أنه يرى أشباحا فى الظلام تمدق تجاهه من ناحية السور ، فيثبت فى مكانه ممتنعا عن كل حركة . . فاذا ما التفت ناحية السور لمحت عيناه مصباحا جديدا يضاء فى نافذة من نوافذ المنازل العديدة التى تطل على السور مباشرة . .

وخيل للملك « سيف » أن رحلته لا تريد أن تنتهى ، وأن السور اللعين يبتعد عن مكانه كلما اقترب منه ، ولكنه واصل تقدمه فى سرعة وفى حذر . . وفجأة وقف فى مكانه فى ترقب ، وعيناه تتبعان ضوءا لامعا يتحرك أمامه من بعيد إلى أقصى اليمين ، ثم يعود فى بطء شديد إلى أقصى الشمال حيث يثبت فى مكانه لحظات ثم يبدأ حركته من جديد متجهها إلى أقصى اليمين . . وظل الملك « سيف » يديم النظر اليه محاولا تحديد مكانه ، وسرعان ما أدرك أن هذا الضوء المتحرك انما ينبعث من النافذة التى لمح فيها الشبح أثناء النهار ، وتأكد عند الملك « سيف » أن هذا الضوء يحمل اليه رسالة واضحة المعنى ، فهذه هى النافذة التى تنتظره عندها « مرجانة » . . وأسرع الملك « سيف » يتحرك فى اتجاه الضوء ، وقد امتلأت نفسه بالامل . . وشفتاه ترددان فى همس :

.. شكرا لك يا « مرجانة » . . أيتها الملاك الحارس الامين . .

وكان الملك « سيف » قد وصل إلى السور ، فمضى يسير محتما به متملسا أحجاره بيديه وهو يسرع فى خطاه . . وفجأة أحس الملك « سيف » بشيء ناعم الملمس يمس يده الممدودة ، فأجفل وتوقف فى مكانه وهو

يصدق البصر في ذلك الشيء الذى لمستته يده . . وسرعان ما تحقق أنه سلم الحبال الذى وعدته « مرجانة » أنه سيكون في انتظاره . . وجذب السلم بيده فاختمى النور المتحرك الذى كان يعلو مكانه تماما . . وتلفت الملك « سيف » حوله ليتأكد أن أحدا لا يراه ، ثم مضى يرقى السلم في حذر . .

وكان الملك « سيف » في منتصف الطريق ، حتى سمع صوتا هامسا يقول :

- أهذا أنت أيها الملك . . ١٩

فهمس في بهجة :

- نعم يا « مرجانة » أنه أنا . .

وعاد الصوت الهامس القلق يقول من جديد :

- أسرع بالله عليك . .

ولم يكن الملك « سيف » في حاجة إلى مثل هذا الرجاء ليندفع صاعدا في سرعة ، وقد نسى كل حذره . . وما هي الا لحظات حتى كان يعتلى حافة النافذة ليجد نفسه وسط غرفة فسيحة مظلمة . . وأحس « مرجانة » تتحسس ذراعه وهي تقول :

- لحظة واحدة أيها الملك حتى أرفع هذا الحبل وأغلق النافذة ثم أضىء

لك المصباح . .

وسمع الملك « سيف » في الظلام صوت احتكاك الحبل بحافة النافذة ، ثم اشتد ظلام الحجرة حين أغلقت « مرجانة » النافذة . . وما هي الا لحظات حتى امتلأت الحجرة بالنور ، والتفت الملك « سيف » ليجد « مرجانة » تحمل في يدها مصباحا من البللور وتبتسم في قلق وهي تقول :

- أهلا بك أيها الملك في مدينة البنات . .
ولم يتمالك الملك « سيف » نفسه من الابتسام ، وقال لها وهو يتجه
نحو مقعد شاهده بجوار الحائط :

- الفضل لك ولشجاعتك أيتها الوزيرة . .
ثم القى بجسده إلى المقعد المريح ، وأسند رأسه إلى ظهره والابتسام ما
تزال تعلق وجهه ، ووضعت « مرجانة » المصباح على منضدة صغيرة في
جانب من الحجره وهى تقول :

- انك جائع أيها الملك ، وأحسب أنك لم تأكل شيئا من
الصباح . . وقد أعددت لك طعامك وسأتيك به في الحال . .
وقبل أن يستطيع الملك « سيف » أن يجيئها ، غادرت الحجره مسرعة
تاركة إياه وحده غارقا في أفكاره وتأملاته ، وجسده المتعب الذى بدأ يحس
بالخدر يسرى اليه وقد حجبت حوائط الحجره عن الهواء الذى ظل يضرب
وجهه وجسده طوال النهار . . ولكنه سرعان ما انتبه تماما على صوتها وهى
تدخل حاملة صفحة عريضة مليئة بأوانى الطعام . . وأقبلت نحوه وهى
تقول :

- الطعام أولا أيها الملك ثم نبحث أمر الاسيرة بعد ذلك . .
قال الملك « سيف » وهو يرفع يده بالطعام إلى فمه :
- انى اريد أن اتخلص من هذا الثوب العجيب الذى ارتديه والذى
أبدو ولا شك مضحكا مثيرا للسخرية . . ا
فضحكت « مرجانة » وهى تقول :

- لم يكن بعد أو أن خلعت لهذا الثوب الذى استطعت بفضلها أن تدخل
إلى المدينة ، فهو سيفيدك في الذهاب إلى السجن حيث انتوى أن أصبحك
بعد انتهائك من طعامك لترى زوجتك ووليدك . .

ويوقف الملك « سيف » من أجل حساب وهو ينظر إليها ، ثم يبسم

قائلا :

- انك تفكرين في كل شيء . . وعلى أية حال فأمر الثوب لا يهم فأنا
أحمل سيفي تحته ، وسيفي هو كل ما احتاج اليه في هذه المدينة الملعونة . .

قالت « مرجانة » وهى ترقبه يعود ليستأنف طعامه في شهية :

- ألا تعلم أيها الملك أن كل فتيات المدينة مسلحات ، وهن مدربات

على القتال تدرييا كاملا . . ا

قال الملك « سيف » وهو يلوح بيده في الهواء :

عندما التقى بزوجتى وابنى ، فليات فرسانك هؤلاء وان كن في عدد
الرمل ، أن سيفى كفيف بهن . . والسيف الذى لم يهب اعتمى الرجال
أتمحسين أنه يخشى فتياتك المدربات ؟ صبرا يا « مرجانة » وسترين . . ا

وجعلت « مرجانة » ترقبه وهو يأكل ، وقد اختفت كل معالم القلق من
وجهه واكتست ملامحه تعبيرا هادئا واثقا ، كله العزم والتصميم . .
وأحست بعدوى حماسه وثقته تنتقلان اليها ، وتملأن قلبها أملا في خلاص
صديقتها الاسيرة ، وايانا بقدرة الفارس الوسيم الذى يجلس أمامها يلتهم
طعامه في اقبال وشهية على تحقيق ما كانت تظنه مستحيلا . . ا

* * *

قال الملك « سيف » وهو ينتهى من طعامه وينهض واقفا :

- هيا بنا . .

فقالت « مرجانة » وهى ترفع المصباح في يدها تنير له الطريق :

- أرجو أن تسير ورائى دون أن يبدو عليك أى مظهر من مظاهر التلكؤ
أو الجهل بالطريق ، ولا تنظر حولك مهما كانت الظروف ، وإن خاطبتك
واحدة من ساكنات المدينة فلا ترد عليها واترك لى أنا الحديث . .

وكانا قد وصلا إلى باب المنزل ، فأطفأت المصباح الذى بيدها ووضعتة جانبا . . وظل الملك « سيف » فى الظلام لحظات حتى فتحت « مرجانة » الباب فتدفق النور من الشارع المضاء ، وحين خطا الملك « سيف » إلى الطريق لاحظ المصابيح الكثيرة المنتشرة فى كل مكان تحيل ظلام الليل فى الشوارع إلى نهار . . ولكنه لم يتلفت حوله بل اتجه بنظره إلى « مرجانة » التى مضت تسير بخطو متزن هادى وهو يتبعها . . وكانت « مرجانة » تتبادل التحية أثناء سيرها مع بعض السائرين فى الطريق ، بل لقد وقفت أكثر من مرة تتبادل بعض الكلمات مع فتيات أوقفنها ليتحدثن إليها . . وكانا الملك « سيف » يقف لوقوفها ويسير لسيرها وكأنه تابع خاص لها . . وظلت « مرجانة » تنعرج من شارع إلى شارع إلى أن أشرفا على بناء يكثر حوله الحراس وتبدو عليه القتامة والكآبة ، وأدرك الملك « سيف » انهما وصلا إلى سجن المدينة . . ومد يده يتحسس سيفه الذى يخفيه تحت الثوب النسائى ، ثم مضى يتبع « مرجانة » وهى تدخل من الباب الضيق يحيطها حرس الباب وترد على تحيتهن بيدها ، ثم تمضى دون أن يعترضها أحد ووراءها الملك « سيف » إلى ساحة عريضة تنتهى بباب يقود إلى سرداب طويل ، تنبعث منه رائحة عفنه ، ويشد فيها الضوء ترسله مصابيح متعددة تقوم على الجانبين . . وفى نهاية السرداب من بعيد ، كان يبدو باب سميك من الحديد أمامه أريكة عريضة جلست عليها سجانة ضخمة الجثة ، ما أن شاهدت الوزيرة « مرجانة » حتى هبت واقفة ، واتجهت إلى الباب تفتحه فيصدر عنه صرير نحيف يبعث الرعدة إلى جسد الملك « سيف » وسمعها وهى تقول :

- لقد تأخرت أيتها الوزيرة عن موعدك المعتاد . . أن رئيسة الحرس

« كوكب » قد سبقتك إلى القبو حيث ترقد « منية النفوس » . . !

ثم كأنها وقع بصرها على الملك « سيف » لأول مرة اذ توقفت يدها عن الحركة وهى تقول :

- أهذه الفتاة الطويلة معك . . ١٩

وكان صوت « مرجانة » حادا أمرا وهى تقول :

- طبعا معى . . وما شأنك أنت ؟ . . هيا افتحى . .

وهزت السجانة البدينة كتفيها ، ومضت تكمل فتح الباب وهى تتمتم لنفسها كلاما مبهما . . وحين مر بها الملك « سيف » تابعا « مرجانة » أحس بعينيها الضيقتين تحدقان فيه بشدة وفيها شك وإرتياب . . وأراد الملك « سيف » ان يلفت انتباه « مرجانة » لما ثار فى صدر السجانة من شكوك ، ولكن تذكر ما قالت له من الامتناع عن الكلام تماما . . فمضى وراءها صامتا وهى تخرج من سرداب لتدخل فى آخر ، وكان سراديب هذا السجن لا نهاية لها . . ا

ووقفت « مرجانة » أخيرا أمام باب صغير دفعته بيدها ، ثم أحنث رأسها ودخلت فى حذر . . وتبعها الملك « سيف » ليجد أمامه سلمة عريضة تليها مجموعة من الدرجات الضيقة المتأكلة تنزل إلى حجرة ضيقة تنيرها مشاعل على الجدران ، وتنتهى بباب حديدى سميك لاحظ الملك « سيف » منذ اللحظة الأولى أنه مفتوح . . وكان الملك « سيف » يتبع « مرجانة » وهى تهبط الدرج ، وعيناه مثبتتان على الباب المفتوح وقد بدأت دقات قلبه تعلقو وتشتد . . ولاحظ وهو ينزل الدرجة الاخيرة أن واحدة ترتدى زيا شبيها بزى السجانة التى رآها عند الباب ، وسمع « مرجانة » تقول وصوتها تردد الجدران السميقة صدها :

- أهذه أنت يا « كوكب » ؟ . . كيف حال سيدتنا الليلة ؟ . .

والفتت اليها تلك التى خاطبتها باسم « كوكب » وهى تقول :

- أسوأ من أمس . . ان كل يوم يمر يقترب بها من النهاية . . ولكن
لماذا تأخرت أيتها الوزيرة « مرجانة » . . ؟

ثم توقفت عن اكمال جملتها ، وهى تحديق فى الملك « سيف » وتقول :
كيف دخلت هذه الفتاة إلى هنا . . ١٩
وكان الملك « سيف » يتقدم نحو الباب المفتوح وقد نسى كل شىء . .
الوزيرة والسجانة ، ونظرات الشك فى عين المرأة الغليظة صاحبة المفاتيح ،
ورائحة القبر العفنة ، والجدران الصلبة . . كانت « منية النفوس » وراء هذا
الباب وهو مفتوح ، وابنه « مصر » معها . . . وسمعتها وكأنها من جوف
بئر عميق تصيح به :

- توقفى ايتها الفتاة . . إلى أين أنت ذاهبة . . !

وأحس بيد توضع على ذراعه فدفعها فى عنف ، وسقطت « كوكب »
على الأرض ، وفتحت فمها لتصرخ مستنجدة فانقضت عليها « مرجانة »
بسرعة ، وكتمت صرخاتها بيدها ، وهى تقول فى صوت هادئ ولكنه
يحمل نذير الوعيد والتهديد :

- لو خرج صوتك من فمك فسأشققك بحسامى شقا . . اياك أن تأتى
بأية حركة والا قتلتك . ! .

وكان الملك « سيف » قد دفع الباب بكل قوته فانفتح على مصراعيه
كاشفا أمامه منظراً مرعباً ، جعله يقف فجأة - بعد اندفاعه العاتى - وقد
تسمرت قدماه إلى الأرض ، وشد بصره إلى تلك المرأة المقيدة إلى عمود فى
وسط المكان وقد تعرى جسدها الهزيل ورسمت الضربات خطوطاً قانية
رهيبة فوقه ، وتدلّى رأسها فى همود واستسلام . . وعند قدميها يرقد طفل
صغير وقد راح فى نوم عميق فوق الأرض الصلبة لا يغطيه سوى ثوب
مهلهل قلدر كثرت فيه المزق التى تكشف عن جسد ضامر معروق . ! .

وجاءه صوت « مرجانة » وهى تقول :
- حذار أيها الملك أن تقتلها المفاجأة . . !
وتنبه الملك « سيف » إلى الحقيقة التى ساقتها اليه « مرجانة » فالتفت
اليها ليراها تقف خلفه ، وقد أشرعت سيفها وسددت ذبابته إلى صدر
« كوكب » التى كانت تهمس فى ذعر :
- رجل . . فى مدينة البنات . . رجل !!
وصاحت بها « مرجانة » فى صوتها الأمر المتوعد :
- اياك والصراخ . . نعم أنه رجل . . وهو الملك « سيف بن ذى يزن »
زوج سيدتك وسيدتى « منية النفوس » وقد جاء لانقاذها . . ولو بدرت
منك بادرة اعتراض واحدة فسأقتلك فى الحال . . !
وفجأة انفرجت اسارير « كوكب » وانطلقت تضحك فى مرح وهى
تقول :

- من كان يصدق هذا ؟ . . الملك « سيف بن ذى يزن » بلحمه
ودمه . . اجتاز كل هذه المسافة التى تفصل بلاده عن جزيرتنا . . وتحطى
كل تلك المهالك التى تملأ الطريق لينقذ « منية النفوس » . . لقد تحقق
حلمها الذى كانت تهذى به دائما . . تحقق الحلم يا « مرجانة » . . ارفعى
سيفك عن صدرى فأنا لست أقل منك رغبة فى خلاصها - هى وابنها -
وأنت تعلمين محبتى لها ، وحنوى عليها ، وعلى الطفل البريء
المسكين . .

وأنزلت « مرجانة » سيفها فى تردد ، بينما اندفعت « كوكب » نحو
الملك « سيف » وهى تمد له يدها وتقول :

- مرحبا بك أيها البطل . . هذه زوجتك التى لم تفقد ثقتها فيك لحظة
واحدة . . ولكن كما قالت الوزيرة « مرجانة » ينبغى أن تتمهل حتى لا

تذهب المفاجأة بلبها . . ا

وتناول الملك « سيف » اليد الممدودة اليه فصافحها وهو يقول :

- شكرا لك يا « كوكب » لقد سهلت الامر علينا . .

وقالت « مرجانة » وهى تتقدم نحو الباب :

- لو أرغمتنى على قتلك يا « كوكب » لعشت عمري كله لا أغفر

لنفسى ما فعلت . . ا

واقتربت « مرجانة » من صاحبة الجسد المقيد تهمس فى أذنيها :

- سيدتى « منية النفوس » . . سيدتى « منية النفوس » . . ا

بينما أسرع « كوكب » إلى القيود التى تشدها إلى العمود تفكها واحدا

اثر الآخر . . وهى تقول :

- أنا وضعت هذه القيود ، وأنا التى ارفعها بيدي . . ا

وأحست المرأة المقيدة بما يجرى حولها فرفعت رأسها وفتحت عينيها ،

والتفتت شبه ذاهلة إلى « مرجانة » ثم همست :

- أهذه أنت يا « مرجانة » أيتها الصديقة الوفية الحنون . . لقد كانت

أختى هنا منذ قليل لتتشفى بتعديبى . .

ثم أحست بحركة « كوكب » وراءها فالتفتت اليها قائلة :

- ماذا تفعلين يا « كوكب » . . أتحلين قيودى ؟ . . هل جننت يا

فتاة؟ . . الاتخافين أن تعلم « نور الهدى » بأمرك فتقيدك إلى جوارى . . ا؟

وهمست مرجانة فى صوت حنون

- لقد انتهى عذابك يا « منية النفوس » . ا

فقال « منية النفوس » فى صوتها الخافت الضعيف :

- لن ينتهى عذابي يا « مرجانة » الا اذا غفر لى الملك « سيف » ان

خنت الامانة وهجرته فى غيابه . . وجاء إلى لينقذنى مما أنا فيه . .

فقال « كوكب » :

- لقد غفر لك الملك « سيف » كل شيء . . . !

وقالت « مرجانة » :

- وجاء يسعى لانقاذك أنت وأبنك . . . !

وابتسمت « منية النفوس » ابتسامة واهنة شاحبة ، وهى تقول :

- انتما تسايران أحلامي . . أين هو منى . . تفصله عنى مساحات

شاسعة وبحار عميقة وجبال شاهقة . .

ولم يتمالك « سيف » نفسه ، فتقدم خطوة إلى الامام وهو يقول :

- بل هو معك فى مكان واحد يا « منية » . . . !

وأجفلت « منية النفوس » وتلفتت حولها فى ذعر ، ووقع بصرها على

الملك « سيف » وهو فى زيه الغريب ، فمضت تحديق فيه النظر وهى

تقول :

- الصوت صوته ، صوت مليكى وزوجى . . صوت الملك « سيف

بن ذى يزن » . . ولكن أنت . . ملابس فتاة من مدينتنا . . الوجه . .

الوجه . . عيناه . .

ثم تهاوت إلى الأرض وقد غابت عن الوعى . . وأسرعت « كوكب »

ترفعها عن الأرض ، بينما انحنت عليها « مرجانة » . . تتسمع إلى دقات

قلبها . . ثم قالت :

- لقد أثرت عليها المفاجأة ، ولكنها بخير . .

ثم هبت واقفة لتترك مكانها للملك « سيف » الذى انحنى عليها يقبل

وجنتيها البارزة ، ويمسح بيديه على شعرها فى حنان . . وقال وعيناه

تبللها الدموع :

- لقد أضناها العذاب حتى أشرفت على الهلاك . . أليس هناك ماء

فى هذا القبو اللعين . . ؟

وقالت « كوكب » وهى تسرع إلى جانب من القبو ، وتعود بإناء فخارى ثقيل :

- لقد أذهلنى اغماؤها . . وأنسانى خوفاً عليها احضار الماء . .
ومضى الملك « سيف » يبلى شفتى « منية النفوس » بالماء ، ويمر بيده المبللة فوق جبهتها وعلى وجنتيها . . وتنهدت « منية النفوس » وفتحت عينيها الذاهلتين تجول بهما فى شرود فى سقف القبو الحجري ، ثم عادت إلى نظراتها سمات الحياة والتذكر ، والتفتت إلى الملك « سيف » تحديق فى وجهه بشدة ، ومدت يدها تمسك يده وتضغط عليها بكل ما فيها من حياة وقوة ، وهمست فى صوت متقطع ضعيف :

- ان كان هذا حلما يا سيدي فابقنى فيه . . كم رأيتك هكذا إلى جوارى كلما اشتد العذاب بى ، كلما تهاوى السوط فوق ظهري يمزق جلدي . . كلما بكى ابنك « مصر » وهو لا يجد من يحنو عليه . . كلما أوجعنى ظهري الملتصق بهذا العمود الرهيب . . كلما اصطدم رسغى بالقيد يشل حركتى ويمزق لحمى . . بالله لا تمض أيها الملك لأستيقظ على الحقيقة الرهيبة المريرة . . !

وهمس الملك « سيف » فى حنان ، وهو يقبل جبهتها :
- ليس حلما يا « منية النفوس » انه الحقيقة . . لقد جئت لانقاذك . .
وأغمضت « منية النفوس » عينيها ، ثم فتحتها من جديد . .
وعادت تهمس :

- أحقيقة أنك هنا . . إلى جوارى ، تمسك يدي ، تضمنى اليك ،
تهمس فى أذنى . . ؟

وعاد الملك « سيف » يقول وهو يغالب دموعه :
- نعم يا « منية النفوس » . . انه أنا زوجك إلى جوارك ، وقد انتهى
عذابك . .

وتنهدت « منية النفوس » فى راحة ، وعلت وجهها ابتسامة مريرة وهى تقول :

- حمدا لله أن رأيتنى فى لباس الذل والهوان ، فهذا جزائى أستحقه . . .
وعاد الملك « سيف » يقول لها وفى صوته كل نبرات الحب :
- لقد غفرت لك كل شىء يا « منية النفوس » . . لقد عرفت الآن
مقدار حبى لك ، أنه حب فوق العذاب وفوق العقبات وفوق الفراق . . !
ومدت « منية النفوس » يدها تضعها فوق شفتيه وهى تقول :
- لا تتحدث . . دعنى انظر اليك . . وأستعيد إلى ذهنى ملاحك
الحبيبة . .

وجاءهما صوت « مرجانة » الضاحك وهى تقول :
- لقد نسيتهما الزمن . . أن أمامكما الكثير لتقولانه ، وليس هنا
مكانه . .

وقالت « كوكب » :
- أجل . . ينبغى أن تخرج بها من هنا أولا . .
وقالت « منية النفوس » وهى تعتدل فى جلستها :
- لقد نسيت أن ترى ابنك « مصر » . .
ومدت يدها إلى الطفل فحملته وقبلته فى حنان ، وهى تقول :
- لم أحمله بين يدى منذ مدة طويلة ، كم هزل وضعف . . انظر ماذا
فعلوا به . .

وأخذ الملك « سيف » ابنه بين ذراعيه فى حنان ، وجعل ينظر إلى
وجهه البرىء الهزيل فى حنان وأسى ، ثم قبله فتنهد الطفل فى نومه
وابتسم . . وارتسمت على شفتى الملك « سيف » ابتسامة حانية وهو
يقول :

- ستجعل منه هذه التجربة القاسية التي واجهها منذ طفولته رجلا صلبا قويا . .

ووقفت « منية النفوس » في صعوبة وهي تقول :

- هيا بنا أيها الملك نخرج من هنا . .

وقالت « مرجانة » وفي صوتها نبرة مريرة :

- ليس الامر بهذه البساطة ، فلا بد لنا أن نفكر في طريقة لالخروجك أنت وابنك دون أن يشبه في أمرنا أحد ، والا فلن يقدر لاحدنا أن يعيش ليبليغ الباب الخارجي للسجن . . ا
فقال « كوكب » :

- لنخرج أولا من هذا القبو الكئيب . . فان الهواء النقي في السرداب كفيلا بأن يعين « منية النفوس » على استرداد قواها . . وبعدها نفكر كما نشاء ولن نعدم وسيلة ناجحة لو أحسنا التفكير . .
قال الملك « سيف » وهو يحمل « منية النفوس » بين ذراعيه ويتجه نحو الدرج الضيق :

- هيا بنا . .

وانحنى « مرجانة » تحمّل الطفل النائم ، بينما أغلقت « كوكب » الباب الحديدي وراءهم وهي تقول :

- لتسرع حتى لا يطلع علينا النهار فينكشف أمرنا . .

وجاءهم صوت ساخر حاد النبرات من فوق السلمة العريضة يقول في

تشف :

- لقد انكشف أمركم وانتهى الامر أيتها الخائنة . . ا

وتطلعت أعينهم إلى أعلى حيث كانت تقف الملكة « نور الهدى » وإلى جوارها السجناء البدينة تعلو وجوها بسمة بشعة ، وخلفها مجموعة من

الحارسات ممتشقات السيوف ، وفي أيديهن المشاعل المتوهجة . . وعادت « نور الهدى » تقول في سخرية :

- انه منظر طريف حقا . . الفارس المنقذ يحمل الخاطئة بين ذراعيه ،
والوزيرة الخائنة تحمل ثمرة الجريمة ، ورئيسة الحرس تستر على
الجميع . . !

ولم ينطق أحدهم بكلمة ، بينما تعلقت عينا الملك « سيف » بالبسمة
البشعة التي تتراقص على شفتى السجانة البدينة ، وقد تذكر نظرات
الشك والارتياب التي لمحها في عينيها أثناء دخوله السجن مع
« مرجانة » . . وهمست « منية النفوس » وجسدها يتخاذل بين ذراعى الملك
« سيف » :

- « نور الهدى » . . !

وعادت « نور الهدى » تقول في صوتها الساخر :

- أجل « نور الهدى » أيتها الشقيقة العزيزة . . أهذا هو الملك « سيف »
اذن . . ما أغربه ملك في زى النساء . . لقد شككت « زعزوعة » الحارسة في
أمره منذ اللحظة الأولى ، فتبعتك أيتها الغادرة « مرجانة » وسمعت
حديثك مع « كوكب » وأسرعت تخبرنى بالامر . .

وأطالت التحديق فيهم ، وكأنها تتشفى من موقفهم العاجز ثم
صرخت قائلة وهى تشير بيدها إلى الحارسات من ورائها :

- مزقوهم بالسيوف . .

كانت «كوكب» أسرعهم جميعًا في امتشاق حسامها تتلقى عليه ضربات المهاجمات .. بينما وضعت «مرجانة» الطفل على الأرض ، وأسرعت تمتشق حسامها لتقف إلى جوار «كوكب» عند الدرجة الأخيرة تمنعان تقدم المهاجمات .. والتقطت الملك «سيف» المفاتيح التي وقعت على الأرض ، وأسرع يفتح الزنزانة من جديد ، ويضع وراء بابها الحديدي حمله الثمين .. ثم خرج ليحمل طفله ويعود به إلى أمه التي وقفت ترقب ما يحدث في دهشة ..

ولكنها تلقت الطفل منه تفضمه إلى صدرها في قوة ، كأنما تحميه يجسدها من الخطر المحقق بهم .. ومزق الملك «سيف» ثوب النساء الذي يرتديه فظهر من تحته ثوبه الحربى الكامل .. وكانت «كوكب» و«مرجانة» قد اشتد عليهما الهجوم ، فأخذتا تتراجعان في ببطء وهما تقاتلان في استبسال .. وصاح الملك «سيف» وهو يجرد حسامه ويلوح به في الهواء فيحدث احتكاكه بالهواء أزيزًا يصم الآذان :

- عودا إلى داخل الزنزانة ، وأنا لمن جميعًا ..

وانقض الملك «سيف» كالنسر الغاضب ، فأطاح برأس أقرب المهاجمات إليه .. بينما دفع بقدمه فارسة كانت تتقدم عن يمينه فرماها بعنف ، وارتطم رأسها بالصخر الصلد فغابت عن وعيها ، وارتفع حسامه

من جديد ليهوى فوق جسد يتحرك عن يساره ، فارتفعت صيحة ألم رهيبية
وسكنت صاحبة الصوت إلى الأبد ..

وذعرت المهاجات ، فأسرعن يتراجعن مسرعات ، وأولهن الملكة
«نور الهدى» ووراءها السجانة البدينة «زعزوعة» والملك «سيف» في
أعقابهن حتى وصل إلى أول السرداب ، وسمع صوت «نور الهدى» وهي
تصيح أثناء جريها :

- أعلنوا النفير في المدينة ، واستدعوا الجيش كله ، وحاصروا
السجن ..

والتفت الملك «سيف» وراءه فشهد «منية النفوس» تحمل طفلها ،
وقد توهج خذاها ، والتمعت عيناها ، وعن يمينها «كوكب» مشرعة
السيف وعن يسارها «مرجانة» والدماء تقطر من حد سيفها ، فضحك
وصاح بهن :

- أهؤلاء فارساتك المسلحات أيتها الوزيرة ١٢ .

وصاحت «مرجانة» وهي تقترب منه :

- إن الكثرة تغلب الشجاعة أيها الملك ، وهن آلاف مؤلفة . ١ .

فقال لها الملك «سيف» وهو ينحرف مع دوران السرداب .

- لتتقدم «كوكب» لترينا الطريق ، فأخشى أن يكن لنا أحد في
الحناءة من هذه الانحناءات أما عددهن فلا يحيفك فإن معنا قوة أكبر
منهن تحمينا وترد كيدهن عنا ..

واندفعت «كوكب» إلى الأمام حتى تجاوزت الملك ، وسيفها مشرع
في يدها .. بينما قالت «مرجانة» وهي تقترب من الملك وإلى جوارها «منية
النفوس» تحمل ولدها :

- أية قوة هذه التي تتحدث عنها أيها الملك ٢ ..

قال الملك «سيف» وهو يواصل تقدمه ، وعيناه ترقبان الدهليز أمامه
الذى كثرت فيه الظلال أثر انطفاء الكثير من المشاعل التى كانت تنيره :
- لو كانت «منية النفوس» لم تنس ما علمتها إياه فستخبرك هى عن
القوة التى تحمينا ..

وقالت «منية النفوس» فى صوت خافت أخذ يعلو تدريجياً ويمتلئ
بالثقة كلما مضت فى حديثها :

- إنها قوة الإيمان يا «مرجانة» .. قوة الله الذى خلق كل شىء ،
والذى نسلم له أمورنا فيحميننا من كل شىء ، ويملاً نفوسنا بالثقة فى نصره
وفى عدالته .. أنها القوة التى جعلتنى احتمل العذاب ، وأصبر وأنا واثقة
أن خلاصى لا بد منه .. بل وخلاصكن أيضاً ، فإن من قسم الجزيرة إلى
مدينتين .. واحدة للنساء وواحدة للرجال ، قد خالف شرعة الله .. قد غير
مما صنعتها حكمته وارادته ومشيتته ، وشرعة الله لا بد لها أن تفذ .. وكنت
أقول لنفسى أن الله أراد لى أن أهرب ، وأراد لى أن أسجن وأعذب لى أنى
الملك «سيف» إلى هنا ، وهو الملك المؤمن .. لا لينقذنى فقط ، وإنما
ليعيد شرعة الله إلى سياقها الطبيعى ..

قالت «مرجانة» مبهورة الأنفاس ، وعيناها مثبتتان على وجه «منية
النفوس» الذى أخذ يشرق بالأمل والإيمان :

- ما أعجب هذا الذى أراه ، أتعيد إليك الكلمات قوتك
ونشاطك .. إن من يسمع صوتك الآن ، ومن يرى وجهك وأنت
تحدثين ، لا يمكن أن يصدق أنك كنت حتى لحظات قليلة مقيدة إلى
عمود حجرى بأقى الاغلال وأشدّها .. 1.

وقطعت عليها الحديث «كوكب» وهى تعود لاهته وتقول :

- لقد أدخلوا السجن كله .. لا شك أيها الملك أنك اخففتين بضراباتك

اللاقى لم يشهدن لها مثيلاً من قبل .. ولكنهن ضرين حول السجن نطاقاً
من الحراس ..

قال الملك «سيف» وهو يعيد حسامه إلى غمده :
- لقد جنبن أنفسهن الذبح العاجل .. وسنظل هنا إلى الصباح نعالج
جراح «منية النفوس» ونعنى بأمرها .. وتتناوب الحراسة لننال القسط
الممكن من الراحة لنشقى لأنفسنا طريقاً بينهن إلى خارج المدينة في
الصباح ..

قالت «كوكب» وهى تجمع بعض المفاتيح من فوق الأرض :
- سأذهب لأنأأكد من خلو السجن تماماً ، وسأخرج باقى المسجونات
ليعاونننا فى حربنا مع نور الهدى .. كما سأؤكد أن الأمر ليس فيه خدعة ..
وغادرتهم وسيفها مشرع فى يدها حتى غيىها ظلام الدهليز ..
وقالت مرجانة :

- يحسن أن نقصد إلى حجرة الحراسة فى أعلى السجن حتى تستطيع
«منية النفوس» أن تزيل عنها آثار السجن الطويل وترتدى ملابس إحدى
الحارسات ، ولعلنا نستطيع أن نحصل هناك على ما يمكن أن يرتديه
الطفل ..

فقال الملك «سيف» وهو يتبعها محيطاً زوجته بيده فى حنان وحب :
- ولعلنا نجد هناك ما تأكله «منية النفوس» التى ذهب الجوع
بقواها ..

فقالت «منية النفوس» وهى تنظر إليه وتبتسم :
- لقد عادت إلى قوتى منذ اللحظة التى رأيتك فيها ..

* * *

أقبلت «مرجانة» بكميات هائلة من مخزون السجن من الملابس

والسلاح والطعام ، بينما دخلت «كوكب» غرفة الحرس وهى تقول :
- لقد أطلقت سراح كل المسجونات وهن يزدن عن المائة سجينة الا
أن الجوع والعذاب قد أفقدهن قواهن وقتل روحن ..
فقال «منية النفوس» التى كانت قد اغتسلت وارتدت واحدة من
حلل «كوكب» وتمنطقت بحسام صقيل :

- هاتهن فى الصالة الكبيرة عند باب الغرفة لأتحدث إليهن .. ولنقدم
لهن الملابس والطعام والسلاح وسوف نرى ما يمكن أن تفعله روح الانتقام
فيهن ..

وابتسم الملك «سيف» وهو يقول :

- سأترككن لمهامكن العسكرية ، أما أنا فسأذهب لأنولى الحراسة عند
البرج ، وأنصحكن أن تنلن كل قسط ممكن من الراحة بدلاً من إضاعة
الوقت فيما لا يجدى ..

وعند خروج الملك «سيف» من غرفة الحرس طالعه صورة كثيرة
بائسة ، أكثر من مائة امرأة يقبلن من كل السرايب إلى الساحة الواسعة
أمام الغرفة ، بقايا بشريات يتعثرن فى مشيتهن وقد تمزقت أثوابهن وظهرت
آثار العذاب على أجسادهن التى مزقتها الشياطين .. وفوق وجوههن التى
فقدت كل معالم الحياة والأمل ، وعيونهن الذابلة التى لا ترتفع أبداً عن
الأرض ، ومشيتهن المترنحة التعسة وهن يتساندن ليستطعن المضى نحو
الساحة المطلة على الغرفة صورة كاملة للعذاب المدمر الذى عشن فيه .
وهز الملك «سيف» كتفيه فى أسى ، وابتسم فى مرارة ثم أسرع فى
مشيته نحو البرج .. وحين وصل إلى البرج تطلع إلى المدينة وأدهشه أنها
كانت كلها مستيقظة تماماً تعج بأنوار المشاعل التى تتحرك فى كل مكان .
بينما تتعالى بين الحين والحين صيحات آمرة ممزوجة بأصوات احتكاك

السلاح وأقدام منتظمة الوقع تضرب الأرض في قوة ونظام ..
وأدرك من الحركة النشيطة حوله أن جيش المدينة قد حاصر القلعة من
كل جانب ، وأن الترتيبات النهائية تتخذ لاقتحامها عنوة عندما يتم
الاستعداد .. وقدر في نفسه أن هذا الوقت لن يحين قبيل الفجر .. وعلى
الرغم من كل ما رأى الملك «سيف» من مظاهر الاستعداد والقوة
لم يتطرق اليأس إلى قلبه ، بل فتح صدره يلاً رثييه من الطواء النقي
حوله ، ثم أعد لنفسه مجلساً مريحاً يستطيع منه أن يكشف كل جوانب
القلعة ، وأسند ظهره إلى الجدار خلفه ، وابتسم لنفسه وهو يقول :
- ليأت الغد بما يشاء ما دامت «منية النفوس» و «مصر» قد نالا
حريتها ..

* * *

. لا يدري الملك «سيف» كم مضى عليه من الوقت في جلسته تلك ،
ولا يدري هل أغفت عيناه أم ظل مستيقظاً فقد تنبه على يد توضع على
كتفه في رقة ، وحين رفع رأسه كانت «كوكب» تقف إلى جواره وهي
تبتسم وتقول :

- أيها الملك إنها نوبتي في الحراسة فأذهب لتأخذ قسطك من الراحة ..

وتتأب الملك «سيف» وقام متثاقلاً من مكانه وهو يقول :

- إنهم يكترون من الحركة في المدينة في هذه الليلة العجيبة .. فقالت

«كوكب» وهي تنظر إلى حركة المشاعل السريعة الكثيرة في كل مكان

جولهما :

إنهم يستعدون استعداداً كبيراً بعد أن عاينوا بأنفسهم ضرباتك .. إنك

وحذك أيها الملك جيش كامل .. ا..

قال الملك «سيف» وهو يغادر البرج :

- لو كان معى أربعة فقط لما وقف أمامنا أحد « سعدون » الزنجى
و « ميمون الهجام » و « سابك الثلاث » و « دمنهور الوحش » ولكن أين هم
الآن .. ١٩ .

وكان الليل قد ازدادت عتمته ، كما أن ضوء المشاعل قد ضعف
نوره ، ولكن الملك « سيف » لم يلقى صعوبة فى أن يجد طريقه نحو غرفة
الحرس ، إلا أنه ما أن وصل إلى الساحة الواسعة التى تواجه الغرفة حتى
وقف ذاهلاً .. فأمامه اصطفت مجموعة من الفتيات فى أردية الحرس
يحملن سلاحهن كاملاً وقد بدت على وقفتن المنتصبة المتحدية أمارات
العزم والتصميم .. وامتدت يد الملك « سيف » إلى سيفه وقد حسب أن
السجن قد تعرض لغزو من نوع ما وهو مقيم فى البرج ، إلا أن صوتاً
مألوفاً حبيباً صاح به :

- هؤلاء أيها الملك حرس السجن الجديد ..

وانبعثت ضحكة مرحة من كل مكان فى الساحة وقد انفتحت الرؤوس
نحوه متأملة .. وعاد الصوت يقول فى مرح :

- وهذا أيتها الحارسات الجديديات زوجى وقائدكن نحو الحرية الملك
« سيف بن ذى يزن » ..

وعادت الابتسامة تدريجياً إلى شفتى الملك « سيف » ، وهو يتعرف فى
الوجوه الباسمة التى تتطلع إليه ملامح رآها وهو يغادر الساحة من قبل ،
ولكنه حين رآها منذ ساعات كانت كلها تنطق بالبؤس والشقاء واليأس
القاتل المرير .. ولم يستطع أن يمنع السؤال الذى وثب إلى شفثيه ، فقال
وهو يتقدم نحو « منية النفوس » التى كانت تقف عند باب غرفة الحرس :
- هذه معجزة أيتها الملكة ، كيف تم كل هذا التغيير .. ١٩ .

فقال « منية النفوس » :

- إنه الأمل يا مولاي .. وهو الغضب أيضًا .. إن كل واحدة من هؤلاء ذاقت أقسى العذاب وأمره في هذا السجن اللعين ، وفقدن فيه روحهن نفسها فلم يسبق لواحدة أن دخلت هذا السجن ونجرت منه حية من قبل .. وحين جاءت بهن «كوكب» إلى هنا كن يحسبن أنهن يسقن إلى عذاب من نوع جديد ، ولكنهن حين عرفن الحقيقة ردت إليهن الروح ، وعادت إليهن انسانيتهن التي أهدرت ، وقد ذقن في هذه الساعات القليلة معنى الحرية ولسن جميعًا على استعداد لفقده من جديد مهما كان الثمن .. !

قال الملك «سيف» وهو يجيل النظر حوله في دهشة واضحة :

- ولكنهن أيتها الملكة تبدلن تمامًا .. !

فعدت «منية النفوس» تقول :

- لقد حدثتهن عنك ، عن الفارس الذى استطاع أن يصل إلى قلب السجن الرهيب دون خوف أو وجل من أجل انقاذ زوجته وابنه .. أما هن فزسالتن أكبر لأنها تتعلق بحياتهن وحريرتهن نفسها ..

وصممت «منية النفوس» وعيناها تتألقان ، ثم عادت بنظرها إلى الملك «سيف» وقالت :

- إن واحدة منهن لم ترتكب جرمًا مما يمكن أن تتخيل انه أدى بها إلى السجن ، فليس هنا سارقا ولا قاتلا ولا مجرما من أى نوع .. فهذا النوع من الجرائم له عندنا عقوبات معروفة ليس من بينها السجن ، بعضهم يعملان فى الحقوق أو فى البناء أو فى كنس الشوارع وإزالة الفضلات لمدد معينة يحددها ، كما يحدد نوع العمل الذى يقمن به ، طبيعة الجريمة المرتكبة .. أما الحبس فى السجن مع العذاب فهو للمعترضات .. إن كل واحدة من هؤلاء وجدت فى نفسها الجرأة يومًا أن تقول لا .. لا ، ضد قتل أنوثتهن .. لا ، ضد النظام الصارم الذى يعشن

فيه لصالح المدينة دون مجال لرغباتهن الشخصية .. لا ، ضد عبودية الطواير ، الطعام بطواير والرياضة بطواير واللعب بطواير ..
وتذكر الملك «سيف» المنظر الذى رآه فى الصباح عند حضوره إلى المدينة ، تصفق الوزيرة «مرجانة» فيصمت كل صوت وتتنظم الطواير ،
وتصفق الوزيرة «مرجانة» فترتفع الضحكات ويبدأ اللعب والمرح ،
وتصفق الوزيرة «مرجانة» فيصحن «عاشت الملكة» وتصفق الوزيرة «مرجانة» فيبدأ الطعام ، وتصفق الوزيرة «مرجانة» ..
وقطع صوت الملكة «منية النفوس» حبل أفكاره ، وكانت تقول
مكلمة حديثها :

- وليس لأولئك عندنا من عقوبة إلا السجن مع العذاب حتى الموت ..

ولم يخف الملك «سيف» دهشته وهو يقول :

- هذه جريمة جديدة لم أسمع بها من قبل ..

وضحك ضحكة باهتة وهو يرقب الوجوه التى تتطلع إليه فى فضول ،

بينما عادت «منية النفوس» تقول :

- سنذهب جميعاً لننال قسطنا من الراحة والنوم استعداداً ليوم الغد

العصيب ، ولتختر كل منكن أحسن مكان تعثر عليه لتنام فيه ..

وارتفعت الضحكات من كل جانب ، كما سمع الملك «سيف» وهو

متجه إلى الحجره أصواتهن المتحمسة ، وهن يتبادلن التعليقات ،

ويدخلن فى مناقشات متعددة الموضوعات ، وقد بدأت كل منهن تتجه

إلى ناحية .. وحين دخل الملك «سيف» الحجره راعه ما بدا فيها من نظام

وترتيب ونظافة ، وكانت «مرجانة» تنام فى زاوية من الحجره وسيفها إلى

جوارها ، بينما كان ابنه «مصر» يرتدى ثوباً نظيفاً وقد أزال الماء كل آثار

القدارة التي كانت عالقة بوجهه ويديه .. واتجه إليه الملك حيث كان ينام فوق فراش وضع بوسط الحجرة ، وقبله بين عينيه ، ثم مضى يتأمله في سكون ..

وسمع صوت «منية النفوس» وراءه وهي تقول :
- لقد بكى كثيراً عندما استيقظ ، وبكى ونحن نغسل له جسده ، وبكى أكثر ونحن نطعمه من الطعام الجيد الذي وجدناه مخبئاً للحارسات .. واشتد بكائه حين أرقدناه فوق هذا الفراش ، وقد ظل قلقاً فترة طويلة حتى استطاع أن يستسلم للنوم .. فقد كانت كلها أشياء جديدة لم يتعود عليها منذ بدأ يعي ما حوله ..

ونظر إليها الملك «سيف» ومضى يتأملها .. كان التغيير الذي حدث لها شاملاً ، فقد تدفق الدم إلى وجنتيها فتوردتا بعد شحوب ، والتمعت عينها حساساً وأملاً بعد نظرة الهمود واليأس التي أدمت قلبه عندما رآها أول مرة ، وأخفى الثوب النظيف الذي ارتدته معالم العذاب التي كانت تنطق بها بشرتها .. وكان للسيف في يدها منظر غريب بعد تلك القيود التي كانت تشل نفس اليد منذ ساعات عن الحركة .. ولاحظت «منية النفوس» نظرتة المتفحصه فقالت :

- لا تدهش أيها الملك ان أمامي رسالة خطيرة لابد أن أحققها ، وقد بعثتك العناية الإلهية التي لا تغفل ليكون تحقيقها على يديك .. ولهذا نسيت كل ما مر بي ، ولابد أن نتصر في الغد أو نموت ، وكل واحدة من رأيت قد صممت أن لا عودة إلى السجن من جديد ..

فابتسم الملك «سيف» وهو يقول :
- إن ما يدهشني هو حديثك عن الجرائم التي زجت بهن في السجن ..

فقال «منية النفوس» :

- إنها الحقيقة أيها الملك .. ففي مدينتنا كل الحاجات المادية التي يريدها الإنسان متوفرة للجميع ، وفي سبيل هذا يسود النظام الدقيق حياة من يعيشون فيها .. ولكن الذي نفتقده في مدينتنا هو الحاجات الروحية التي تبدو لك من الأمور المسلم بها في عالمك ، ولكنها هنا ممنوعة .. وكنا هنا لا نفهم سر ترمد أى واحدة في سبيل كلمات لا معنى لها عندنا .. ولكن بعد أن عشت معك وعرفت فيك معنى الله ، ومعنى الإيمان ، امتلأت بروحى كلها بنور جديد جعلنى وأنا فى السجن أفهم سر تلك الرغبات التي كنا نسميها جرائم وكنا نعاقب عليها أشد العقاب ، بل لقد كانت المعاقبات منا يتقبلن العقاب مستسلمات كالمريضات اللاتي يستسلمن للدواء الذي لا بد منه .. ولكنى علمتهن أنه ليس مرضاً وإنما هو حق ، وأن المريض هو المدينة نفسها التي تحرمهن حتى من أنوثتهن .. ولهذا أيها الملك كان حاسهين الذي ترى ، وكان تصميمهن الذي أدهشك ، وكان هذا التغيير في وفيهن الذي أثار ذهولك وحيرتك ..

قال الملك «سيف» وهو يهز رأسه في فهم :

- لقد كنت أحسب أنني شاهدت كل ما في أرضكن من عجائب بعد عبور هذه الجزر الملعونة التي تفصل جزيرتكن عن العالم .. ولكننى الآن أرى أكثر العجائب غرابة ..

قالت «منية النفوس» وهي تبسّم في اعتزاز :

- إذن فقد فهمت ما أعنى أيها الملك ..

فقال الملك «سيف» وهو يرقد إلى جوار طفله :

- نعم .. ومن الآن لن تكون مهمتى انقاذك وابنى من السجن ، بل ستكون مهمتى إنقاذ سكان هذه المدينة ، وسكان المدينة الأخرى التي

تعيش على الجانب الآخر من النهر من السجن الكبير الذى يعيشون فيه ..

. * * *

مع الاشعة الأولى للفجر فتح الملك «سيف» عينيه ، وكان كل شيء ساكنًا حوله .. وأدار بصره فى الحجرة فلمح «منية النفوس» نائمة إلى جوار ابنه «مصر» ولكن «مرجانة» لم تكن حيث رآها قبل أن ينام ، وإنما كانت «كوكب» تنام مكانها والسيف إلى جوارها .. وأدرك الملك «سيف» أن «مرجانة» قد حلت محل «كوكب» فى برج الحراسة .. وقام الملك «سيف» من مكانه فى هدوء ، ومضى متجهًا نحو البرج وهو يحاذر أن يصدر صوتًا ينبه النائمين الذين كان يدرك حاجتهم إلى كل قسط من الراحة يحصلون عليه..

* * *

وحين وصل الملك «سيف» إلى البرج ، وجد «مرجانة» .. تحدق تجاه باب السجن ووجهها شاحب القسما ي زيد شحوبة وضوحًا أشعة الفجر الوليد وهى تنعكس عليه ، ودون أن تبادل كلمة واحدة أشارت إلى ناحية الباب ، والتفت الملك «سيف» متبعمًا إشارة يدها .. واشتدت خفقات قلبه وهو يرى هذه الحشود الغفيرة التى وقفت فى نظام عسكري دقيق تستعد لاقتحام السجن على من فيه .. وأدرك الملك سيف أنه إن تولى عن مقابلتهم اقتحموا باب السجن دون عناء وتدفعوا إليه من فوق أسواره فى أعداد هائلة كثيرة .. فصاح فى «مرجانة» وهو يتجه مغادرًا البرج فى عجلة :

- سأنزل ملاقاتهم لعلهم يشغلون بالمبارزة والصدام عن اقتحام السجن وتسلق أسواره ، وعليك بايقاظ «كوكب» و «منية النفوس»

والأخريات ، ولتلحقوا بي عند الباب علنا نستطيع اختراق صفوفهن إلى خارج المدينة ..

ولا يدري الملك «سيف» هل أجابته «مرجانة» على حديثه ، أو هل فهمت معنى هذا الحديث لأنه في اندفاعه لم يلمح سوى صفحة وجهها تطل منها نظرة رعب ويأس حقيقية .. ولكن لم يكن هناك وقت يضعه في تطيب خاطرها وإعادة الأمن إلى نفسها .. وماكاد يصل في اندفاعه إلى الباب الخارجي للسجن حتى وصلت إلى سمعه في وضوح أصوات الجيش اللجيب الذي يأخذ مكانه خارجه .. ولم يتمهل الملك بل أسرع يفتح الباب على مصراعيه ويخرج إلى الدرجة العريضة التي تعلو عدة درجات تؤدي إلى ميدان واسع يموج كله بفتيات مدججات بالسلاح .. وما أن ظهر الملك «سيف» عند حافة الباب حتى ساد الميدان كله صمت عميق .. وأخذ الملك «سيف» ينظر إليهن في سكون وابتسامة هادئة تراقص على شفثيه .. وفجأة مزق هذا السكون صوت آمر فيه غلظة وجفاء فأخذت الصفوف تتنظم في سرعة ، والتفت الملك «سيف» إلى حيث صدر الصوت فازدادت ابتسامته اتساعاً لقد كانت الحارسة البدينة التي وشت به .. إنه يذكر أن اسمها «زعزوعة» لعل «نور الهدى» لم نجد أصلح منها لتتولى مكان «مرجانة» بعد أن أصبحت «مرجانة» في صفه وصف «منية النفوس» ..

وعجب الملك «سيف» كيف تستطيع رغم بدانتها الشديدة أن تتحرك بسرعة ونشاط ، فهي تارة في أقصى الصف من اليمين ، وهي تارة أخرى في أقصاه من اليسار .. وأدرك أن هذه الحارسة البدينة لا يحركها الولاء ، وإنما تحركها دوافع أخرى أشد عنفاً وقسوة .. إنها الكراهية والحقد ، فلعلها كانت تنفس على «مرجانة» مكانها أو لعلها كانت تنفس على

«كوكب» مكانها .. وربما كانت تغار من «منية النفوس» إن ظفرت بزوج وطفل .. وربما .. ولكنه لم يجذ وقتاً ليسترسل في أفكاره ، فقد ظهرت «نور الهدى» تركب جواداً أبيض تحيطها كوكبة من الفارسات المدججات بالسلاح ، وعاد السكون يخيم لظهورها من جديد على الميدان كله .. واتجهت الملكة «نور الهدى» رأساً إلى حيث يقف الملك «سيف» وحين وصلت أمامه تماماً وقفت وخلفها حرسها ، ثم اعتدلت على ظهر جوادها وقالت :

.. أيها الملك .. إننا لم نقدرك حق قدرك أمس .. ولكننا قد أخطأنا المدينة بالحرس من كل جانب وحشدنا لك قواتنا كلها وليس لك من مهرب مها كانت قوتك وشجاعتك .. وقد كنت أنتوى أن أقتحم عليك السجن بعد لحظات ولكنك خرجت بنفسك إلينا .. فهل خرجت لتسلم نفسك ومن معك ؟..

وقال الملك «سيف» في أدب وهدوء :

.. أيتها الملكة إن مثلي لا يسلم نفسه وبه نفس يتردد ، وإن سلمت نفسي فلست أسلم من يلوذ بي ويحتمى بسيفي ..
وملاً الغضب وجه الملكة «نور الهدى» وعلا صوتها وهي تقول :

.. لقد كنت أحسبك تريد أن تحقن الدماء ..

وارتسمت ابتسامة هادئة على شفهي الملك «سيف» وهو يقول بنفس

الصوت الهادئ :

.. دماء من أيتها الملكة ؟.. أنت بنفسك تقولين إنه لا مهرب لنا ..

فدماؤنا إذن لن تحقن سواء سلمنا أنفسنا أو حاربنا دونها .. وخير لنا أيتها

الملكة أن نموت وسيوفنا في أيدينا من أن نذبح ذبح النعاج .. 1.

وإزدادت رنة الغضب في صوت الملكة «نور الهدى» وهي تصيح :

- إن هذا جنون ، فليس لك مهرب مها فعلت .. ١.
ثم توقفت فجأة عن اكمال الحديث وهى تنظر خلفه فى غضب متزايد ، بينما ارتفعت همهمة مكتومة من الصفوف المصطفة أمامه ..
والتفت الملك «سيف» وراه ليرى الملكة «منية النفوس» قد وقفت فى فتحة الباب ، وإلى يمينها «مرجانة» وإلى يسارها «كوكب» ووراءها مجموعة من السجينات وقد ارتدين زى الحارسات والسيوف المشرعة تلمع فى أيديهن .. وعاد صوت «نور الهدى» فى صراخ غاضب :
- أيتها المتمردة التسعة .. هل تجرؤين على الوقوف فى وجهى ..
والوزيرة الخائنة ورئيسة الحرس الغادرة ..

ثم التفتت إلى الملك وهى فى أوج انفعالها وصراخها وقالت :
- أهذا جيشك أيها الملك ؟ .. واحدة تمردت على نظامنا وقانوننا وخائنتان نسبتا ما رفعتهما إليه من مكانه وأسبغته عليهما من عطف ..
ومجموعة من المجرمات السجينات المقضى عليهن بالهلاك .. ١٢.
وعادت الابتسامة إلى وجه الملك وهو يقول :

- أنت ترين أيتها الملكة أنه جيش يائس ، حكمت عليه مديتكى بالموت ، ولكنه يريد أن يقتص لنفسه قبل أن يموت ، وأؤكد لك أن قصاصه سيكون رهيباً ..

ولم ترد عليه الملكة وإنما استدارت يجوادها وهى تشير بيدها وتصيح فى عنف نفس الصيحة التى سمعها منها بالأمس فى القبو المظلم داخل السجن :

- مزقوهم .. ١.

واندفعت الفتيات كالسيل الهادر ، وامتشق الملك «سيف» حسامه وهو يتلقى الطعنات الموجهة إليه فى مهارة وحذق، ويصيح للواقفات خلفه :

- اغلقن باب السجن ولتقف منكن مجموعة تحمى ظهري ..
ولم يلتفت الملك «سيف» خلفه ليتأكد من أن أمره قد نفذ .. ولكنه
أحس وهو يضرب بكل قوة وعنفة ، ويتحرك في مهارة وحذق متفادياً
الطعنات التي تأتي من كل مكان أن وراءه أكثر من خمسين سيفاً تحمى
ظهره ، وتقطع الطريق على الضربات العادرة التي تريد أن تناله من
الخلف .. وسمع وسط صليل السيوف وصيحات الذعر والألم وصرخات
الحماس والغضب صوت الباب الضخم وهو يصططق في قوة وعنفة ..
وكان الملك «سيف» كلما رد موجة من موجات الهجوم ، تلتها موجة
أخرى أشد حاساً وأكثر تصميمًا وعزمًا .. وكانت ضرباته القاطعات تحدث
أثرها الحاسم في خلخلة صفوف الفتيات وبث الذعر في قلوبهن فيتراجعن
ليبدأن هجمة جديدة ..

وكان الملك «سيف» يضرب في قسوة وعنفة وصرخات الألم ترتفع
حوله وإحساس بالمرارة يملأ نفسه ، فما خلق السيف لهذه السواعد الرقيقة
التي لا تجيد استعماله ، وما حمل هو سيفه ليمزق بها مثل هذه الأجساد
الهشة التي تتهاوى في سرعة غريبة أمام ضرباته العاتية .

ومضت الدقائق بطيئة متناقلة ، وضوء النهار يشتد ويقوى ويسيطر على
الكون كله ، ليكشف أمام الملك «سيف» هذا المشهد الغريب الذي
يواجهه .. مئات من الفارسات يقفن في انتظار دورهن للانقضاض عليه
إذ أن المدخل المؤدى إلى المكان الذي يقف فيه لم يكن يسمح لأكثر من
عشرة للهجوم في وقت واحد ، وعشرات الأشلاء البشرية الدامية تتناثر
حوله ، وجثث عديدة تمتلج اختلاجات الألم والاحتضار تملأ الساحة
أمامه ..

كن كتعجات موسومات يسقن إلى الدبج في خرافة ضخمة تملأ

رعوسهن الصغيرة التي لا تعرف من أمور الحياة والناس شيئاً .. خرافة تقول إنهن فداء نظام المدينة الذي ينبغي أن يسود مها كان الثمن ومهما كان عدد الضحايا .. وسيفه في يده يدور ويدور ، وضرباته تشتد وتعنف ، وأصداء المعركة التي تدور حوله ومن خلفه بين من يحمين ظهره والمهاجمات الشرسات تصل إلى ذهنه مختلطة بصيحات آمرة من هناك من آخر الميدان حيث تقف «نور الهدى» تشرف من فوق جوادها على المذبحة ، والحارسة البدينة تروح وتغدو في سرعة وعصية وهي تصدر الأوامر اللاهثة ذات اليمين وذات اليسار ..

وأحس الملك سيف بالخطر يملأ ذراعه ، وبالسأم يتسلل إلى نفسه ، وبالعرق البارد ينداح على جبهته ، حين سمع صوت «مرجانة» من ورائه تقول في صوت حاد :

- عد إلى الوراء أيها الملك سنحل محلك حتى تستريح ..

وبينما كان يتراجع وسيفه يتحرك بسرعة راداً الهجمات السريعة المتلاحقة التي تريد أن تعوق انسحابه ، شاهد «مرجانة» وهي تتقدم على رأس أكثر من خمسين من السجينات المسلحات يحتلن مكانه الذي كان يقف فيه ، ويتلقين الهجمات العاتية بصبر وشجاعة وحاس .. وأنزل الملك «سيف» حسامه وهو يقطر دمًا ، وأحس بيد رقيقة على كتفه وصوت «كوكب» وهو يقول :

- إلى الداخل أيها الملك فأنت لم تتناول إفطارك بعد .. وهناك ماء

ساخن لتغتسل من هذه الدماء التي علقت بك وتستعيد نشاطك ..

ونظر الملك «سيف» إلى عينيها الملتهتين حاساً وعزماً ، وابتمس ابتسامة فاترة ، ودخل إلى السجن من الباب الذي فتح على الفور أثر طرقة من قبضة حسام «كوكب» .. ونظر الملك «سيف» وراءه قبل أن يغلق الباب

خلفه .. وكانت المعركة محتدمة في عنف وقسوة ، وكانت فتيات «مرجانة» يشبثن بأماكنهن في إصرار وعناد تتكسر عندهن كل موجات الهجوم المنظم الذى يندفع نحوهن من الساحة .. وشاهد وهو يعلق الباب أكثر من واحدة منهن تتهاوى إلى الأرض أثر طعنة أصابها ، وشاهد مجموعة من الفتيات يقفن خلف مجموعة «مرجانة» يسرعن إلى من تسقط ليحملنها إلى الخلف ، بينما تحل منهن واحدة مكان من سقطت في المعركة ..!

وحين أغلق الملك «سيف» الباب وراءه شاهد منظرًا غريبًا ، فقد كانت مجموعة أخرى من الفتيات ينتظمن وهن يستكمن أسلحتهن و «كوكب» تتحرك بينهن لتؤكد أن كلا منهن قد حملت ما يكفيها من السلاح ، بينما كانت «منية النفوس» تشرف مع مجموعة صغيرة من الفتيات على علاج المصابات وتضميد جراحهن .. وحين شاهدته «منية النفوس» قالت وهى تترك ما بيدها وتسرع نحوه :

- إن من يراك أيها الملك يظن أنك كنت تسبح في بحر من دماء ..

فقال الملك «سيف» وهو ينزع عنه سيفه :

- ولن يكذب ظنه ، فقد كنت فعلاً أسبح في بحر من الدماء .!

ولم تلتفت «منية النفوس» إلى ما بلهجته من مرارة فاستمرت تقول :

- لقد أبلت أيها الملك بلاء حسناً ، وسنحل محلك حتى تستريح

وتأكل لتكون على أهبة الاستعداد للتزول إلى الميدان من جديد ..

«مرجانة» وفتياتها أولاً ، ثم «كوكب» وهؤلاء الفتيات الباسلات ، ثم أنا

والباقيات ..

وابتسم الملك «سيف» في مرارة وهو يقول :

- لن يكون هناك وقت لكل هذا ، فليس كل ما مرحتى الآن إلا

مناوشات ، أما الهجوم الحقيقى فلم يبدأ بعد .. وساعتها لن يكون هناك

مجال لكل هذه المناورات .. فأجفلت «منية النفوس» وهي تقول :
- مناوشات .. ماذا تعنى أيها الملك ؟.

فقال الملك «سيف» وهو يتجه نحو إناء الماء الساخن الذى رآه عند
الحائط :

- إننى أفهم خطة «نور الهدى» أنها تريد أن تنهكنا وتضعفنا أكبر
وقت ممكن ، فإذا ما تأكدت أننا استفدنا كل قوانا بدأت هجومها الكبير
لنسقط فى يدها لقمة سائغة ..

فقالت «منية النفوس» وهي تسرع نحوه حاملة مجموعة من المناشف
النظيفة :

- ولكن لماذا ؟..

فابتسم فى مرارة وهو يغمس يديه فى إناء الماء ويقول :
- إنها تريدنا أحياء ، ولا يهمها من يقتل من فتياتها .. كل ما يهمها
هو أن تقع بين أيديها أحياء لتجعل منا أمثلة لكل من يفكر فى الترد ..!
ثم غمس رأسه فى الماء الدافئ ومضى يزيل ما علق بوجهه وساعديه
وجسده من آثار الدماء فى صمت .. بينما كانت «منية النفوس» تقف إلى
جواره تنظر إليه فى صمت ووجوم ..

* * *

عندما انتهى الملك «سيف» من طعامه السريع كانت «كوكب» تخرج
بفتياتها لتحل محل «مرجانة» بينما كانت «مرجانة» ومن تبقى من فتياتها
يتراجعن إلى داخل السجن وقد حملن جرحاهن العديداً ، وهن
يتساندن فى سيرهن البطيء المتهالك .. ولم تكن قد بقيت منهن فى حالة
تصلح لاستئناف القتال إلا مجموعة ضئيلة جداً سرعان ما أرتمين على
الأرض إعياء واجهاداً .. بينما تقدمت «مرجانة» نحوه ونحو «منية النفوس»

وهي تغتصب ابتسامة تضعها فوق وجهها الجهد :
- لسنا في قوتك أيها الملك ومع هذا فلم يتمكن من زحزحتنا إلا قليلاً
عن أماكننا ..

وابتسم الملك «سيف» في وجهها وهو يقول :
- إنني لم أشهد من هو أبسل منكن أيتها الوزيرة .. وقد حان دورك
لتبالي قسطك من الراحة ..

وتقدمت منها «منية النفوس» تقبلها وهي تقول :
- لقد زججت بك في كل هذا يا «مرجانة» أنت و«كوكب» ، وما
كان أغناكن عنه ..

وقاطعتها «مرجانة» في صوت حاد :
- لا تحملي نفسك لوماً في غير محله .. لقد كان هذا يملأ قلوبنا كلنا
من زمن ، وقد أتحت أنت الفرصة لنا لنعرف أنفسنا .. إن هذه الساعات
القليلة التي عشناها وسيوفنا في أيدينا تعدل كل ما ضاع من عمر بلا شيء
سوى تنفيذ الأوامر التي لا نفهم لها معنى ..

ووقف الملك «سيف» واتجه نحو باب السجن قائلاً :
- ليس هناك وقت يضيع في تبادل اللوم والجماملات فأظن أن وقت
الجد قد اقترب ..

وحين خرج الملك «سيف» من الباب لتغمر وجهه أشعة شمس النهار
التي بدأت تتجه نحو كبد السماء أدرك مدى الموقف اليائس الذي تقفه
فتيات «كوكب» الباسلات .. فقد سقطت أكثر من واحدة منهن دون أن
تتمكن الأخريات من التقدم لرفعهن إلى داخل السجن ، بينما أخذت
الفتيات يتراجعن في بطء أمام الهجوم القوي الذي يواجههن .. وأسرع
يمتشق حسامه ويندفع مسرعاً إلى وسط المعركة وهو يصيح «كوكب» :

- إلى الورا .. إلى الورا ..

وساد الميدان الصمت لحظات لصرخته ، ثم بدأت «كوكب» تتراجع في نظام ، بينما صاحت السجانة البدينة في وحشية وهي تتقدم على رأس مجموعة كبيرة من الفتيات :

- هذا هو خذوه .. ا.

وصدمه موج الهجوم بعنف فتقهقر مدافعاً ، وقد دهش من الأعداد الهائلة التي أخذت تندفق عليه من أمام ومن يمين ومن شمال .. والسيوف تلمع في ضوء الشمس ينعكس وهجها على صفحاتها المصقولة فيكاد يعمي العيون ، والضربات تتوالى بسرعة وقوة وكثرة متزايدة .. وسمع صيحة «كوكب» من خلفه وهي تندفع لتصد مجموعة كبيرة تتقدم من اليسار في اندفاع :

- من هنا يا فتيات ، ولتذهب واحدة لتستدعي الباقيات ..
وأدرك «سيف بن ذى يزن» أن الهجوم الكبير الذى توقعه قد بدأ بالفعل .. وما لبث أن سمع صيحة «مرجانة» وهي تندفع مع فتياتها إلى اليمين صارخة بهن :

- أذيقوهن طعم ما ذقناه أيتها الفتيات ..

وبينما كان الملك «سيف» يلمح بأعجاب ضربات الفتيات اليائسة المستبلة عن يمينه ويساره سمع صيحة يأس من السجن .. وعرف في الصوت ، صوت «منية النفوس» وهي تصرخ :

- لقد بدأت يتسلقن حوائط السجن .. ردهن بالسيوف .. ا.

وأدرك الملك «سيف» وهو يضرب بحسامه أن الدفاع عن السجن أصبح متعذراً ، فصاح وهو يقاتل في عنف ليجد لنفسه طريقاً نحو مجموعة «كوكب» التي عزلتها المهاجمات تماماً :

- لا فائدة في السجن ، أتركه وتعالى مع من بقى إلى هنا ..
وحين وصل إلى جوار «كوكب» صاح بها وهى تطيح برأس إحدى
المهاجمات :

- هذه ضربة صائبة .. إجمعى فتياتك واتبعينى ..
وأسرع يشق لنفسه ولهن طريقاً بسيفه متجهاً نحو مجموعة «مرجانة»
التي كانت تقاتل قتال اليائسات وقد كثرت فيهن الجرحى الداميات .. وما
أن وصل إلى جوار «مرجانة» و «كوكب» تتبعه حتى صاح فيها :
- كوفى بفتياتك نصف دائرة ورائى ولنشق الطريق نحو «منية
النفوس» ..

وكانت «منية النفوس» قد خرجت من السجن تحيط بها السجينات ،
وهن يقاتلن قتالاً يائساً ليحمينها بينما حملت هى طفلها المدعوز فى يد
وأنسكت فى يدها الأخرى بسيفها ترد عنها الضربات التى تنوشها من كل
مكان .. وكان منظر مجموعة «منية النفوس» منظرًا يائساً مخيفاً ، فعظم
الفتيات حولها من الجريحات اللاتى سقطن فى الجولة الأولى ، ومع هذا
فقد أدركن أن الإستسلام للألم والضعف لا معنى له إلا الموت .. وهكذا
عدن يحملن السيوف ليواجهن الموت بأنفسهن بدلاً من انتظاره عاجزات
راقدات ..

واستطاع الملك «سيف» بعد جهد عنيف أن يصل إليها فى طريق ملهى
بالصريعات والقتلى اللاتى أزاحهن بسيفه من الطريق .. وسرعان ما كانت
السجينات الباقيات يكون دائرة تتجه بوجوهها نحو المهاجمات ويتراجعن فى
الطريق الذى يشقه الملك «سيف» لهن بسيفه و «منية النفوس» وابنها فى
الوسط ، والمجموعة كلها تتحرك ببطء قاتل فى اتجاه سور المدينة ..
وفى كل خطوة تسقط واحدة منهن صريعة طعنة قاتلة ، وفى كل

خطوة تتهاوى أكثر من واحدة إعياء وعجزًا عن الاستمرار بعد أن فقدت دمها الذي يتزف من جراحها الكثير.. واشتد وهج الشمس واختلط العرق بالدماء والطريق لا ينتهى ، والسور ما يزال بعيدًا ، والمهاجمات يتدفقن فى كثرة رهيبه وصوت «نور الهدى» يدوى فى انتصار ، وصوت السجانة البدينة يصرخ ويصرخ ، والمملك «سيف» يضرب ويضرب ، وخطوة خطوة يزداد اقترابه من السور تزداد الدماء العالقة بسيفه ووجهه وجسمه ..

ونظر المملك «سيف» حوله ، وارتسمت على شفثيه ابتسامة مريرة .. فلم يبق من مجموع السجينات أكثر من قبضة لا تزيد على العشرين ، بينما نال الاجهاد والتعب من الباقيات . وأحس هو بالخدر يدب إلى ذراعه ، والجفاف يملأ حلقه ، والعرق ينثال من جبهته إلى عينيه . وأدرك أن النهاية قد باتت قريبة ، وأنه لن يستطيع مها فعل أن يصل إلى السور .. وسمع وراءه صرخة صوت يعرفه تمامًا ، وأدار رأسه وبده ما تزال تردّ بطعناتها السيوف الموجهة إليه ، وشاهد - وشىء يعصر قلبه - «منية النفوس» وهى تتهاوى أعياء على الأرض وابنها إلى صدرها يصرخ فى جزع ورعب ..

ولم يكن يستطيع شيئًا ، فأخذ يتراجع حتى وقف عند رأسها يدفع عنها بسيفه المجموعة المسعورة من المهاجمات اللاتى اندفعن نحوها تتقدمهن السجانة البدينة التى كانت تقفز وتتواهب كأنما ترقص رقصة الموت .. واندفع المملك «سيف» يطيح من حولها من الفتيات بضرباته القوية ، ثم انقض عليها قبل أن تفيق من دهشتها ورفعها بيده اليسرى ثم قذف بها فوق سيوف المهاجمات اللاتى تصايحن فى فرح ، ولكن بعد أن نفذت سيوفهن إلى جزء من جسد قائدتهن الحاقدة .. وعاد يقف وإلى جواره

«كوكب» و «مرجانة» وخمسة باقيات من السجينات فوق جسد «منية
النفوس» الغائبة عن الوعي يتلقون الضربات الحانقة المهتاجة ..
وقال الملك «سيف» لـ «مرجانة» في صوت ملء بالمرارة :
- هذه هي النهاية أيتها الوزيرة الباسلة ..

ولكن قبل أن يسمع إجابة «مرجانة» على جملته .. سمع الجميع
صيحة حادة نافذة .. من صوت غريب شاذ لا ينتمى إلى صوت الآدميين
يصيح في صوت داو :

- يا أهل مدينة البنات جاءكم ستون ألفاً من الفرسان من مدينة
دوريز كلهم على الإيمان وملكهم قان شاه الزمان ..
وخيم على ميدان المعركة وجوم كامل وقد بدت علامات الذعر على كل
الوجوه .. وسمع الملك «سيف» صوت «مرجانة» وهي تقول في صوت
متهدج :

- إنه التمثال المرصود ..

وعاد الصوت من جديد يصيح :

- يا أهل مدينة البنات جاءكم الموت على يد المؤمنين ، وأول من
يقتل أنا ، وترتاح بموتى حراس مدينتكم من الأرصاد ..
ثم ارتفع صوت صاحبه قوى .. وهوى شىء ثقيل إلى الأرض في
دوى يصم الآذان ..!

ساد الصمت والوجوم المدينة كلها ، ثم تعالى فجأة صياح ظافر ،
وبدأت دقات قوية رهيبة فوق باب المدينة الذى بدأت أخشاشها تتهاوى فى
أصوات تصم الآذان ، وصاحت « نور الهدى » وهى تلوح بسيفها ،
وتتجه نحو باب المدينة :

- إلى الأسوار وردوهم بالحجارة .. وليتبعنى الباقيات لئلا نرد الهجوم عند
الباب ..

وكأنما كانت كلمات « نور الهدى » هى إشارة الحياة ، إذ بدأ كل شىء
يتحرك فى الميدان الكبير ، وعلت الصرخات وقائدات الفتيات يوجهن
منفذات لأوامر الملكة ، واتجه جزء إلى شرق المدينة مسرعات بينما اندفع
جمع كبير فى الاتجاه الذى سارت فيه « نور الهدى » .. وتفرقت الأخباريات
فى اتجاه غرب المدينة على عجل .. وما هى إلا دقائق حتى خلا الميدان
الكبير إلا من الملك « سيف » ومن معه يقفون وحدهم وسط بركة من
الدماء ومجموعة من الحطام والأشلاء الممزقة .. والتفت الملك « سيف » إلى
« مرجانة » قائلاً :

- احملى « منية النفوس » إلى داخل السجن من جديد .. ولتحمل
الباقيات منكن الجريحات إلى الداخل أيضًا .. وسأرى ما فى الأمر وأعود
لنقرر أمرنا ..

فقال «مرجانة» وهى تنحنى على الملكة التى فقدت رشدها :

- إن الأمر يبدو كالسحر ..

قال الملك «سيف» :

- ليس فى الأمر سحراً وإنما هى عناية الله ورعايته ..

ثم التفت إلى «كوكب» قائلاً :

- لا تترك واحدة منكن سلاحها حتى أعود ، ولتغلظن باب السجن

كما كان ..

ثم أغمد سيفه وأسرع متجهاً ناحية الباب الكبير للمدينة ، وأصوات معركة محتدمة تتعالى وتشتد كلما زاد اقترابه منه .. وحين اقترب من الباب طالعته مشهد المعركة البائسة التى تخوضها فتيات المدينة ضد جيش قوى مدرب من الفرسان الأقوياء .. ولم يطل الأمر كثيراً ، فسرعان ما انهزمت الفتيات وأسرعن صارخات إلى داخل المدينة وفى مقدمتهن «نور الهدى» وحرسها الخاص ، بينما اقتحم الجيش الغازى المدينة وصيحات الانتصار تدوى من الفرسان المتقدمين .. ولم يتردد الملك «سيف» كثيراً ، بل أسرع يقفز فوق أحد الجياد الشاردة ويندفع خلف الملكة الهاربة .. وعجب الملك «سيف» حين رأى الملكة لا تتجه نحو الأسوار لتجد لها منفذاً إلى خارج المدينة ، بل كانت تتوغل إلى داخل المدينة نفسها ..

وسرعان ما عرف اتجاهها حين رأى قصرًا أبيض صغيراً يلوح فى نهاية الطريق الطويل الذى تندفع فيه الملكة بكل ما فى جوادها المنهك من قوة وسرعة .. وحين وصلت الملكة «نور الهدى» إلى باب القصر قفزت من جوادها وأسرعت إلى الداخل دون أن تنظر خلفها .. وما هى إلا ثوان معدودات حتى كان الملك «سيف» يترجل أمام باب القصر ويندفع خلاله إلى قاعة واسعة شاهد فى نهايتها باباً

مفتوحًا .. ولم يتردد الملك في أن يقطع القاعة جريًا ويقتحم الباب في
عنف وحسامه في يده ..

وأجفلت الملكة والتفتت خلفها .. وما كادت تراه حتى سقط الثوب
الذى كانت تمسكه في يدها ، وعرف الملك الثوب في الحال فقد كان
شبهًا بالثوب الريش الذى كانت ترتديه زوجته «منية النفوس» .. وأفادت
«نور الهدى» من ذهولها فاندفعت نحو الثوب تريد أن تلتقطه من فوق
الأرض .. ولكن الملك «سيف» كان أسرع منها ، إذ انحنى يمسكه في يده
وهو ينظر إليها باسمًا ويقول :

- إلى أين أيتها الملكة؟ .. لست أظن أن قلبك يطاوعك على ترك
المدينة وحدها ..

وهنا حانت من الملك «سيف» نظرة إلى صندوق كبير قد رفع غطاؤه
وظهرت فيه مجموعة كبيرة من الثياب الريش .. وتقدم الملك «سيف» من
الصندوق وهو يقول :

- أحسب أن هنا أربعين ثوبًا صالحًا للطيران .. أى أن أمامك أربعين
فرصة للهرب ..

وكان وجه «نور الهدى» شاحبًا ، وشفثاها متقلصتان ، بينما كانت
ترقب الملك بعينين متوجستين .. وازدادت ابتسامة الملك «سيف» وهو
يقول :

- بل لعلهم ليسوا بأربعين ..

ثم نظر إليها وقال :

- ألم يزيدوا واحدًا عندما جاءت «منية النفوس» ..

ورفع الثوب الذى يمسكه بيده أمام عينيها ، وقال ساخراً :

- لعله هذا ..!

ولم تستطع «نور الهدى» أن تظل على تماسكها ، فصاحت صارخة وهي تنظر إليه في تحد :

- إذا كنت تريد أن تقتلني أيها الملك انتقامًا لما فعلته في «منية النفوس» فأسرع ، وضربه واحدة من حسامك نهى كل شيء .. فابتسم الملك وهو يقول :

- ولماذا الإسراع أيتها الملكة .. إن الموت بالنسبة لك الآن نعمة كبرى وشفقة حقيقية ، ترى هل تنتظرين منى الشفقة ..؟! .

وانهارت «نور الهدى» إلى الأرض ، ووضعت وجهها بين كفيها ومضت تبكي في عصبية وجسدها كله يهتز .. وعاد الملك «سيف» يقول في برود :

- إن هذا درس لك لكي لا تتشقى في المستقبل بتعذيب الآخرين دون رحمة .. انهضى ..

وجففت «نور الهدى» دموعها ، ثم تحاملت واقفة وهي تشمخ بأنفها وتقول :

- على المهزوم أن يواجه مصيره أيها الملك ..

ورقت ملامح الملك «سيف» وزايل وجهه العبوس واختفت ابتسامته الساخرة .. وقال في صوت هادئ :

- ليس من حقى محاكمتك أو الاقتصاص منك ، إنما هو حقى «منية النفوس» .. والآن احملى من هذه الثياب قدر ما تستطيعين ، وسأحمل الباقي وأرجو أن لا تفكرى فى الهرب ..

فقال «نور الهدى» وهي تضع يديها فى الصندوق وتخرج الثياب وترتها :

- وأين الهرب أيها الملك ، إن الوقوع بين يديك وأنت زوج أختى

اهون من الوقوع بين يدي هؤلاء المهاجمين الذين غزوا المدينة ولست
أعرف عنهم شيئاً ..

ثم حملت مجموعة كبيرة من الثياب ، بينما انحنى الملك «سيف»
ليحمل الباقي وهو يقول :

- إن جوادك بالخارج أيتها الملكة ، وستنجه- إلى السجن مباشرة ،
وسأظل وراءك وسيبقى في يدي ..

ولم تتكلم «نور الهدى» وإنما مضت إلى الخارج حاملة الثياب حيث
وضعتها فوق ظهر جوادها ثم ركبت خلفها وانتظرت ، ووضع الملك
«سيف» حملة فوق جواده ، ثم وثب إلى ظهره وهو يقول :

- أمامي أيتها الملكة واسرعي قبل أن يصل المهاجمون إلى السجن ..

وكانت الطرقات خالية فقد انهك الغزاة في مطاردة فلول المنهزمات
اللاقي تحصن في البيوت ليقاوم من مقاومة يائسة عنيدة .. ولم يلفت منظر
الفرسين المسرعين نظر أحد من الطرفين المتقاتلين .. وحين وصل الملك
«سيف» إلى الساحة الكبرى المواجهة للسجن وجدها ساكنة لا أثر فيها
للحياة ، فأدرك أن القتال لم يصل بعد إلى هذا المكان .. وتمت شفتاه
عبارات الحمد لله الذي جعله يصل إلى السجن ليكون في حيازة من
التجأن إليه .. وترجل الملك حين وصل إلى باب السجن ، وانتظر حتى
ترجلت «نور الهدى» ثم قادها إلى الباب وهو يصيح :

- افتحي الأبواب يا «كوكب» إن معي ضيفة عظيمة لا يليق أن
توصدى الباب في وجهها ..

وانفتحت فرجة من الباب الكبير ، وأطل رأس «مرجانة» التي ما أن
شاهدت الملك ومن معه حتى فتحت الباب على مصراعيه وهي تصيح :

- إنها الملكة ، إنها «نور الهدى» ..

وتعالّت من داخل السجن همهمات غاضبة ، بينما دخلت «نور الهدى»
شامخة وهي تحمل حملها من الثياب يتبعها الملك وفي يده حمله وهو
يقول :

- اغلق الباب يا «مرجانة» ، ولتجتمعن جميعاً هنا ..
ووضعت «نور الهدى» الثياب فوق الأرض ، ثم وقفت رافعة الرأس
تواجه النظرات الغاضبة التي تحيط بها من كل مكان .. بينما أغمد الملك
«سيف» حسامه ووضع حمله فوق حمل «نور الهدى» وهو يقول
لـ «مرجانة» :

- هذه هي الثياب الريش ، كانت الملكة تريد أن تهرب بواحد
منها .. واقتربت «مرجانة» من الملابس تتأملها وهي تقول :
- لطالما سألت نفسي أين تخفيها «نور الهدى» ... والآن ها هي
ذى ..

وظهرت «كوكب» عائدة ومعها جمع كبير من الفتيات يحملن
الجريحات ويساعدنهن على الجلوس في الساحة الصغيرة خلف الباب ،
وقالت «كوكب» :

- مرحباً بك أيتها الملكة عند الخائنات الغادرات ..
وارتفعت ضحكات متشفية ، وصاحت واحدة من الجريحات :
- لماذا لا نربطها إلى العمود ونذيقها طعم السياط ..!؟.
بينما قالت أخرى في صوت حاد مليء بالحقد :
- ونسحبها من شعرها فوق صخر السجن ، ونرسم على جلدها
بالحديد الحمى علامة الترد ..
وصاحت ثالثة في وحشية :
- لا مكان في المدينة إلا للطاعة .. وأنت تمرتد على «منية النفوس»

فأين الطاعة .. لا بد أن تذوق جرعة من الدواء الذى أسقيتنا منه لتتعلم النظام ..

ثم ضحكت صاحبة الصيحة فى مرارة ، وهى تقول :
- ألا تريدن تعلم النظام أيتها الملكة ... ١٢.

واندفعت كل من فى القاعة من فتيات يضحكن فى سخرية وتشف ،
بينما شحب وجه «نور الهدى» حتى حاكى وجه الأموات .. وارتفع
صوت جديد يقول :

- ولماذا الانتظار؟ .. لماذا لا نمزقها بسيوفنا الآن .. ١٣.

وساد المكان صمت ثقيل ، وقد بدأ أن الاقتراح وجد صداه فى
النفوس التى طال عذابها .. وتحرك الملك «سيف» فى مكانه بقلق ، فما
كان ليستطيع أن يسمح بحدوث هذا أمامه .. ولم يكن يدرى كيف
يستطيع منعهم بعد كل ما قاسينه من تنفيذ ما عقدهن العزم عليه ... وسمع
صوت أكثر من سيف وهو يخرج من غمده ، بينما اقتربت الفتيات
الغاضبات من «نور الهدى» بحيث كون حولها حلقة من السيوف
المشرعة ، وأخذت الجريحات يقتربن متحاملات ليشاركن فى القصاص
المنتظر.

وفجأة انفتح الباب المطل على ساحة السجن ، وخرجت «منية
النفوس» ووراءها «مرجانة» .. ولا يدرى الملك «سيف» متى تسلمت
«مرجانة» من الجمع ، ولا كيف دخلت الحجرة المغلقة دون أن يحس بها
أحد ، ولكنه أحس أن عبئًا كثيبًا قد انزاح عن صدره حين سمع «منية
النفوس» تقول فى صوت حازم حاد :

- كفى يا فتيات .. لتعد كل واحدة منكن إلى مكانها ..

ولمعت عينا «نور الهدى» وهى تنظر إلى وجه أختها ، بينما وجعت

الفتيات وترأخت السيوف في أيديهن ، وقالت واحدة :
- إنها عدوتنا ..

وتشجعت أخرى فقالت في صوت أكثر ارتفاعًا من صوت الأولى :
- وقد أذاقتنا الويل يوم كان في يدها السلطان ..
وصاحت ثالثة في غضب :
- لا بد أن نقتص منها ..

وعادت المهمات من جديد ، بينما أحس الملك «سيف» أن الموقف
سيأزم من جديد ، ولكن «منية النفوس» تقدمت في خطوات سريعة
لتقف إلى جوار أختها وهي تقول :
- إذن اقتصوا مني أنا الأخرى .. ! .
وأسرعت «مرجانة» تقف إلى جوارهما وهي تقول :
- ومنى أنا أيضًا .. ! .

وفي هدوء وصمت تحركت «كوكب» لتقف وراء «منية النفوس» في
حركة لها دلالتها ومعناها .. وعلت الحيرة والدهشة وجوه الفتيات ،
وقالت واحدة في صوت متردد :
- ولكنها عذبتك عذابًا لم تشهده واحدة منا .. ! .

فقابلت «منية النفوس» في صوت هادئ واضح النبرات :
- لقد كانت تؤدي واجبها كملكة تحافظ على المدينة بالطريقة التي
تؤمن أنها الصواب .. لم يكن بينها وبين أية واحدة منكن ثأر أو ضغينة
لقد كنت أنا أختها الوحيدة التي تبادلت معها الحب منذ الصغر ، ومع
هذا فهي لم تتردد ثانية واحدة في أداء واجبها الذي تؤمن به حتى معي أنا
أختها ، لقد كنت أشاهد وجهها وهو يتقلص من الألم لعذابي ، ومع هذا
كانت هي التي تأمر بهذا العذاب .. إنه الواجب الذي جعلها تدوس على

كل رحمة فيها لأنها كانت تعبد النظام وتقده ، والنظام لا يعرف الرحمة ، ولا يفرق بين إنسان وإنسان ..

أما الله الذى نعبده نحن ، فهو إله الرحمة ، وهو الذى جعل لكل إنسان استقلاله وميزاته وحقه فى أن يشق طريقه بنفسه وأن يشكل حياته كما يشاء ... ولو دافعنا نحن عن إيماننا بالله ، كما دافعت هى عن إيمانها بالنظام لما كان هناك مكان للقسوة والعنف ، والعذاب ..

وحين سكتت «منية النفوس» كانت «نور الهدى» تطرق إلى الأرض فى سكون ، وقد بدأ لون الحياة يعود إلى وجهها الشاحب .. بينما ساد الصمت الفتيات كلهن ، ودارت «منية النفوس» بعينها فى وجوههن ثم عادت تقول :

- لو فعلنا فى «نور الهدى» ما فعلته فينا لما زدنا عنها شيئاً ، ونحن جميعاً نحملنا السجن لأننا كنا نختلف عنها وعن فتيات المدينة .. وإن عاملناها هى وفتياتها كما عاملنا لضاع كل عذابنا فى السجن بلا ثمن .. وتراجعت الفتيات وانفرجت الحلقة التى كانت تحيط «نور الهدى» وعادت الابتسامة إلى وجه الملك «سيف» وهو يسمع أصوات أغماد السيف ، بينما عادت «منية النفوس» تخاطب أختها فى صوت رقيق :
- إنتِ حرة يا «نور الهدى» ولو أننى لست أدرى ماذا ستفعلين بحريتك ، والمدينة كلها قد وقعت فى أيدى غزاة مجهولين ..
وتقدمت «مرجانة» خطوة وهى تقول :

- تستطيع «نور الهدى» أن تلبس واحداً من هذه الثياب الريش وتهرب بها إلى مدينة أبيها «قاسم العبوس» ..
وأطرت «منية النفوس» إلى الأرض لحظات ، ورفعت رأسها وهى تقول :

– إن هذه الثياب هي طريقنا نحن أيضاً إلى الهرب ، فلسنا نقوى على معركة أخرى مع هؤلاء الغزاة المجهولين إن أرادوا أن يأسرونا .. ولكن لتأخذ «نور الهدى» ثوباً وتهرب به فهي الملكة وهي المطلوبة أكثر منا ، أما نحن فإن لنا رباً يحمينا ...

وتقدمت «نور الهدى» خطوة من أختها ، وهي تقول في صوت هامس :

– وإذا رفضت أن أهرب ..!؟.

فقال «مرجانة» التي كانت لا تزال في مكانها إلى جوارهما :
– لقد عودتك يوم كنت وزيرة لك أن أصدقك النصيح ، ولعلها تكون آخر نصيحة أسيدها لك مخلصه .. ليس أمامك يا «نور الهدى» سوى الهرب ، فليس هنا من يحبك ..

وصمتت «نور الهدى» وهي تجيل نظراتها فيهن ثم قالت :
– حتى لو أردت أن أبقى ممكن لادافع عن هذا الدين الجديد الذي جعلكن أقوى منى وأنا في أوج قوتي ، وأقوى من أنفسكن وأنا في ضعفى وهزيمتى ...

واندفعت «منية النفوس» تضم أختها إلى صدرها في قوة ، وهي تقول في صيحة فرح غامر :

– مرجباً بك في صفنا ...

وتعانقت الأختان في حرارة وقوة وقد انثالت الدموع من عيونهما ، بينما ارتفعت أصوات الفرح من كل مكان في الساحة .. وقال الملك «سيف» وهو يتجه نحوهن :

– والآن وقد تمت تسوية هذه المشكلة الصغيرة بقيت مشكلتنا الكبيرة قائمة وأرى أن نستعد لها ..

قالت «مرجانة» :

- لقد كنت أفكر في هذا أيها الملك ، فلا بد من أن نستعد لمواجهة هؤلاء الغزاة الذين لا نعرف عنهم شيئاً ..

فقال الملك «سيف» :

- أرى أن نستعد كما استعدنا للمعركة الأولى ، فنتناوب الحراسة في البرج لنرقب تحركاتهم ، وننال القسط الذى نستطيع من الراحة ونتنظر ..
قالت «كوكب» :

- سأذهب أنا أولاً إلى البرج .. ولتذهب كل فتاة إلى مكانها لتستريح ولتكون عند سماع الإشارة على أهبة القتال من جديد ..

وانصرفت «كوكب» بينما قالت «نور الهدى» لأختها :

- هناك شيء طالما وددت أن أفعله ، ولكنى لم أكن أستطيع من قبل أن أفعله فهل تسمحين لى به .. ؟.

قالت «منية النفوس» وهى تبسم :

- كل طلباتك مجابة يا «نور الهدى» ..

فقالت «نور الهدى» وهى تبسم فى سعادة :

- أريد أن أضم ابنك «مصر» إلى صدرى ، وأن أقبله ، وأن أنسيه أننى معذبه يعرف أننى خالته التى تحبه .. !.

ودون أن تتكلم ، أتجهت «منية النفوس» إلى باب الحجره ففتحتة ، وغابت عن الأنظار لحظات لتعود بالطفل بين يديها ، ثم تقدمت من «نور الهدى» ووضعت بين ساعديها الممدودتين .. وابتمت الطفل فى براءة وهو يصدر أصواتاً سعيدة هائلة ، وانحنى عليه نور الهدى تقبله وعيناها مليئتان بالدموع ، ثم ضمته إلى صدرها فى قوة وحنان .. ثم رفعت رأسها إلى الملك «سيف» وهى تقول :

- هل عفوت عنى أيها الملك.. ١٩.

فقال الملك «سيف» :

- لقد أعلنت إيمانك فأنت فى صفوفنا منذ اليوم تقاسمينا كفاحنا ومصيرنا وتخضعين لقوانيننا ، وأول هذه القوانين أن تتزوجى أنت وكل من ينضم إلينا من الفتيات فليس فى ديننا مكان لتجاهل الطبيعة التى خلقها الله فىنا ..

وعادت «نور الهدى» تنظر إلى «مصر» فى حنان وتقبله ثم قالت :

- ويكون لى مثل هذا الطفل البديع ..

وابتسم الملك «سيف» وهو يقول :

- هذه شرعة الله ..

فعادت «نور الهدى» تقول :

- سأتزوج أيها الملك ، وأنا أترك لك أنت أن تختار الزوج الذى

ترضاه لى ..

وقبل أن يرد الملك «سيف» على حديث «نور الهدى» ارتفع صوت

«كوكب» من البرج صائحًا :

- إنهم يقتربون ...

وأسرعت «مرجاة» مهولة تستدعى الفتيات ، بينما فحص الملك

«سيف» سلاحه وأسرع نحو الباب يفتحه ووراءه كل الفتيات يحملن

سيوفهن .. وفى الميدان طالع الملك «سيف» منظر مهيب فقد كان هناك

فارس رائع المنظر بادى القوة كامل السلاح يتقدم فى تودة ووراءه كوكبة

من الفرسان يحيطون به ، ووراءهم من بعيد يقف جيش لجب من

الفرسان فى نظام بديع .. ولم يملك الملك «سيف» إن همس وهو يرقب

تقدمه البطيء :

- إنه فارس رائع ..
فقال « منية النفوس » وكانت تقف وراءه وإلى جوارها « نور الهدى »
تحمل « مصر » ووراءهما « مرجانة » و « كوكب » ثم باقى الفتيات :
- لن نقوى على مقاومة كل هذا الجيش القوى المنظم .. ا .
ولم يرد عليها الملك « سيف » ، وإنما ظل واقفاً مكانه فى إنتظار ..
وحين وصل الفارس أمام الملك أوقف جواده ثم ترجل عنه ، وتقدم
وحيداً إلى الملك ثم وقف وهو يقول :
- أيها الملك « سيف بن ذى يزن » .. لقد انهزم أعداؤك وسلمت
المدينة لك ! .

وعلى الرغم من الدهشة التى استولت على الملك « سيف » إلا أنه تقدم
خطوة وهو يقول :
- أيها الفارس العظيم يبدو أنك تعرف اسمى ...
فقال الفارس وهو ينحنى فى أدب :
- لقد جئت إلى هنا خصيصاً أيها الملك بطريقة عجيبة ومن بلاد
بعيدة لغرض واحد وهو انقاذك ومن معك من المؤمنين ..
فانحنى له الملك « سيف » وهو يقول :
- نحن مدينون لك بحياتنا أيها الفارس العظيم .. ويسرنى أن تشرفنا فى
الداخل لتبادل الحديث ونعرف قصة قدومك العجيبة تلك .. ولكن ألا
نعرف إسم منقلدنا البطل .. ؟ .

فقال الفارس وهو يتجه ناحية باب السجن ليدخل مع الملك .
- إننى الملك « قان شاه » ملك مدينة « دوريز » التى كانت تعبد النار
واليوم هى تعبد الواحد القهار ..

أجال الملك «قان شاه» النظر حوله وقال :
- لقد خضمت أيها الملك معركة بأسلة كما أرى ..
فابتسم الملك «سيف» وهو يشير إلى مقعد مريح بحجرة الحرس ،
وقال :

- لقد بدأنا نحن وأنها أنت ..
وجلس الملك «قان شاه» فوق المقعد الذى أشار إليه الملك ، وقال :
- بل لقد كان لك أنت أيها الملك فضل إنهاء معركتى أنا مع نفسى ،
فأنقذتني ومدينتي كلها .. !

وقال الملك «سيف» وهو يجلس أمام «قان شاه» :
- لست أفهم شيئاً أيها الملك ..

فقال «قان شاه» وهو يتخفف من سلاحه :

- إن هذه حكاية طويلة تبدأ منذ كان أبى ملكاً ، وكنت أنا ولياً على عهد دوريز ، ولم يكن أبى يحكم المدينة بالفعل بل كان الأمر كله فى يد كاهن كبير معمر اسمه «الشعشان» وهو الموكل بحفظ النار المقدسة التى تعبدها مدينتنا ، يخدمها ويقدم لها القرابين .. وقد تبينت مدى خطر «الشعشان» وجشعه عندما عدت منتصراً فى أول معركة يوفدنى فيها أبى لجزية قبيلة متمردة كانت دائمة الاغارة على القوافل الخارجة من مدينتنا

والداخلة إليها... وقد تمكنت من دحر رجال القبيلة رغم براعتهم في القتال ومهارتهم في فنون الحرب.. وكنت ما أزال شاباً حدثاً غراً، فعدت أجر زعماءهم مكبلين في الحديد، ويتبعني موكب طويل من الأسارى الجميلات، وجمال محملة بكل ثروة القبيلة وأموالها.. وكنت طوال طريق العودة أرسم في خيالي صورة الاستقبالات الحاشدة التي سيلقاني بها أبي.. ولكنني فوجئت حين وصلت إلى أسوار المدينة بأن أبوابها مغلقة في وجه عودتي الظافرة..

ودخلت «مرجانة» إلى الحجرة فقطعت عليها الحديث وهي تقول :
- عفواً أيها الملك لقد أعددنا أماكن لتزول فرسان الملك «قان شاه».. ولكن ما تزال بعض الفتيات المسلحات يقاومن في المنازل والدروب، فلو أذنت أيها الملك خرجت إليهن «نور الهدى» ليسلمن أسلحتهن وتعطين الأمان..

فقال لها الملك «سيف» :

- لتخرج نور الهدى يا «مرجانة» ولتوقف القتال في كل مكان بالمدينة، وأعطيهن الأمان باسمي وباسم الملك «قان شاه»..

فقال الملك «قان شاه» :

- الأمر ما رأيت أيها الملك..

فقالت «مرجانة» :

- وسنعد الطعام لتضيف ضيوفنا من جند الملك «قان شاه» بعد قليل..

فقال لها الملك «سيف» وهي تغادر الحجرة :

- وليخصص قصر الملكة لضيفنا الملك، ولتعمل مرجانة في إعداد أماكن للجرحى والجريحات حتى يلقى الجميع كل عناية..

فانصرفت «مرجانة» وهى تقول :
- سننقلهن إلى القصر الأبيض أيها الملك .. أما الجرحى فسأخلى منزلى
لهم ..

وحين خرجت «مرجانة» التفت الملك «سيف» إلى «قان شاه»
قائلاً :

- لن يمضى وقت طويل حتى يكون القصر قد أعد لراحتك أيها
الملك ..

فقال الملك «قان شاه» :

- لم يكن هناك ما يدعو إلى هذا العناء ، فلا بد من عودتى سريعاً إلى
المدينة لأنها مهددة بالغزو بين لحظة وأخرى ، ولن أمكث هنا إلا فترة
الليل وعند الصباح لا بد أن أكون فى طريق العودة ..

فقال الملك «سيف» :

- الغزو أيها الملك .. ١٩.

فقال «قان شاه» وهو يتسم :

- إنها معركة لا بد منها مع «عبد نار» ملك مدينة الأزهار لأنه لا
يخالف للكهان «الشعشان» أمراً ولا بد أن يدفعه «الشعشان» إلى قتلى
إن علم بأمر تركى لعبادة النار ..

قال الملك «سيف» :

- لقد كنت تحكى لى أيها الملك عن أول معرفتك بخطر «الشعشان»
وجشعه ، ولكنك لم تكمل الحديث ..

فقال «قان شاه» :

- لقد أرسلت الرسل إلى أبى ، وأنا واقف عند أسوار المدينة أخبره
بأمر انتصارى ، وأطلب منه الإذن بالدخول مع ما معى من أسارى

وغنائم .. ولكن أبي لم يجب على الرسول بشيء ، فقط قال له : عد إلى «قان شاه» وأخبره أن ينتظر إذن النار له بالدخول .. ولم أفهم أى علاقة بين دخولى المدينة وإذن النار ، ولكنى امتثلت للأمر وظللت أنتظر إلى الصباح .. وعند الضحى جاءنى رسول يخبرنى بأمر الملك أن أسوق الأسارى والسبايا وكل الغنائم إلى مدينة «الشعشان» ثم أعود ..

وانتابنى غضب هائل ورفضت أن أصدع للآمر .. ولكن أبى خرج بنفسه من المدينة إلى معسكرى ليخبرنى أن هذه هى أوامر النار .. الحرب لنا والغنائم «للشعشان» .. فهو محتاج للأسارى ليعرض عليهم عبادة النار ، أما الأسيرات فسيقدمن قرباناً لها .. وأما المال فقد قال أبى إنه سينفق فى ترميم معبد النار .. وعيناً حاولت ، وعيناً ناقشت ، فقد أصر أبى على موقفه وكان لا بد لى أن أصدع بالأمر ..

وهكذا دخلت المدينة كما خرجت منها يتبعنى جنود متعبون وتملاً قلبى غصة مريرة .. ومن يومها عرفت معنى أن يسلب الإنسان حصيلة جهده باسم العبادة ليملاً بطن كاهن شره .. وحين دخلت حجرتى تلك الليلة اقتربت من محراب النار الدائمة الاشتعال والتى لا تخلو منها حجرة فى القصر واطفأتها ، حملت إناء من الماء وقلدت به فوقها فهمدت ومضت تخرج دخاناً أسود كرية الرائحة قبيح الشكل .. ووقفت ذاهلاً للحظات وقد انتابنى ذعر شديد من خطر مجهول يهددنى .. ولكن شيئاً لم يحدث .. وظللت ليلتى اتقلب فى فراشى أهدى حتى الصباح ، ولكننى حين استيقظت وجدت النار مطفاة كما تركتها فى المساء هدأت نفسى واستقر قلبى على عقيدة ثابتة ، إن النار ليست إلهاً ولا يمكن لى أن ألغى عقلى وأعبدها .. وقد كتبت هذا الأمر فى نفسى وأعدت إشعال النار فى حجرتى حتى لا يصل الأمر إلى «الشعشان» فيعاديبنى ، ولكننى من يومها

لم أكف عن البحث عن تلك القوة التي تتحكم في النار وفي أبي وفي
«الشعشان» نفسه ..

قال الملك «سيف» وهو ينظر إلى وجه «قان شاه» :

- ووجدتها أيها الملك ..

فقال «قان شاه» :

- لقد بحثت عنها في كل مظاهر الوجود ، ولكن شيئاً لم يقنعني ..
وحين مات أبي وتوليت الملك بعده ظلت أخفى أمرى عن كل العيون ،
ولكنني حين أدخلت إلى نفسي كنت أجنو على ركبتي وأرفع يدي مبتهلاً إلى
تلك القوة طالباً الهداية لي والخلاص لشعبي الذي يمتص كهنة النار كل
جهده وعرقه باسم الخدعة التي طمسوا بها على قلبه .. النار .. بالأمس
فقط أيها الملك كنت جاثياً على ركبتي وحدي أضرع في ابتهاج حين سمعت
صوتاً هادئاً يقول :

- أيها الملك آن أوان هدايتك .. إن الذي تبحث عنه هو الله ..
وأنت منذ هذه اللحظة من عبيده ، وعند الكهف المهجور في أعلى الجبل
الذي يطل على المدينة من سيديك إلى العبادة والإيمان .. ومن سيدك
على طريق التكفير عن ذنوبك ، ويفتح أمامك أبواب الجهاد ..
وصمت الملك «قان شاه» لحظات ، ولم يقطع الملك «سيف»
الصمت الذي ران على الحجرة ثم عاد «قان شاه» يقول في صوت
مضطرب :

- ولن أنسى ما حييت وجه ذلك الرجل المهاب الذي وجدته ينتظري
عند باب الكهف ، والنور يشع من حوله رغم الظلام الخيم على الكون ..
وما أن أقبلت عليه وجلاً متردداً حتى قال :

- إنت «قان شاه» ملك دوريز ، لقد آن أوان هدايتك ، فقل :

لا إله إلا الله ، إبراهيم الخليل نبي الله ..
ووجدت شفتي ترددان الشهادتين وقد حلت السكينة في قلبي ،
وتعلقت عيناى بالوجه المضىء الذى عاد يقول :
- إن وزيرك على الإيمان منذ زمن فاذهب إليه ، واكشف له أمرك .
واستعن به على تحطيم هياكل النار في المدينة .. واعرض الإيمان على
رجالك وأهل مدينتك فلن يقبل الصباح إلا وهم لك مطيعون ولدعوتك
سامعون . وعد إليّ بجيشك المؤمن كله هنا فإن عليك رسالة لا بد من
أدائها ..

ثم اختفى من أمامي .. كنت مطأطأ الرأس وهو يتحدث ، وحين
انتهى من حديثه ، رفعت رأسي فلم أجدته .. ولكنني وجدت شيئاً يدفعني
إلى أن أعود إلى المدينة عدواً وأنا لا أبالي أن يرانى الحرس بهذه الحالة
العجيبة التي لم يتعودوها من ملكهم .. وأسرت إلى قصر الوزير أطرق بابه
في عنف وبكل ما أملك من قوة وأنا أصبح كالمجنون :
- لا إله إلا الله ، إبراهيم الخليل نبي الله ..

وخرج إلى الوزير يلقانى في أحضانه وهو يصيح :
- حمداً لله على هدايتك أيها الملك ..

وقادنى الوزير إلى داخل القصر ، وهناك وجدت كبار رجالى مجتمعين
وهم ينظرون إليّ في وجل ، ولكن الوزير هتف بهم في انفعال :
- إنه ملكنا يكفر بعبادة النار ، إنه مثلنا يعبد الواحد القهار ، لقد
سمعت الشهادتين بأذنى منه الآن .

ولم أضع وقتى معهم بل أسرت أصبح فيهم :
- لتستيقظ المدينة كلها ، ولتدمر كل معابد النار وهياكلها وليعرض
الإيمان على كل من بالمدينة فن كان معنا فهو في مكانه ، ومن كفر

فليخرج من دوريز إلى الأبد ..
وكانت ليلة حافلة لم تشهد لها المدينة من قبل ، الكل في حركة والكل
في عمل .. والأنوار تحيل المدينة إلى نهار .. وعند الصباح لم يكن في
المدينة كلها واحد يعبد النار ..
قال الملك «سيف» :

– إن هذا كله بفضل الله ..

فقال «قان شاه» في خشوع :

– نعم أيها الملك ، لقد كان حلمًا يراود ذهني ، فإذا به حقيقة مثل
وضح النهار .. وما كان هذا فعلي ولا فعل الوزير وإنما هي إرادة الخالق
التي شاءت للمدينة كلها الهداية والإيمان ..

ورفع «قان شاه» رأسه وعاد يقول :

– وفي الصباح كنت على رأس جيشي كله نقصد الكهف الموعود ،
وهناك كان في انتظارنا صاحب الوجه المضيء الذي نظر إلى الجند من
ورائي ، وقال في صوت هامس ولكنه قوى :

– الحمد لله الذي هداكم .. والآن أيها الملك إن لي أخًا في الإيمان في
محنة وأنت الموعود أن يتم خلاصه على يديك ، إنه الملك «سيف بن ذي
يزن» ، فهو يحارب وحده في مدينة البنات .. فلتسرورائي أنت وجيشك
ولا ينظر واحد منكم خلفه وإلا ضاع ، فقط سيروا ورائي صامتين
وسنصل إليه بإذن الله قبل أن تتوسط الشمس كبد السماء ..

وعاد «قان شاه» إلى السكوت ، ثم ابتسم وهو يقول للملك
«سيف» :

– وهكذا جئنا أيها الملك إليك لتبدأ جهادنا من أجل الإيمان ..

وسنعود في الصباح إلى حافة النهر حيث ينتظرنا هادينا لتبعه في العودة كما
تبعناه في الهجاء ..

قال الملك « سيف » :

- ألم يخبرك هذا الرجل الصالح المؤمن عن اسمه .. ! .

فأطرق « قان شاه » برأسه وهو يقول :

- إنه أيها الملك « الخضر أبو سليمان » ..

فقال الملك « سيف » :

- عليه السلام والرحمة ..

وقطعت عليهما الحديد « مرجانة » وهي تدخل الحجرة قائلة :

- لقد أعد القصر أيها الملك ، وأرشدنا جنود الملك « قان شاه » إلى

أماكنهم ، كما حملنا الجرحى والجرحيات إلى حيث يلقون كل عناية ..

قال الملك « سيف » وهو ينهض :

- سنذهب إذن إلى القصر ليتناول الملك « قان شاه » طعامه ...

فقالت « مرجانة » :

- إن الطعام معد هناك أيها الملك .. إلا أن هناك أمراً أحب أن تنظر

فيه بنفسك ..

فقال الملك « سيف » :

- ما هو أيتها الوزيرة الحكيمة .. ! .

فقالت « مرجانة » :

- إن الملكة « منية النفوس » ترى أن ترسل رسولاً إلى الملك « قاسم

العبوس » لتخبره بما حدث وتدعوه إلى الإيمان ... فليس هناك مكان

للاطمئنان طالما ظل على كفره وعناده ..

فقال الملك « سيف » :

- نعم الرأى يا «مرجانة» ومن سنرسل ؟..

فقالآ «مرجانة» :

- إنها ترى أن ترسل «نور الهدى» فهى قريبة إلى قلب أبيها وهى كفيلة

باقناعه ..

وأطرق الملك «سيف» إلى الأرض مفكرًا ، ثم رفع رأسه وهو

يقول :

- لتذهب «نور الهدى»؟.

فعاآت «مرجانة» تقول :

- لاسييل لها إلى الوصول إلى المدينة الأخرى وإلا حرقها الطلاسم اللى

عليها إلا إذا ذهبآ مرآدية الثوب الريش فهو مطمسم ..

فقال الملك «سيف» :

- ألا تخشى «نور الهدى» غضبة أبيها أن عرف أنها آمنت وترآت

آينه .. ١٩.

فقالآ «مرجانة» :

- إن «نور الهدى» تريد أن تؤكد إيمانها بعمل تقوم به حتى ولو كان

فى هذا العمل ما يهدد حياتها ..

فقال الملك :

- إن هذا الأمر مآروك لها ، فإن شاءآ ذهبآ ..

فآبآسمآ «مرجانة» وهى تقول :

- إن «نور الهدى» معى وهى آنتظر خارج الباب لآعرف رأيك ..

ثم آآجهآ إلى الباب وفتحآه لآآآخل «نور الهدى» .. وقالآ مرجانة :

- إن الملك يريد أن يتأكد من رغبتك فى القيام بهذه المهمة ..

فقالآ «نور الهدى» :

- إننى أيتها الملك أعرف أبى جيداً ، وأود أن أحقن الدماء بينكما ،
وربما استطعت أن أقنعه بعدالة قضيتك ، وأخيفه من قوتك وجبروتك ..
ولاحظ الملك «سيف» تلك النظرة السريعة التى تبادلتها «نور الهدى»
مع الملك «قان شاه» كما أحس بما أحدثته هذه النظرة فيها من تغير
واضطراب ، وابتسم وهو يقول :

- على بركة الله يا «نور الهدى» .. وآمل أن تعودى إلينا بغير فإن هنا
من يخاف عليك ..

وانطلق يضحك ، بينما خرجت «نور الهدى» وقد تضرج وجهها بما
تصاعد إليه من دماء الحياء والخجل .. ووراءها خرجت «مرجانة» وعلى
وجهها بسمة سعيدة فاهمة .. وأخذ الملك «سيف» بساعد ضيفه متجهاً إلى
الخارج وهو يقول باسمًا :

- يبدو أيتها الملك أنك اليوم فى برج سعدك ، فانتصاراتك تتوالى فى
كل الميادين ..

وعند باب السجن طالعتهم صورة أخرى للميدان الذى شهد
الأحداث الدامية الرهيبة التى شغلت اليوم كله .. فقد كان كل شىء هادئاً
ساكنًا تحت أشعة شمس الغروب الخانية ..

وتهد الملك «سيف» وهو يتلفت حوله .. ثم قال «قان شاه» الذى
كان ما يزال مضطرباً للمحوظة الملك «سيف» الصائبة :
- لا عليك أيتها الملك ، فهذه هى الحياة ، موت تعقبه حياة ،
وبغضاء يعقبها حب ..

ثم ابتسم ملاطفاً وقال وهو يقوده من ذراعه :
- هيا بنا أيتها الملك .. فإن الطعام فى انتظارنا ..

كان مشهد الوداع مؤثراً بين الملك «سيف» والملك «قان شاه» ..
وظل الملك «سيف» سائراً مع جيش مدينة دوريز حتى حافة النهر ، ثم
عاتق «قان شاه» الذى قال :

- عدنى أيها الملك أن تمر على مدينتنا أثناء عودتك ..

فقال الملك «سيف» :

- إن هذا ما أنتويه ، فإن لك عندى أمانة لا بد أن أحملها لك

بنفسى ..

وتضرج وجه الملك «قان شاه» وأطرق فى اضطراب .. ولكن الملك

«سيف» ضحك وهو يربت على منكبه قائلاً :

- لا عليك أيها الملك ، إن موعدنا مدينة دوريز بإذن الله ..

ورفع «قان شاه» رأسه وهو يقول :

- والله أيها الملك لولا أن ذلك الشيخ المهيب فى انتظارى ليقودنا إلى

المدينة التى لا نستطيع أن نصلها من غير معونته ولولا ما أعرفه من خطر

يهدد بلادى لظللت معك أصبحك فى العودة ..

فعاد الملك «سيف» يبتسم وهو يقول :

- صحبتك السلامة يا «قان شاه» ..

وتعانقا ، ثم امتطى «قان شاه» جواده ، واندفع مسرعاً يتقدم جنوده

الذين بدءوا سيرهم فى نظام كامل دون أن يلتفت أحدهم خلفه ..
وتنهذ الملك «سيف» وهو يعود فى خطوات بطيئة إلى المدينة ، وقد
بدأ شوقه إلى حمراء اليمن ، وزوجاته ، وأولاده ، وفرسانه ، يملأ قلبه ..
ويضنى على نفسه غلالة رقيقة من الأسى والحنين .. ولم يذهب عنه هذا
الإحساس بالغربة وهو يدخل المدينة متناقلاً ويشهد الحركة الجديدة التى
أخذت تملأها وتضنى عليها مع النهار الجديد روحاً من التفاؤل والبهجة ..
وظل فى سيره إلى أن وصل إلى القصر ، وبينما كان يصعد إلى حجراته
انتهى إلى ضرورة العودة ، فإعاد له هنا بعيداً عن وطنه وبلده وأهله
مكان .. وجاء صوت «منية النفوس» وهو يدخل الحجرة فى خطوة
بطيء ، وكانت تقول فى حنان دافق :

– إن وجهك أيها الملك يحمل من دلائل الحزن ما لا يمكن أن يخطئه
إنسان ..

ونظر إليها الملك «سيف» ولكنه لم يجب بل اتجه إلى حيث يجلس ابنه
«مصر» يلهو بسيف خشبي صغير وجعل يتأمله ساكناً .. وأحس بها تقف
وراءه وتضع راحتيها فوق منكبيه وتقول :

– إن «قان شاه» يعود .. وأنت بعد هنا بعيداً عن حمراء اليمن ..
– لست أدري لماذا أحس بالقلق ..

فقالت «منية النفوس» :

– إنه الحنين أيها الملك .. الحنين إلى الوطن ، إلى الأرض التى تحب
والناس الذين شهدت معهم طفولتك وشبابك .. إنه ذلك الإحساس
الحاد الذى دفعنى إلى تركك لأعود إلى هنا هاربة من سعادتي معك ..
ولكن لماذا التردد؟ .. لقد انتهت رسالتك هنا ونستطيع أن نعود متى
شئت ..

فقال الملك «سيف» وهو ما يزال مطرّقاً إلى الأرض :
- لم أحس لحظة وأنا في طريق إليك بطول المسافة أو بعدها ،
ولكنني الآن وقد اطمأنتت إلى سلامتكم تهلّوني المسافة التي تفصلني عن
بلادى ..

وقبل أن ترد عليه «منية النفوس» اقتحمت «مرجانة» عليها الباب
وهي تصيح :

- هناك جيش يقترب من المدينة أيها الملك ..

وزالت عن وجه الملك «سيف» كل علامات الأسى والقلق ، وحلت
محلها إمارات الاهتمام والجد ، واندفع خارجاً وراء «مرجانة» و «منية
النفوس» .. وعند باب القصر كانت «كوكب» تقف على رأس مجموعة
من الفتيات المسلّحات ، وحين شاهدت الملك خارجاً اتجهت إليه قائلة :
- لقد أخذت الحارسات أماكنهن على السور أيها الملك ، والجيش
كله على استعداد كامل ..

فقال لها الملك وهو يندفع في اتجاه باب المدينة :

- اتبعني مع فارساتك يا «كوكب» وليظل الكل على استعداد ..
وحين وصل إلى باب المدينة أمر به أن يفتح ، واندفع خارجاً في
عجلة .. وأمامه في السهل المنبسط الفسيح كان جيش لجب يتقدم في بطم
شديد ، وأمامه عدد ضخم من الفرسان يتقدمهم فارسان أحدهما طويل
ضخم ، والثاني قصير نحيف .. ولم يكن الملك «سيف» يستطيع أن يتبين
ملاحظهما لبعده المسافة ، إلا أن صوت «منية النفوس» جاءه من خلفه
يقول :

- إنه أبي أيها الملك .. هذا «قاسم العبوس» ومعه «نور الهدى» ..
ولست أظنه يأتي للحرب فما هكذا تسير الجيوش الحاربة .. ولو كان يريد

الحرب ما سارت معه «نور الهدى» في مقدمة الجيش ..
وظل الملك «سيف» يقرب تقدم الجيش اللجب وهو يظلل عينيه بيده
ليحجب عنها وهج الشمس ، ثم قال وهو يشير بيده :
- سرى .. أحضروا جوادًا لي ولتبعني «منية النفوس» و «مرجانة» و
«كوكب» راكبات .. ولتنتظر الباقيات ..

وكان المتقدمون ما زالوا على مسافة بعيدة حين اتجه الملك «سيف»
وراء «منية النفوس» و «مرجانة» و «كوكب» فوق صهوات الجياد
نحوهم .. وبينما كان الملك «سيف» يقترب من الفارسين المتقدمين استطاع
أن يميز ملامح «نور الهدى» التي كانت تسير إلى جوار أبيها في ثقة
واعتراز ..

وعلى بعد كاف من أسوار المدينة وقف الملك «سيف» ومن معه في
انتظار القادمين .. ورفع الملك «قاسم العبوس» يده فوق الجيش كله ..
وظل متقدمًا خطوات يتبعه فرسانه ، ثم رفع يده من جديد فتوقف
الفرسان .. واستأنف الملك «قاسم العبوس» تقدمه هو و «نور الهدى»
وحدهما حتى أصبحا في مواجهة الملك «سيف» ومن معه ، فوقفا وقال
الملك «قاسم العبوس» وهو يريح يده فوق عنق جواده :
- أنت أيها الفارس ، الملك «سيف بن ذى يزن» الذى فتحت مدينة
البنات ..!؟ .

فقال الملك «سيف» وهو يتقدم بجواده خطوة :
- نعم أيها الملك ، وأنت «قاسم العبوس» الذى خالف شريعة الله ،
وقسم المدينة إلى مدينتين ، وجعل النساء وحدهن والرجال وحدهم
متحدثًا بإرادة الله ..! .

فقال «قاسم العبوس» وهو يعتدل في جلسته على الجواد :

– لقد كان هذا صحيحًا أيها الملك .. ولكن ما راح قد راح ، ولم آت إليك لأنبش الماضى .

فقال الملك «سيف» :

– أحقًا أيها الملك ، إذن لماذا أتيت .. ١٩٠.

فقال «قاسم العبوس» :

– لقد حكمت لى «نور الهادى» ما فعلت من أجل ابنتى «منية النفوس» .. وكيف اجتزت الجزر السبعة بحثًا عنها ، وكيف جابهت وحدك مدينة كاملة دفاعًا عنها ، ثم كيف نصركت إلهك يجند من عنده .. ولست أطمع لابنتى بزواج أحسن منك .. وعلى هذا فقد جئت أبارك زواجكما ..
فقال الملك «سيف» فى صوت حاد نافذ :

– فقط .. ١٩٠.

وعاد «قاسم العبوس» يقول :

– بل جئت أيضًا لأبارك زوال التفرقة بين المدينتين التى تمت على يدك ، فأنا منذ اليوم سأزيل الطلاسم التى تحجب مدينة الرجال ، وأنا منذ اليوم أعلن زوال الحجب التى كانت تمنع الحياة الطبيعية أن تأخذ مجراها ..

فابتسم الملك «سيف» وهو يترجل عن فرسه ويقول :

– إذن مرحبًا بك أيها الملك المؤمن ..

وترجل «قاسم العبوس» واندفع ناحية الملك «سيف» يتلقى يده المدودة ويشد عليها فى حرارة .. بينما ترجلت «منية النفوس» واندفعت إلى أيها .. وابتسم الملك «سيف» وهو يراها تندفع إلى صدر أيها ودموع الفرح تبلل وجهها ، بينما ضمها «قاسم العبوس» إلى صدره وهو يقول :

... عفواً يا «منية النفوس» .. لقد أزلت شجاعتك كل وهم في
نفسى ..

وقبل الأب ابنته في حنان ، بينما ترجلت «نور الهدى» واتجهت نحو
الملك «سيف» قائلة :

... هل نجحت في مهمتى أيها الملك ..؟.

وصافحها الملك «سيف» مبتسماً وهو يقول :

... إنه نجاح كبير أيتها الملكة ، وسأنجح مثله بإذن الله في مهمتى الخاصة
بك ..

وتصاعد الدم إلى وجنتيها وهى تقول فى صوت دبت فيه رنات الأثوثة
المكبوتة :

... لست أفهم أيها الملك ..

فابتسم الملك «سيف» وهو يقول :

... ولكننى أفهم ..

وجاءها صوت «مرجانة» التى ترجلت هى و «كوكب» وانضممتا
إليهم ، يقول :

... وأنا كذلك أفهم ..

وعاد الملك «سيف» يقول وهو يتأمل وجه «نور الهدى» المتضرج
بجمرة الحياء والحجل :

... إنه «قان شاه» يا «نور الهدى» .. ألم تتركى لى حق اختيار زوج
لك ، وقد اخترت ..

فأطرقت دون أن تتكلم ، بينما عاد هو يقول ..

... وأحسب أن اختيارى صادف هوى فى نفسك ..

وقالت على حياء :

- ولكنه هو ..

فضحك الملك «سيف» ضحكة عالية وهو يقول :

- لقد رأيت نظرتك إليك ، وأنا أعرف الحب حين أراه ..

وبينا كانت «نور الهدى» تطرق خجلاً ، ارتفعت ضحكة «قاسم

العبوس» وهو يتقدم نحوها ويضمها في حنان قائلاً :

- هذا إذن هو سر حاسك الشديد للملك «سيف» ..

ثم عاد يضحك من جديد وهو ينظر إلى «مرجانة» ويقول للملك

«سيف» :

أيها الملك إننى أريد أن أعلن بنفسى نهاية الحظر الذى وضعته على

الحياة هنا ، فأريد أن تزوجنى أنا أولاً بأخلص من عاشت فى مدينة

البنات ، الوزيرة «مرجانة» ..

وبدت علامات الدهشة على وجه الوزيرة الذى شحب ، ثم تدفقت

فيه الدماء فأحمرت وجنتاها .. ولكنها سرعان ما تماكنت نفسها وهى

تقول بحجية على نظرة الملك «سيف» المتسائلة :

- إن هذا شرف كبير أيها الملك ..

وابتسم الملك «سيف» وهو يقول :

- يبدو أننا سنبدأ الأفراح من الآن ، وستشهد هذه الأرض أعياداً

حقيقية زاخرة بالعواطف الإنسانية التى حرمت منها طويلاً ..

فقال «منية النفوس» وهى تقود أباه من ذراعه :

- ينبغى أن تبيح زواج أبناء المدينتين لئيم زفافك لـ «مرجانة» يا أبى

وسط أفراح الجميع ..

وقال الملك «سيف» وهو يسير إلى جوارهما :

- لتفتح المدينتان من الآن، وليعلن أن الجميع قد دخل دين الإيمان ..

وما أن وصل الجميع إلى المدينة حتى تعالت أصوات الفرحة في كل مكان ، فقد سبقتهم الأنباء الجديدة إليها .. واختلطت أصوات الفتيات الفرحة بأصوات صاحبة من الجيش المرابط عند باب المدينة .. جيش مدينة الرجال الذين استخفهم الفرحة فراحوا يرقصون ويصخبون حتى ضج الوادى بأصواتهم الهادرة ..

وقال الملك «سيف» لـ «قاسم العبوس» وهما يدخلان القصر :
... لست أظن هذه الجزيرة قد حظيت بمثل هذه الصورة من السعادة الحقيقية ..

فابتسم «قاسم العبوس» وهو يقول :
... إن في أصواتهم شيئًا نابغًا من القلب ما كنت أسمعه فيها من قبل ..

استمرت جزيرة البنات شهرا كاملا تنعم بأفراحها ، والمملك « سيف » سعيد بهذا النهر الدافق من الهناء الذى فجره فى الجزيرة القاحلة ، ولكنه قلق يزداد احساسه بالغربة ويزداد حنينه إلى العودة يوما بعد يوم ..

وكان « قاسم العبوس » قد تزوج « مرجانة » وسط مظاهر الفرح ومعالم البهجة أثر سماحه لرجال مدينته بالزواج من فتيات مدينة ابنته .. وأقبل كل الرجال ينتقون زوجاتهم من المدينة المزدانة بالزهور والأغضان ، المليئة دائما بالأغاني والأهازيج .. وكانت « منية النفوس » قد استردت صحتها وأنسبتها صحبة زوجها وابنها كل ما مر بها من آلام ومعن .. وكان « مصر » لا يفارق أباه لحظة واحدة فى ركوبه للصيد أو نزهته فى النهر الفاصل بين المدينتين والذى شيدت فوقه أكثر من عابرة من الخشب تصل ضفتيه ..

وكانت « مرجانة » تقوم بدورها كملكة على المدينتين خير قيام ، وقد ازداد حب الفتيات لها وطاعتهم لأوامرها واستجابتهم لنصائحها الحكيمة ..

وازداد احساس المملك « سيف » بأن وقت السفر قد دنا ، وأنه لا بد من ارتحاله إلى بلاده ، ولكنه لم يكن يريد أن يعكز صفو هذا الهناء الذى يراه حوله فى كل مكان بذكر الرحلة والفرقة .. ولم تكن « منية النفوس » مغمضة العينين بل كانت تراقب أحاسيس المملك « سيف » وتفهمها وتقدرها ، ولم تجد بدا وقد انقضى شهر كامل منذ بدأت أفراح المدينة من

أن تطرق هي الموضوع الذى يتحاشاه زوجها حفاظا على مشاعرها وخوفا
من ايلامها ، فقالت له ذات صباح وهما يجلسان فى بهو القصر الفسيح :
- لقد اشتقت أيها الملك إلى رؤية « شامة » و « طامة » و « الجييزة » كما
أننى أود لابنى أن يرى أخويه « نصر » و « دمر » ..
فنظر إليها الملك « سيف » لحظات ثم قال :

- إن حنينى إلى بلادى يزداد يوما بعد يوم يا « منية النفوس » ..
ولكننى كنت أحنئى إن فانتحك فى هذا الأمر أن تحسبى أننى أفضل سعادتى
على سعادتك ، وأنت هنا وسط أهلك فى أفراح لا تنقطع ..
فنهضت « منية النفوس » من مكانها وأقبلت على الملك « سيف » تنظر
فى وجهه وهى تبسم وتريح ذراعها على منكبيه ، وقالت :
- بل سعادتى معك أيها الملك ، وماكل هذه السعادة التى تنعم بها
أرضنا إلا بفضلك ، وان شئت بدأنا رحلتنا غدا ..

فرفع الملك « سيف » رأسه إليها وقال :
- ولن تهربى مرة أخرى بجدوك الحنين والشوق إلى هذه الأرض ..
فأطرقت « منية النفوس » وهى تقول :
- إن نفس الشوق ينتابنى الآن للأرض التى قضيت فيها أسعد أيامى إلى
جوارك ..

فوقف الملك « سيف » وعيناه تتألقان وقال :
- إذن سنبدأ رحلتنا غدا وستصبحنا « نور الهدى » لاننا سنمر فى
طريقنا بالملك « قان شاه » .

وكان صوت « منية النفوس » يتدفق حاسا وهى تقول :
- سنصحب معنا أيضا « كوكب » وفتياتها المخلصات ، ولن يكن عبثا
علينا فى الرحلة فإنهن يستطعن ارتداء الثياب الريش والتخليق بها فى

السماء في سرعة تقارب سرعة «عاقصة» و «عيروص» ..

وابتسم الملك «سيف» وهو يقول :

- لك ذلك .. وسأذهب الآن لأفتح الملك «قاسم العبوس» في أمر رحلتنا غدا ، ولتستعدى أنت وفتياتك لأننا سنغادر المدينة مع خيوط الفجر الأولى .

* * *

وحاول الملك «قاسم العبوس» أن يثنى الملك «سيف» عن عزمه على السفر ، ولكنه حين تأكد أن حديثه لن يغير ما استقر عليه عزم الملك ، قال :

- حسنا أيها الملك ، ولتسافر معك «مرجانة» زوجتي فهي شديدة التعلق بـ «منية النفوس» وابنها «مصر» وحتى ترى بلادكم وتتعرف على حياتكم ، ولتحسن أننا معك في حلك وترحالك ..
فقال الملك سيف :

- لتستعد «مرجانة» إذن فعند الفجر سنترك المدينة أنا وزوجتي وابني ومعنا «نور الهدى» و «كوكب» والفتيات الأخريات اللاتي تريد «منية النفوس» أن يكن معها ..

فقال الملك «قاسم العبوس» :

- ستكون خيولكم مهياً عند الصباح ، وأسأصحبكم حتى نهاية حدود أرضنا ..

ولم يتم أحد في هذه الليلة الحافلة ، فبينما كان المسافرون يتأهبون للرحلة ، كانت المدينة كلها تقبل لتودعهم معربة عن أسفها لفرارهم ، وعن شكرها للملك «سيف» الذي حقق لهم معجزة ما كانوا يظنون أنها تحدث في بلادهم ..

وعند الصباح ، خرجت المدينة كلها تودعهم حتى حافة النهر .. ثم بدأت كوكبة من الفرسان سيرها أمامهم وعلى رأسها « قاسم العبوس » حتى حدود أرضه ، وبعد أن ودع « قاسم العبوس » ابنتيه وزوجته عاد هو ورجاله بينما استمر الملك « سيف » وإلى جواره « منية النفوس » تحمل ابنا « مصر » فوق صهوة جوادها في سيره على رأس أربعين من الفتيات في مقدمتهن « نور الهدى » و « مرجانة » و « كوكب » ..

وعند الظهر كان التعب قد نال من المسافرين كما بدءوا يشعرون بالجوع .. فأمر الملك « سيف » بالتوقف ونصب الخيام للراحة ، ثم أخرج الفدح ووضع فوقه الفوطة وأمر بطعام للجميع ، وعندما رفع الملك « سيف » الفوطة كانت تحتها مائدة عامرة بأشهى المأكولات وبكميات وافرة تكفى الجميع .. ولم تحف « مرجانة » دهشتها وهي تأمر الفتيات بتناول الطعام فقالت :

- اننى على عجب من أمرك أيها الملك ، يأتي جيش مجهول لانقاذك ساعة أوشك الأعداء أن ينالوك ، وتأتى بالطعام فى غمضة عين وليس معنا شىء

فابتسم الملك « سيف » وهو يقول :

- انها ارادة الله يا « مرجانة » التى تيسر للمؤمنين كل سبيل وتنصرهم بعونها وفضلها ..

وقالت « نور الهدى » وهى تبدأ فى تناول الطعام :

- حقا أيها الملك أنك لمسعود ..

فعاد الملك « سيف » يقول :

- سترين فضل الله علينا حين نصل إلى حافة الجبل الذى يبدو هناك ، وأظن أننا سنبلغه قبل الليل .. فمن هناك سيحملنا « الخيرقان »

ملك الجان في هذه المنطقة إلى حيث تلقين زوجك ..

فضحكت « منية النفوس » وهي تقول :

- وبعد ستة يصبح لك ولد مثل « مصر » الذي أوشكت أن تفسديه

بتدليلك له ..

وأخرج الملك سيف لوح « الخيرقان » وقال :

- هذا هو لوح « الخيرقان » وحين أدلك سطحه هكذا يظهر في

الحال ..

وسرعان ما سمع الجميع صيحة هائلة ، إذ ذلك الملك « سيف اللوح وهو

يريه لمن ، وظهر « الخيرقان » فجأة وكأنما انشقت الأرض عنه وهو يصيح :

- لبيك أيها الملك المسعود ..

فهب الملك « سيف » من جلسته مندهشا ، وهو يقول :

- كيف استطعت المجيء إلى هنا ، ألم تخبرني أنك لا تقوى على دخول

هذه الجزيرة .

فقال « الخيرقان » :

- لقد فككت الارصاد عنها أيها الملك بفضلك فأصبحت قادرا على

دخولها ..

فقال الملك « سيف » :

- لقد وفرت علينا عناء الرحلة اليك عند حافة الجبل ، فعليك أن

تحملنا عبر هذه الجزر السبعة إلى كهف الشيخ أبو النور لأشكره وأرد له

ودائعه قبل بدء رحلتي إلى مدينة دوريز ..

فقال « الخيرقان » :

- لقد وعدتني أيها الملك أن تطلق سراحي وتعطيني لوحى ..

فقال « سيف بن ذى يزن » :

- أحملنا أولاً إلى الكهف ، وهناك أطلب ما تشاء ..
 فأجال « الخيرقان » بصره في المجموعة التي تجلس حول الطعام وقال :
 - أتريدنى أيها الملك أن أحمل كلن هؤلاء ..؟
 فضحك الملك « سيف » وهو يقول :
 - كلا أيها المارد أن لمن ثيابا من ريش يستطعن الطيران بها إلى
 جوارك ، فقط تحملنى أنا وزوجتى وابنى ، ولست أظن أننا حمل ثقيل
 عليك ..
 فقال « الخيرقان » وقد بدت على وجهه علامات الارتياح :
 - في هذه الحالة هيا بنا أيها الملك لأصل بكم إلى كهف الشيخ في
 أسرع وقت ..
 فعاد الملك « سيف » يضحك وهو يقول :
 - أنت تريدنا أن نسرع حتى تسترد حريتك وتطمئن ، ولكننا كما ترى
 نريد أن نأكل ونستريح أولاً لنقوى على هذه الرحلة الجديدة ..
 فأطرق المارد وهز كتفيه ، ثم قال وهو يبتعد :
 - أنا في الانتظار أيها الملك ..
 وقالت « مرجانة » مخاطبة الفتيات اللاتى توفقن عن الأكل وهن
 يحملقن في خلقة « الخيرقان » العجيبة :
 - هيا يا فتيات فليس لدينا وقت نضيعه ، وبعد الأكل تذهب كل
 واحدة إلى الخيمة لارتداء الثوب الريش ..
 والتفتت الفتيات إلى طعامهن يأكلن بسرعة وعيونهن لا تفارق
 « الخيرقان » .. وقالت « منية النفوس » للملك « سيف » :
 - لطالما شاهدت خادملك « عيروض » وأختك « عاقصة » فما كنت
 أحس في صحبتها نفورا ، أما هذا المارد فان شكله مخيف ..

فابتسم الملك « سيف » وهو يقول :
- لقد ألفت يا « منية النفوس » ، « عاقصة » و « عيروض » فلم يعد
شكلها ينفرك ، أما الخيرقان فهذه أول مرة تشاهدينه فيها .. أما أنا فقد
عشت معه من التجارب ما ألفت قلوبنا وربط بيننا بالصدقة الحقيقية ..
فعدت « منية النفوس » تسأل الملك « سيف » :
- ولكن لماذا لم تستعن بـ « عاقصة » و « عيروض » .. لست أظن
أنهما يمتنعان عن أداء كل ما تطلب منها ..
فقال الملك « سيف » :

ان « عاقصة » و « عيروض » لا يستطيعان دخول هذه الأرض ، فهي
محرمة عليها وقد أوصلاني حتى كهف الشيخ أبي النور ، وعندما نصل إلى
هناك سنلتقي بها وتنتهي مهمة « الخيرقان » الذي لا يستطيع هو أيضا أن
يتخطى حدود أرضه ..

فصاحت « منية النفوس » في فرح :
- إذن فسألتني بـ « عاقصة » عما قريب .. كم اشتقت لها ولحديثها
العذب ..

ثم أطرقت واجمة وهي تقول وكأنما تحدث نفسها :
- ولكن ترى كيف ستلقاني بعد كل ما حدث ..
فربت الملك « سيف » على كتفها وهو يقول :
- لا عليك أيتها الملك .. أن « عاقصة » تحبك وقد كادت تجن من
الجزن عندما علمت بنبا فرارك ، ولن يسعد أحد بعودتك قدر سعادتها
هي ..

وقبل أن تجيئه « منية النفوس » ارتفع صوت « مرجانة » قائلا :
- لقد انتهى الطعام أيها الملك ونحن على استعداد للرحيل ..

فنهض الملك « سيف » وهو يقول :

— اذن هيا بنا ..

وحين استدار الملك « سيف » وجد البنات قد قوضن الخيام التي
نصبت على عجل ، وارتدين ثيابهن الريش وعلى رأسهن « مرجانة » و
« نور الهدى » و « كوكب » فصاح بـ « الخيرقان » الذى تقدم نحوه مسرعا
وهو يقول :

— هل آن الأوان أيها الملك ..؟

فقال الملك « سيف » :

— هيا بنا أيها المارد ..

وبعد لحظات كان الجميع يشقون أجواز الفضاء : الملك « سيف » و
« منية النفوس » و « مصر » يحملهم « الخيرقان » وإلى جواره تطير أربعون
فتاة فى ثيابهن الريش .

* * *

وظل « الخيرقان » يطير بسرعة حتى بدأت أشعة الشمس فى المغيب ،

فقال للملك « سيف » :

— سأرتفع الآن أكثر من الارتفاع الذى نظير عليه حتى نتجنب الجزر

وأرصادها ..

فقال الملك « سيف » :

— ألم نصل بعد إلى أول الجزر ..؟

فقال « الخيرقان » وهو يزداد ارتفاعا والفتيات يتبعنه فى طيرانه

السريع :

— انظر تحتك أيها الملك وستعرف أين نحن ..

وحين تطلع الملك « سيف » إلى أسفل شاهد توهجا شديدا ينبعث من كرة ملتهبة بعيدة جدا ، وأدرك أن يطير فوق جزيرة الزمهير .. وكان الوهج المنبعث من الجزيرة المطلسة يشتد لمعانا كلما ازداد الظلام واشتدت حلوكته ، ولكن الوهج أخذ يبعد تدريجيا و« الخيرقان » ماض في طيرانه السريع .. وقال الملك « سيف » :

- كنت أود أن تستريح الفتيات قبل أن يواصلن طيرانهن طوال

الليل ..

فضحك « الخيرقان » وهو يقول :

- وأن تريدهم أن يستريحوا أيها الملك .. في جزيرة واق الواق ، أم في جزيرة الأزهار القاتلة ؟ .. لا مكان للراحة في هذه الرحلة ، فعليهن أن يتحملن المسافة الباقية والا فقد هلكت كل من تتخلف في الطريق .

فقالت « منية النفوس » :

- لقد تعودنا أيها الملك أن نواصل الليل بالنهار في طيراننا بالثياب الريش ، فلا نخش بأسا على الفتيات فهن قادرات على قطع الرحلة على خير حال .

وبكى « مصر » فالتفتت إليه « منية النفوس » تسكبه وتهدهده ، بينما سرحت عينا الملك « سيف » في الظلام المحيط به وهو يتذكر رحلة القدوم وما صادفه فيها من أهوال ومخاوف ، واستطاع أن يتبين وراءه وحوله أجساما دقيقة نظير بانتظام ودأب حول « الخيرقان » ووراءه ، وسكت « مصر » كما سكنت « منية النفوس » ولم يعكر صفو الكون الساكن حوله شئ ..

أحس الملك « سيف » بمركبة هبوط « الخيرقان » فاستيقظ وتلفت حوله ، وكانت أشعة الفجر الأولى تجاهد لترسل نورها الضئيل خلال

الظلام الكثيف المتراكم .. وهمس الملك « سيف » وعيناه تحاولان تبين الأجساد الدقيقة التي تتبعهم طائرة :

- هل وصلنا أيها المارد « الخيرقان » ؟ ..

فأجابه المارد وهو يواصل الهبوط :

- نعم أيها الملك ، ولن تمضى لحظات إلا وتصيح أمام كهف الشيخ أبي النور ، وسترى من هناك منزله الأبيض وتستطيع أن تصله سيرا على الاقدام في زمن وجيز ..

والفتى الملك « سيف » يوقظ « منية النفوس » التي ما كادت تستيقظ حتى كان المارد « الخيرقان » قد نزل بهم إلى الأرض في رفق وهو يقول :

- حمدا لله على سلامتك أيها الملك ..

وفي غبش الصباح الباكر استطاع الملك « سيف » أن يتبين الفتيات وهن ينزلن واحدة أثر واحدة ، ومضى يحصيهن حتى اطمأن على وصولهن جميعا سالمات .. واقتربت منه « مرجانة » وهى تقول :

- لن نستطيع أن نتحرك من هنا أيها الملك قبل أن ننال قسطا من النوم والراحة ..

فقال الملك :

- لتنصب الخيام في الحال ، وأما مكن ساعات ترحن فيها أجسادكن المتعبة كى نستمر في الرحلة ..

وانصرفت « مرجانة » لتصدر أوامرها إلى الفتيات بنصب الخيام التي مرعان ما قامت في نفس المكان الذى نزلن فيه ، وخفتت أصواتهن تدريجيا وهن يستسلمن للنوم والراحة .. بينما توجهت « منية النفوس » ومعها أبنها إلى خيمتها ، ووقف الملك « سيف » وحده يشهد طلوع الفجر وسط الصحراء الممتدة الخالية ، ولكنه لمح عن بعد ذلك الجبل الذى

ودعه عنده الشيخ أبو النور وأدرك أن وراءه تماما يقع منزله الأبيض الجميل ، وجاءه صوت « الخيرقان » يقول :
- هذا هو الجبل الذى نسميه كهف الشيخ أبو النور ، ووراءه يقع منزله ..

وسكت « الخيرقان » فأخذ الملك « سيف » يطيل النظر إلى وجهه ، ثم أطلق ضحكة قصيرة وهو يقول :

- هذا لوحك أيها المارد وأنت الآن حر طليق ..
وتناول « الخيرقان » لوحه فى لطفة ثم انحنى على يد الملك « سيف » يقبلها وهو يصيح :

- حر .. أنا حر .. أخيرا وبعد كل هذه السنين لم أعد عبدا لأحد .. !
فقال الملك « سيف » وقد أطربه فرح « الخيرقان » الصياني :
- لقد نلت حريتك أيها المارد بمجدارة ، وان كنت قد أرهقتك وضايقتك فعذرى أننى كنت محتاجا إلى خدماتك ..

واكتسى وجه « الخيرقان » بطابع الجد وهو يقول :
- لقد عشت معك أيها الملك أياما لا تنسى .. ولولا أن الحرية مطلب مقدس لما غادرته أبدا ، ولكنى لن أنسى ما شاهدناه معا وما قاسيناه معا ما حيينت ..

وفى صمت مد كفه الكبيره يصافح يد الملك « سيف » وهمس :
- فى رعاية الله أيها الملك ووداعا ..
وسرعان ما اختفى « الخيرقان » تاركا الملك « سيف » ينظر حيث كان يقف ، وفى رأسه تدور دوامة من الأفكار والذكريات والصور ..

ظل الملك « سيف » واقفا يتأمل المنظر البديع الذى يطالعه وجحافل
الظلام تتراجع مسرعة تاركة مكانها لرسل النور والضياء تغمر الكون
وتبعث فيه الحياة والبهجة ، وبصره عالق بالجبل من بعيد حتى سمع وراءه
صوتا حبيبا يقول :

- حمدا لله على سلامتك يا أخى ..

وحين التفت الملك « سيف » وراءه رأى « عاقصة » ووراءها
« عيروض » ينظران إليه وفى عيونها الفرح والترحيب .. واندفع الملك
« سيف » نحو « عاقصة » ليصافحها فى حرارة وشوق ، ثم تقدم إلى
« عيروض » يضم يده الممدودة بين يديه وهو يقول :

- الآن فقط زایلنى احساس الغربة الذى لم يفارقنى منذ تركتكما ..

والآن فقط أحس بالأمان ...

وصمت لحظة وهو يتطلع اليها ثم قال :

- ولكن ألم أترككما هناك بعيدا عن بيت الشيخ أبى النور ، ماذا

جاء بكما إلى هنا ؟

فقال « عاقصة » :

- لقد قلقتنا عليك اذ طال غيابك فذهبنا إلى الشيخ أبى النور نسأله

عنك وعن أخبارك ، وقد قال لنا أنك قادم مع أشعة الفجر الأولى ،

فأسرعنا نحوك لترك هكذا واقفا تتأمل شروق الشمس ، وكأنه ليس هناك
ما يشغل بالك ..

وبعها « عيروض » قائلا وهو يضحك :

- يبدو أن الملك ، وقد أحضر زوجته وابنه ، نسي الكون كله ..

فقال « عاقصة » وهي تشير إلى الخيام :

- هل « منية النفوس » و « مصر » هنا ..

وأجابه الملك « سيف » :

- نعم أنها هنا .. ومعها زوجة « قاسم العبوس » وأخت « منية

النفوس » ..

ثم مضى الملك « سيف » يحكى لها كل ما حدث له من أحداث منذ
اللحظة التي غادرها فيها حتى التقى بها ثانية ، وقالت « عاقصة » وهي
تنظر إليه في أشفاق :

- حقا يا أخي لقد قاسيت الكثير ، ولكن « منية النفوس » جديدة

بكل هذا وأكثر ..

وقال « عيروض » :

- على أية حال أن رحلة العودة لن تكون بهذه المشقة ، فما علينا إلا

أن نتقاسم أنا و « عاقصة » حملكم جميعا من هنا حتى حمراء اليمن ..

ولن تشعروا للرحلة بتعب أو مشقة .

فقاطعة الملك « سيف » قائلا :

- هناك شيئا لا بد من عملها قبل العودة .. أما أول الأشياء فهو

زيارة الشيخ أبي النور لأشكره على معونته ولاعيد له ذخائره التي أعانتني

في الوصول إلى « منية النفوس » وهي القدح ، والزمردة ، والملابس

النسائية ..

فقال « عيروض » :

- هذا أمر سهل .. فالشيخ أبو النور في انتظارك في منزله وراء
الجليل ، ونستطيع أن نصل بكم جميعا إليه في لحظات ..
فقاطعه الملك « سيف » قائلا :

- أما الأمر الثانى فهو زيارة الملك « قان شاه » ملك دوريز الأشكره
على نجدتى فى القتال لحظة أن فقدت كل أمل أو لأسلمه زوجته التى اخترتها
له والتى أحس أنه يجبها ويتمناها : « نور الهدى » أخت « منية
النفوس » ..

فقال « عاقصة » :

- سيعيق هذا رحلتنا قليلا ولكن لا بأس ..
ثم التفتت حولها ، وعادت تقول :

- هل سيظلون فى نومهم إلى المساء ؟..

فقال لها الملك « سيف » :

- سأوقظهم لنذهب إلى الشيخ أبى النور ، وهناك تستطيع الفتيات أن
تكملى نومهن قبل سفرنا إلى مدينة دوريز ..
وقبل أن يتحرك الملك « سيف » من مكانه جاءهم صوت « منية
النفوس » قائلا :

- لقد استيقظنا أيها الملك ، ونحن على استعداد للرحيل فورا ، فقط
أريد أن أحيى « عاقصة » التى أشتقت إليها ..

واندفعت « عاقصة » نحوها فى فرح ظاهر وهى تصيح :

- حمدا لله على سلامتك أيتها الملكة .. لقد ملات نربنا بالخوف ،
وكم كنت أخشى أن لا أراك ثانية .. ولكن ها نحن نلتقى ثانية وقد زال
كل حزن وغم .. أين « مصر » .. ؟

فابتمت « منية النفوس » وهى تصافحها وتقول :
- إن حرارة لقاتك يا « عاقصة » تنسينى كل مخاوفي .. أما « مصر »
فسأحضره لك لتشاهديه قبل سفرنا ..

وبينا كانت « منية النفوس » تحضر الأمير « مصر » من الخيمة ، كانت
الحركة قد دبّت في المكان كله فقد استيقظت الفتيات ورحن يقوضن
الخيام في ترتيب ونظام ، ثم يرتدين الثياب الريش ويقفن على استعداد ..
وتلقت « عاقصة » الأمير « مصر » وراحت تنظر إليه في شغف
وحنان ، ثم قبلته وهى تقول :

- لقد قاسى هذا الطفل الأمرين منذ حادثته ، وسيعوده هذا الصبر
على كل الحزن والارزاء .. فلن يلقى في حياته ما هو أقسى مما لقى حتى
الآن ..

واقبلت « مرجانة » وهى تقول :
- نحن على استعداد أيها الملك ..
فقال الملك « سيف » :

- ستحمل « عاقصة » « منية النفوس » وابنها ، ويحملنى « عيروض »
وتطيرون وراءنا إلى منزل الشيخ أبى النور ، وهو كما فهمت من « عاقصة »
قريب ..

فقال « عاقصة » وهى تحمل « منية النفوس » و « مصر » :
- إنها لحظات تعبر خلالها الجبل لتصبح عنده ..
واندفعت « عاقصة » إلى الجو بحملها ، فتبعها الفتيات بينما تقدم
« عيروض » من الملك « سيف » يحمله ويطير به أثرهم ..

* * *

وكان الشيخ أبو النور في انتظارهم .. لما أن هبطوا أمام الكوخ الأبيض حتى رأوه يخرج من بابه وهو يشير إليهم مسلماً ويقول :
- أهلاً بالملك «سيف بن ذى يزن» أهلاً بالملكة «منية النفوس» .. أهلاً بكم جميعاً ..

ثم أشار إلى الداخل وهو يقول :
- لقد أعددت لكم فراشا دافئا وطعاما وفيرا وماء زلالا ، فهيا ادخلوا جميعاً ..

ودخل الجميع ما عدا «عاقصة» و «عبروض» اللذين انتظرا في الخارج ، وما أن دخلوا إلى المنزل حتى راعهم أن يجدوا فرشاً من الديقاج بعددهم جميعاً . وعلى كل فرش معد عقد من اللؤلؤ ، فصاحت «نور الهدى» مذهولة :

- ما هذا أيها الشيخ الطيب ، أن هذه ثروة تعادل مملكة كاملة .. فقال الشيخ «أبو النور» وهو يتبسم :
- هذه هديتي إلى من عرف الدين الحق .. والآن إلى الطعام .. وصفق الشيخ «أبو النور» بيديه فظهرت في الحال مائدة ضخمة أمام الفتيات مليئة بكل ما يشتهين من طعام وشراب .. وبين الدهشة وضحكات البهجة انقضت الفتيات الجائعات على الطعام الشهى ، بينما انفرد الشيخ «أبو النور» بالملك «سيف» وقال له :

- لتحمل «عاقصة» و «عبروض» الملكة «منية النفوس» والملك «مصر» إلى مدينة دوريز ، ولتصحبهم الفتيات طائرات ، أما أنت فستسير معي لأن لي معك حديثاً أحب أن أنهيه قبل أن أتركك ..

ونظر إليه الملك «سيف» في دهشة وقال :

- إذا كانت المسافة قريبة فلماذا مشقة الطيران ، والسير فوق الارض
اسهل وآمن ..

فضحك الشيخ « أبو النور » وربت على كتف الملك « سيف » وقال :
- لو ساروا يا بنى فلن يصلوا قبل أعوام وأعوام ..
فازدادت دهشة الملك « سيف » ، وقال مترددا :
- ولكن ، لقد قلت ..

فقاطعه الشيخ « أبو النور » وهو ما يزال يضحك ويربت على كتفه ،
قائلا :

- يا بنى أن لهم أجنحة يطرون بها .. أما نحن فان ذكر الله هو جناحنا
الذى يطوى لنا المسافات ..

وسكت الملك ولم يجب ، بينما تقدم « عيروض » منها قائلا :
- لقد انتهى الجميع من تناول الطعام وحان موعد الرحيل ، وبيننا
وبين بلاد دوريز مسافات شاسعة فيحسن أن نبدأ رحلتنا الآن ..
وتأكد لدى الملك « سيف » صحة ما قاله الشيخ أبو النور الذى كان
ينظر إليه ويتسمم ..

فقال لـ « عيروض » :

- لتحمل أنت « مصر » ، ولتحمل « عاقصة » « منية النفوس » . على
أن تطير باقى البنات معكم ..

وقال « عيروض » :

- وأنت ، هل نعود لاختلك ..!

فهز الملك « سيف » كتفيه فى استسلام ، وهو يقول :

- كلا ، أنى سأسير مع الشيخ « أبو النور » ..

وفتح « عيروض » فمه فى دهشة ، وجال بعينه بينهما .. ثم أطبق فمه

وسار دون أن يعقب بكلمة ، وضحك الملك « سيف » رغم ما كان يملأ نفسه من قلق .. وازداد قلقه وهو يشهد الجميع يستعدون للرحلة ، وكاد ينادى على « عيروض » ليأمره باصطحابه أكثر من مرة ، ولكنه كان في كل مرة ينظر إلى الشيخ « أبي النور » فيتخاذل ، ويمسك لسانه في صعوبة حتى لا يحس الشيخ « أبو النور » بما يملأ قلبه من قلق .. وسرعان ما ارتفعت عاقصة في الجو تحمل « منية النفوس » ووراءها « عيروض » يحمل « مصر » .. بينما ارتفعت خلفهم الفتيات في شبه دائرة .. وظل الملك « سيف » يرقبهم وهم يرتفعون ويرتفعون ، حتى غدوا كالغمامة في كبد السماء تدفعها رياح سريعة إلى أمام ثم غابوا عن نظره ..

* * *

قال الشيخ « أبو النور » للملك « سيف » :
 - أنت تكثر من التهنيد أيها الملك ، فهل أنت نادم على مفارقة أحبائك ١٩٠٠
 وأخرجت هذه الكلمات الملك « سيف » من وجوه الطويل ، فعاد بنظره إلى الأرض وهو يقول :
 - أبدا أيها الشيخ ، ولكنني فقط كنت أعجب من قدرة الخالق سبحانه وتعالى أن منحك وأنت الإنسان على قدر اجتهاده قدرة تساوى قدرة الجان .

فضحك الشيخ « أبو النور » وهو يقول :
 إن الله يا بنى يعطى الانسان على قدر اجتهاده وسعيه وأنا قضيت عمري أجتهد وأسعى .
 فقال الملك « سيف » :

- وأنا ألت أست أجتهد وأسعى ..

فقال الشيخ « أبو النور » وهو يمد له يده :

- ولقد أعطاك الله الكثير .. هات يدك في يدي .. ألم يسخر لك

أعوانا من الجن تحملك فوق طبقات السحاب .. ١٩

ومد الملك « سيف » يده بمسك اليد الممدودة إليه في صمت ، بينما

تابع الشيخ « أبو النور » حديثه قائلا :

سنسير إلى الامام دائما وأيدينا متشابكة ولن ننظر خلفنا أبدا ، والآن

أذكر اسم الله ولنتوكل على بركته ..

وردد الملك « سيف » اسم الله في قلبه ، بينما تحرك إلى الامام ويده في

يد الشيخ « أبي النور » الذي عاد يقول في صوت هادئ عميق :

- كما وضعنى في طريقك لأفودك وأعينك وأيسر لك مالا تقدر

عليه .. وكان الله سبحانه يستطيع أن يمنحك أنت القدرة على كل هذه

الخوارق التي لا يستطيعها الإنسان العادى فتستريح في سعيك ، ولكن

ماذا كان سيكون فضلك أنت الإنسان في هذا ١٩

ولم يكن الملك « سيف » يرى أمامه سوى خيط أبيض يجرى كأنها يهرب

منه ، بينما ازداد صوت الشيخ « أبي النور » عمقا وشفاء وقوة وهو يقول :

- إن انتصارك على الشر يابى انما هو انتصار الإنسان بما فيه من

صلابة وقوة ، وبما فيه من قدرة على التصميم والارادة ..

ولم يكن حول الملك « سيف » الا الصوت .. الصوت وحده يحوطه

ويعزله عن العالم كله ، قدماه تتحركان وكأنما في هواء ، ويده تمسك يد

الشيخ وكأنما تقبض على هواء ، وعيناه لا تريان إلا الخيط الأبيض وهو

ينسحب أمامها كأنما يطير في الهواء ، والصوت العميق القوى يأتيه من كل

مكان كأنما ينبعث من السماء أو يخرج من باطن الأرض أو يأتيه مع

نسبات الهواء ..

- وحين ينهزم الشر على يدك انما ينهزم أمام قوى الإنسان الذى يستمد من ضعفه قوة ، ومن عجزه مقدرة ، ومن ايمانه سلاحا يطوى له الزمان والمكان ، ويخوض به البحر ويقتحم السماء ..
وسكت الصوت لحظات ، ثم عاد رقيقا هذه المرة ، هادئا وكأنما يعود إلى الأرض من جديد :

- لقد كان من الممكن أن تنتصر فى مدينة البنات بنفس القوة الخارقة التى قادت «قان شاه» وجنوده إلى أبواب المدينة ، ولكن ماذا كانت تكون قيمة انتصاراتك وقتها . . كان لابد أن يكون الإنسان هو الذى ينصرك ، فشاركك جنود «قان شاه» معركتك ليتم النصر على يدك ويده . . وبدأت تلوح أمام الملك «سيف» جبال بعيدة وأشجار عالية ، بينما اختفى الخط الأبيض الذى كان يجرى وراءه . . وبدأ يحس بثقل يد الشيخ «أبى النور» فى يده ، ويوقع أقدامه فوق الأرض الصلبة من تحته . . وعاد الشيخ «أبو النور» يقول وصوته يأتى من يمين الملك «سيف» حيث يسير :
- وصديقك «قان شاه» الآن فى عسر وضيق ، فهو يحارب من أجل ايمانه ودينه وهو منصور باذن الله على يدك ، وكما نصرنا تنصره ..
ثم وقف الشيخ «أبو النور» فوق الملك «سيف» لوقوفه .. وحين التفت رآه يتسم فى وجهه وهو يقول :

- هاقد وصلنا يابنى .. انظر ..
ونظر الملك «سيف» حيث أشار الشيخ «أبو النور» .. وأمامه من بعيد فى الوادى الفسيح كانت تدور معركة رهبة دامية يشترك فيها جيشان كبيران يجازبان فى وحشية وقسوة ، وكان أحد الجيشين يتراجع فى بطاء أمام الهجمات الخيفة المتتالية للجيش الآخر الأكثر عددا وأضخم حجما ..
وقال الشيخ «أبو النور» :

– هذا صديقك « قان شاه » يكاد ينهزم أمام عدوه ، وقد حان وقت وفاء الدين ..

والتفت إليه الملك « سيف » قائلاً :

– أن جيشه يتراجع ..

فقال الشيخ « أبو النور » :

– أن عدوه قوى جبار ..

ثم مد الشيخ « أبو النور » يده نحو الملك « سيف » وهو يقول :
والآن أستودعك الله يا بنى .. لقد انتهى لقائى معك ، وقت بدورى
المرسوم فى خدمتك فوادعا ..

فمد الملك « سيف » يده يصافح اليد الممدودة نحوه وهو يقول :

– لست أجد كلمات تفيك حقلك من العرفان والشكر ..

فقال الشيخ « أبو النور » وهو يهز يده فى حب وحنان :

ضع كلماتى التى قلبتها لك فى قلبك ولا تنسها ..

وتحرك الشيخ « أبو النور » إلى اليمين حيث كان يقوم جبل عال ، وظل يسير والملك « سيف » يتبعه بنظره إلى أن رآه يدخل غائراً وسط الجبل حيث اختفى .. وتهد الملك « سيف » وهو يحول بصره إلى الوادى الذى يموج تحته بتلك المعركة الدامية المخيفة ، ثم بدأ يسير مسرعاً متجهاً إليه وقد بدأت اللهفة تملأ قلبه ، والقلق يغزو نفسه خوفاً على صديقه « قان شاه » وأختر كلمات الشيخ « أبو النور » تدوى فى أذنيه :

– لو وقف الانسان إلى جوار الخير ، فإن كل قوى الخير تقف إلى جانبه .. وحتى لو هزم فإن الهزيمة لا تدوم ، لأنه مكتوب منذ الأزل أن ينتصر الخير على الشر فى نهاية كل معركة .. !

ما كاد الملك « سيف » يسير خطوات في الطريق حتى سمع ضجعة عظيمة يعرفها حق المعرفة ، ثم ظهر « عيروض » أمامه وهو يقول :
حمدا لله على سلامتك أيها الملك ..

فوقف الملك « سيف » وقد تراقصت على شفقيه ابتسامة ، ثم قال مخفيا أحساسه الغامر بالاطمئنان والتقدير :

- أين الآخرون يا « عيروض » ..؟

فقال « عيروض » وهو يشير بيده إلى الجبل الذي اختفى الشيخ « أبو النور » في إحدى مغاراته :

- فوق هذا الجبل ومعهم « عاقصة » وهم جميعا بخير ..

فقال له الملك « سيف » :

- إن « قان شاه » مهزوم في حربه مع الكفار ، فأسرع إلى « عاقصة » وأحضرها هنا ، كما تحضر لي جوادا قويا من الجياد التي مات عنها فرسانها في المعركة وأسرع فلست أظن أن « قان شاه » قادر على الصمود أكثر من هذا ..

وما كاد الملك « سيف » يتم حديثه حتى اختفى « عيروض » من أمامه بينما مضى الملك « سيف » يراقب سير المعركة التي تدور في الوادي أمامه وقد ملاءه القلق والرغبة في المشاركة في القتال ، وكان من الواضح أن

الجيش الذى يهاجم « قان شاه » قوى جبار ، كما أن نتيجة المعركة لو استمر الحال هكذا كانت معروفة وواضحة ..

وقبل أن يسترسل الملك « سيف » فى مخاوفه وأفكاره سمع صوت « عيروض » .. وسرعان ما رآه أمامه يقود جوادا ضخما أصيلا بينما تسير وراءه « عاقصة » .. وتقدم الملك « سيف » يفحص الجواد ثم قفز على ظهره ، ودار به دورات ، ثم اندفع إلى الأمام وهو يشهر سيفه ويصيح بـ « عاقصة » و « عيروض » :

– اختفيا عن الأنظار وكونا ورائى « عاقصة » عن اليمين ، و « عيروض » عن اليسار ، ولا تبقيا منهم فارسا على جواد ..

واستمر الملك « سيف » فى اندفاعه دون أن ينتظر منها جوابا ، فقد كان يعرف أنها فيها ما طلبه منها ، كما كان يعرف قدرتها على تنفيذ أوامره .. وحين وجد الملك « سيف » نفسه فى الوادى وسط القتال الدائر .. صاح وهو يدور بفرسه :

– جيتك يا « قان شاه » ..

ثم لكر جواده وهو يلوح بسيفه فى الهواء فى عنف ويعود به فى قوة ليطيح برأس أقرب الأعداء إليه .. وارتفعت الصيحات من كل مكان ، بينما كان « سيف » يشق الطريق وسط الأعداء شقا وضرباته تنزل كالصواعق فوق الرؤوس ، بينما كان « عيروض » عن يساره يحمل الفارس بفرسه ويقذف به زميله فيدك الاثنين معا ، و « عاقصة » عن يمينه تنفخ شرار النار قتلها عيون الجياد التى تقذف من عليها وتولى هاربة فى رعب .. ولم يطل أمد المعركة اذ سرعان ما اندفع المهاجمون ينسحبون وصيحات الفزع تتعالى من كل مكان والموت يلاحقهم أينما توجهوا .. وما هى إلا لحظات حتى خلا الميدان من المهاجمين الذين ولوا الأدبار تاركين

الاسلاب والعدد والحيايد الشاردة وأجساد القتلى تغطي الوادى الفسيح ..
وأقبل الملك « قان شاه » مسرعا على جواده وهو يصيح فى دهشة
وفرخ :

- مرحبا بك أيها الملك .. لقد أنقذت حياتى وحياة أهل مدينة دوريز
كلهم .

فقال له الملك « سيف » وهو يضافحه :

- لقد سبق لهم أن أنقذوا حياتى أيها الملك ..

فقال « قان شاه » :

- ولكنى لم أشهد حربا كهذه من قبل ، أنك كنت وحدك ومع
هذا ...

ثم أشار بيده إلى الوادى الدامى أمامه وسكت .. فقال الملك
« سيف » وهو يتسّم :

- وهذا من فعل نخادمى « عيروض » وأختى « عاقصة » ..

وأشار بيده فظهر الاثنان أمام « قان شاه » الذى مضى يحدق فيها
ذاهلا ، بينما قال الملك « سيف » :

- لقد كنت على وشك الانهزام ، وكان لابد لنا من عمل سريع
حاسم لنضع حدا للنهاية التى أصبحت وشيكة والتى لاحظتها من هناك ، من
عند الجبل وأنا أقرب سير المعركة ، وعلى هذا فقد استعنت بها لنهزم
أعداءك ..

فقال الملك « قان شاه » :

- مرحبا بكم جميعا .. إلى مدينة دوريز ..

فقاطعه الملك « سيف » وهو يقول :

- ليذهب « عيروض » أولا ليرى ماذا سيحل بهذا الجيش المنهزم ..

أما «عاقصة» فلتنذهب لاحتضار «منية النفوس» وابنها والآخرات ..
ولتعد أيها الملك ترتيب جيشك فقد يلم عدوك شعثه ويعاود الهجوم
عليك ..

وانصرف «عبروض» مسرعا لينفذ أمر الملك ، بينما قالت
«عاقصة» :

- هل أحضرهم إلى هنا أم إلى داخل المدينة ؟..

فأسرع «قان شاه» يقول :

- بل في قصرى ، أنه منذ اليوم ملككم إلى أن تشاءوا الرحيل ..

فقال الملك «سيف» وهو يتسم :

- طبعاً إلى القصر يا «عاقصة» فإن فيمن جئن مع «منية النفوس»

واجدة ستظل فيه إلى الأبد ..

ولم يتالك «قان شاه» نفسه من أن يصبح في لهفة :

- أتعنى ..

ثم سكت وقد تضرجت وجنتاه حتى غدتا بلون الدم .. وتعال

ضحكات الملك «سيف» وهو يقول لـ «عاقصة» :

- هيا ولا تضيعي وقتنا فان بعض الناس لا تقتلهم الحروب الدامية

وإنما يقتلهم الانتظار ..!

وبينا أسرعت «عاقصة» تطير مخفية عن أعينها ، كان الملك

«سيف» يربت على كتف «قان شاه» وهو يضحك قائلاً :

- والآن أيها الملك ، لتنظر في أمر عسكري حتى نعود إلى المدينة

مسرعين ..

ولم يكن الأمر سهلاً ، فقد كان الجرحى في جند «قان شاه»

كثيرين ، كما كان الاعياء قد أخذ مأخذه من الجند الباقين ، وكانت

الخيال المذعورة تجرى في كل مكان من الوادى مثيرة الذعر والقلق ، ولكن الملك «قان شاه» استطاع آخر الأمر بمعونة «سيف بن ذى يزن» وحفنة من رجاله أن يعيدوا الجرحى إلى داخل المدينة في نظام ، وأن ينظموا مجموعات الحراسة ممن هم أقل إعياء من غيرهم ، وأن يتعقبوا الخيل الشاردة لاعادتها إلى المدينة .. وحين انتهى «قان شاه» من هذا كله صحب ضيفه إلى داخل المدينة وهو يشرح له سر هذه المعركة التى شهد آخرها قائلاً :
 - لقد ظلمت فترة بعد عودتى من مدينة البنات أعيش في أمان أنا وأهل المدينة ، ليس لنا من هم إلا اتقان العبادة وتنقية النفوس وإحلال السلام والأمن بيننا .. وكنا نكتم أمرنا فلا نخبر به أحداً خوفاً من مكر «الشعشان» وغضب «عبد نار» الذى يحكم مدينة الزهور ولا يخرج عن طاعة الكاهن الملعون فى كل ما يأمره به .. إلى أن اقبلت علينا قافلة من التجار ظلت بين ظهرانينا أمداً ، وعندما رحلت كانت قد اكتشفت سرنا .. وسرعان ما كان «الشعشان» قد علم بالأمر فأرسل إلى «عبد نار» يأمره بمهاجمتنا واعادتنا قسراً إلى عبادة النار .. وقد بدأ «عبد نار» بأن أرسل إلى الرسل يسأل عن حقيقة ما بلغه من تركنا عبادة النار ، فلم أجد بداً من أخباره بأمر هدايتنا ، كما أرسلت له مع الرسل دعوة إلى الإيمان بالله وترك عبادة ما لا ينفع ولا يفيد .. ولكنه أعاد إلى رأس الرسول مقطوعاً ومعه وعيد رهيب ..

فقال الملك «سيف» :

- لقد لقي الآن جزاء تجبره وعدوانه ..

فقال «قان شاه» وهما يدخلان من باب المدينة :

- إن أحداً لم يره بعد أن صحت صيحتك أيها الملك ، فعسى أن يكون قد

قتل وكفانا شره .. !

فقال «عبروض» وهو يظهر أمامها فجأة :
- بل لقد قتل أيها الملك وتشتت جيشه .. ومن سولت له نفسه
الوقوف للم شعث المنهزمين ألحقته به إلى النار التي يعبدها فصاح «قان
شاه» في فرح :
- لقد أزحت عن قلبي همًا كبيرًا أيها المارد ، فيكفي أن يتفرغ الإنسان
لعدو واحد .

فقال الملك «سيف» :
- هل تتوقع عدوانًا جديدًا من أحد أيها الملك ..؟
فقال «قان شاه» وهو يدلّه على الطريق إلى القصر :
- هناك «الشعشان» وقد حدثك عنه بما فيه الكفاية ، وليس «عبد
نار» إلا واحدًا من رجاله ..
فقال الملك «سيف» وهو يتجه بجواده نحو القصر الذي ظهر في نهاية
الطريق ..

- سينصرك الله عليه كما نصرك على صنيعته ، ولن أبرح مدينتك حتى
أطهر الأرض حولك من كل أعدائك ..
وقال «قان شاه» :

- إنني فعلاً أحتاج إلى معونتك أيها الملك ، فإن «الشعشان»
لا يبارى في السحر والكهانة ، وأنا لست من رجاله .. وليس عندي من
يستطيع أن يقف أمامه في حرب أو قتال فهو يستخدم الجان ويسخرهم في
خدمته ، كما أنه تفوق على كل من عاش في أرضنا من السحرة حتى أقروا
له بالزعامة والرياسة ..

فابتسم الملك «سيف» وهو يقول :
- أما عن فروسيته .. فعندنا من «سعدون» و «دمهور الوحش» و

«ميمون المهجم» و «سابك الثلاث» من يستطيع وضع أنفه في الرغام ..
وأما عن سحره وكهاتته فإن في صفوفنا الحكيمة «عاقلة» و «برنوخ»
الساحر و «أخميم» الطالب ، ولست أحسبه كفواً لواحد منهم ..

فقال «قان شاه» ونبرات الأمل تملأ صوته :

- أهم معك هنا أيها الملك ؟..

فضحك الملك «سيف» وهو يقول :

- بل هم في حمراء اليمن ..

وامتلاً صوت «قان شاه» بنجية الأمل وهو يقول :

- حمراء اليمن .. وأين نحن منها ؟..

فقال الملك «سيف» :

- إن «عبروض» و «عاقصة» يستطيعان أن يحملهم إلينا كما حملاني

إلى هنا ..

فقال «عبروض» :

- نحن وحدنا لا نكفي ، ولكنني أستطيع الاستعانة بمن هم تحت

أمرتي من الجان ، كما أن «عاقصة» تستطيع أن تطلب من أبيها أن يدها

بمن تشاء منهم ..

وعادت الابتسامة إلى وجه «قان شاه» وهو يقول :

- حقاً أيها الملك .. لقد بعثك الله إلى ليثبت الإيمان في قلوب أهل

دوريز ..

وكانوا قد وصلوا إلى باب القصر فترجل «قان شاه» والملك «سيف»

الذي قال :

- لترك الآن أحاديث الحروب لنبدأ في حديث القلوب ، فأظن «نور

الهدى» قد وصلت مع «منية النفوس» إلى داخل القصر ..

فابتسم «قان شاه» مخفياً ارتبائه وهو يصيح في حارس القصر أن يدلّه على مكان الضيوف الذين جاءوا إلى القصر ، ووقف الحارس ذاهلاً وهو يقول :

- ولكن أحداً لم يحضر أيها الملك ..

- وصاح الملك «سيف» في قلق :

- ماذا تقول ؟ ..

وحين كرر الحارس ما سبق أن قاله ، انتاب الملك «سيف» قلق داهم

فصاح بـ «عبروض» :

- اذهب إليهم حيث تركتهم فوق الجبل واعد في الحال لتخبرني لماذا لم

تعد «عاقصة» بهم ..

وقاد الملك «قان شاه» الملك «سيف» إلى داخل القصر ، وهو يحاول

أن يهدأ من روعه وأن كان هو لا يقل قلقاً وانزعاجاً عنه .. إلا أن

انتظارهما لم يطل ، إذ لم يمض وقت طويل حتى كان «عبروض» يعود

ومعه «عاقصة» التي وقفت مطأطأة الرأس والملك «سيف» يصيح بها :

- أين «منية النفوس» يا «عاقصة» .. أين «مصر» أين الجميع ؟ ..

فقالت «عاقصة» في صوت متخاذل :

- لست أدري أيها الملك ، لقد ذهبت لأحضرهم كما طلبت مني

ولكني لم أجدهم حيث تركتهم ، فأخذت أبحث عنهم في كل مكان دون

جدوى ، ولم أكن أدري كيف أعود لأخبرك ، إلى أن حضر

«عبروض» ..

فقال الملك «سيف» في غضب :

- إلى يجوادي ..

فقال «قان شاه» وهو يسرع خلف «سيف» بن ذى وزن» الذي كان

يتجه إلى خارج القصر في سرعة :

- إلى أين أيها الملك ..؟.

وقفز الملك «سيف» إلى جواده وهو يقول :

- سأذهب لأبحث عنهم بنفسى ..

ثم صاح «عيروض» :

- تقدم ودلنى على الطريق ..

واندفع يلكرز جواده في عنف ، فانطلق به يسابق الريح وإلى جواره تجرى «عاقصة» وأمامه يجرى «عيروض» .. وأسرع «قان شاه» يمتطى جواده ويتبعه بكل ما فى الجواد من قوة ..

* * *

حين وصل الملك «سيف» إلى نهاية الوادى ، انحرف بجواده عن الطريق متجهًا نحو الجبل ، وتبعه «قان شاه» عن كتب ، بينما قال «عيروض» :

- لقد كانوا فى أعلى الجبل أيها الملك ..

ولم يجب الملك «سيف» بل استمر فى تقدمه السريع حتى وصل إلى سفح الجبل ، فقفز عن جواده وهو يقول :

- سأنتسق الجبل إليهم ..

فقال «عيروض» :

- إنى أستطيع أن أحملك إلى أعلى دون عناء ..

وقاطع «عيروض» صوت هادئ وقور يقول :

- مهلاً يا «عيروض» .. لا داعى لهذا .. فهم ليسوا فى أعلى الجبل ..

والتفت الملك «سيف» ليرى الشيخ «أبا النور» يخرج عليه من المغارة

بوجهه الهادئ ولحيته البيضاء الوقور .. وأحس الملك بغضبه ينفثُ وبنفسه
تهدأ ، وقال :

.. أتعرف مكانهم أيها الشيخ المؤمن ١٩٠٠.

فقال الشيخ «أبو النور» في صوته الهادئ :

.. لا تتزعج يا بنى من قدر الله .. فإن لكل شيء سبباً .. إن «منية
النفوس» وابنها «مصر» أخذها أبوها «قاسم العبوس» غصباً وهى فى
طريقها إلى الجزائر ثانية ، فأرسل «عاقصة» و «عبروض» ليقتلا المارد
الذى يحملها ويعيدها مع ابنك إليك ..

أما «مرجانة» و «نور الهدى» وياقى البنات فقد أسرهم عدوك وعدو
«قان شاه» الكهين «الشعشان» وهن عنده فى الأسر والهوان ونخلصهم
على يدك أنت أيها الملك ..

. كان السحرة فى مدينة «قاسم العبوس» عندما آمن على يدى الملك «سيف» غائبين فى رحلتهم السنوية إلى بابل ليتلقوا علوم السحر عن هاروت وماروت ، فلم يعلموا بنجر ارتداد الملك «قاسم العبوس» عن كفره .. ولكنهم حينما عادوا إلى المدينة وعلموا بالأمر ملاًهم الخنق لضباع كل تعبهم وجهدهم وتحطم أرصادهم وبطلان سحرهم .. واندفع زعيمهم «الغيدروس» يقتحم القصر على الملك «قاسم العبوس» ويصيح فيه :
- كيف حدث أيها الملك أن تركت عبادة النار ، وسمحت بزواج الرجال من النساء ، وسكت على تحطم الارصاد ..!؟.

فقال له الملك «قاسم العبوس» فى هدوء :

- لقد كان الملك «سيف» أقوى من أرصادكم فحطمها ، وأقوى من جندى فخشيت على نفسى الهزيمة وعلى مدينتى التدمير .. وإن كنت ترى فى نفسك القدرة على هزيمته واستعادة بنائى منه فافعل ، ولكن لا تدخلنى معه فى حرب أو صدام ..

وظل «الغيدروس» ينظر إليه لحظات فى صمت ، ثم قام فجأة واندفع مهرولاً إلى معبد النار حيث أغلق عليه الهيكل ومضى يعزم ويهمهم ويدمدم ويتلو أرصاده وسحره وهو يطلق البخور ويرقص حول النار المتقدة .. إلى أن اهتز المكان بصيحة عظيمة وظهر مارد مهول الخلقة

منحنياً أمام «الغيدروس» وهو يقول :

- نعم يا كهين الزمان ..

فقال «الغيدروس» :

- من أنت من أرهاط الجبان ؟..

فقال له الجني :

- إنني خادمك ذو الرأسين .. عليك الأمر وعلى الطاعة ..

ففرح «الغيدروس» يديه سروراً ، وهو يقول :

- ألا تريد أن تنال حرمتك إلى الأبد ، ولا يستطيع أحد من السحرة

أن يسخرك في خدمته ..؟..

فرجع المارد رأسه وهو يقول :

- ومن الذى لا يتمنى هذا أيها الكهين ..؟..

فقال له «الغيدروس» :

- إذن فالحق بالملك «سيف بن ذى يزن» حتى ولو كان فى آخر

الدنيا ، وأحضره إلىّ فى الحال ..!

فعبس وجه المارد وهو يقول :

- الملك «سيف بن ذى يزن» .. أنت تعلم أيها الكهين أنه دخل

أرضنا وفى خدمته مرده من الجان العتاه ، كما أن فى جنده سحرة

وكهان .. ولعل أحدهم صنع له ما يقيه من هجوم مثلى من الجان بأرصاء

لا أقوى عليها ، وربما أهلكنى إن أنا حاولت الاقتراب منه ..

فأطرق «الغيدروس» برهة مفكراً ، ثم رفع رأسه قائلاً :

- أنت محق فى هذا ياذا الرأسين ، ولكن إذا لم تستطع أن تأسره

هو ، فأحضر زوجته وابنه فإن هذا كفىل باعادته إلى بلادنا بقدميه فقال

ذو الرأسين وهو يغادر «الغيدروس» :

- سأحضرهما إليك مهما كلفني الأمر..

* * *

وكانت مهمة ذى الرأسين أسهل مما توقع ، فقد وصل إلى الجبل
والمركة محتدمة في الوادى وكل البنات يتفرجن عليها بينما انفردت «منية
النفوس» بابنها في خيمتها .. فأسرع يتسلل إلى الداخل حيث حملها هي
وابنها واندفع بهما إلى طبقات الجو العليا في سرعة فائقة ، وهو يهني نفسه
على حسن توفيقه ، ويحلم بالحرية التى أصبحت فى متناول يديه .. وقالت
«منية النفوس» حين أحست بنفسها تطير فى الهواء :

- من أنت يا أنا الجان ، ولماذا تحملنى بعيداً عن زوجى
ورفيقائى .. ١٩.

فقال ذو الرأسين وهو مستمر فى طيرانه متجهاً نحو جزر واق الواق :

- إننى خادم «الغيدروس» كاهن أبىك ، وأحملك إليه حسب أمره
إلى مدينة «قاسم العبوس» ..

فدهشت «منية النفوس» وعادت تسأل :

- ولكن لماذا؟ لقد غادرت أبى ونحن متفاهمان وقد زال كل ما
بصدره من غضب وحنق ..!

فقال ذو الرأسين وقد اطمأن إلى أن أسيرته لا تستطيع منه فكاًكاً :

- إن أباك لا دخل له فى الأمر .. إن الكهين «الغيدروس» حين عاد
فوجئ بما حدث ، وهو الذى يحاول الآن أن ينتقم من زوجك ليعيد كل
شئ إلى ما كان عليه ..

فقلت «منية النفوس» وهى تحاول أن تعطى نفسها مهلة للتفكير فى
طريقة الخلاص :

- ألم يكن «الغيدروس» موجودًا عندما أبطل الملك «سيف»
أرصاده ..

فقال ذو الرأسين :

.. لقد كان في رحلته السنوية إلى بابل ليتلقى علوم السحر عن هاروت

وماروت ..

وعادت «منية النفوس» تسأل لتكسب ثقته ، وتخرجه عن حرصه

علها تجد لنفسها فرصة للهرب :

- أهما ساحران : هاروت وماروت هذان ؟..

فضحك ذو الرأسين وهو يقول :

.. كلا أيتها الملكة .. إنها ملكان من الملائكة اعترضوا على الله حين

كرم آدم ، فامتحنها الله ببعض ما بآدم وذريته ، فسلط عليها الشهوة

فتملكت قلبيهما .. فبينما هما يسبحان في الأرض إذ صادفا إنثى متعها الله

بالسحر والفتنة والجمال الفائق .. فاشتهاها كلاهما وراوداها عن نفسها ،

فتمنعت عليهما ، واشترطت أن يعلاها سر استطاعتها أن يطيرا إلى السماء

كما يسيران على الأرض .. فأخبرها أن هذا بسر اسم الله الأعظم ، فقالت

لها إنها لها إذا علماها هذا الاسم ..

ولم يملكا نفسيهما أمام إلحاح الشهوة عليهما فعلاها السر الأعظم ..

فدعت به فرفعها إلى السماء ، أما الملكان فأنهما ثبتا إلى الأرض

بخطيئتهما ، ولم يعودا بقادرين على الصعود إلى السماء .. فأوحى الله إليهما

هل ترضيان بقصاص الدنيا أم بقصاص الآخرة ، فإن القصاص لاحق

ببني آدم الذين يخطئون ، وأنتما شئتما أن تكونا مثلهم فلا بد أن تتحملا

ما يتحملون من قصاص .. فقالوا إلهنا وسيدنا رضينا بقصاص الدنيا فإنها

تفنى ، فصلبا على سور بابل ، يلقيان عذاب الصلب إلى يوم القيامة ،
ولكنها يتكلمان بالعزائم والطلاسم وعلوم الشر والكهانة تنفيساً عما يجردان
من ألم وعذاب ، وليكثر الشرفى بنى آدم الذين كانت واحدة منهم سبب
ما حدث لها .. ولهذا يقصد أرباب السحر والكهانة إلى وادى بابل حيث
يسترقون السمع إليهما ليزيد علمهم مما يقوله هاروت وماروت ..

فقال « منية النفوس » :

- وكان الغيدروس « هناك إذن لسمع منها ما يزيد شره وأثمه

وبهتانه ..

فقال « ذو الرأسين » :

- هو وكل السحرة فى مدينة أبيك ..

فقال « منية النفوس » :

- هذا إذن سر انتصار الملك « سيف » علينا .. فلو كان سيدك

« الغيدروس » حاضرا لما تمكن الملك « سيف » منا .. ومن أخذى أنا وأختى

« نور الهدى » قسراً ..

ودهش ذو الرأسين مما يسمع ، وقال لها :

- ماذا تقولين أيتها الملكة ؟.

فقال « منية النفوس » وقد بدأت خطة الفرار تتضح فى رأسها :

- لماذا لم تأخذ الملك « سيف » بدلاً من إضاعة الوقت بجملى . أنا

وابنى .. لو أنك أخذته لأرحت نفسك وأرحتى ونفدت ما يريد

« الغيدروس » ..

فقال « ذو الرأسين » والدهشة مازالت متملكة عقله وقلبه :

- أريحك أنت أيتها الملكة ، لقد فهمت أنك ذهبت معه باختيارك ..

فقال « منية النفوس » :

- وهل آمن أبى باختياره .. لقد اضطر هو واضطررت أنا إلى مجاراته
خوفاً من قوته وبطشه ..

فقال « ذو الرأسين » :

- لقد فهمت .. ولكنى ما كنت أستطيع أن أخطف الملك « سيف »
وهو مرتد ذلك النطاق المطلسم فهو يحرق كل من اقترب منه بسوء من
الجن ..

فقال « منية النفوس » :

- إني أعرفه فقد صنعت له الحكيمة « عاقلة » ولو كنت أخبرتني لتكننت
من استدراجه حتى يجلعه فتستطيع خطفه ، وتخلصنا منه ومن بطشه .. أما
الآن فقد ضاعت الفرصة ، فسرعان ما سيعلم أنك الذى خطفتنى ولن
ينجيك من انتقامه وبطشه حصولك على حريتك ، أو حياية « الغيدروس »
الذى سيكون مشغولاً بحياية نفسه هو ..

واضطرب ذو الرأسين وهو يدرك ما فى كلامها من صدق وقال :

- وما العمل الآن أيتها الملكة .. ١٩ .

فقال « منية النفوس » فى صوت هامس ، وكأنما تحدث نفسها :

- إذا أنت عدت لى الآن نلت حريتك من « الغيدروس » ونلت

أحسن الجزاء منى ومن أبى « قاسم العبوس » ولكن انتقام الملك « سيف »
سيلحقك ، كما سيلحق لى وبأبى ..

فقال « ذو الرأسين » :

- تماماً ..

وعادت « منية النفوس » تقول وكلماتها تخرج فى بطء وهدوء :

- ولكن إذا تمكنا من أسر الملك « سيف » فستنال حريتك إلى الأبد ،

وتنعم من « الغيدروس » بنجير مكافأة ، بل ربما جعلك ملكاً على الجان

مكان «الخيرقان» الذى عمل فى خدمة الملك «سيف» ..
وقال «ذو الرأسين» مؤمناً :

- هذا صحيح ..

وقطعت «منية النفوس» حديثه وهى تصيح فى لهفة :

- ما هذا الذى أراه تحتنا .. ١٩.

فقال «ذو الرأسين» وهو ينظر إلى أسفل :

- هذه آخر أرض قبل البحر الذى يفصل الجزائر عن غيرها من بلاد
الدنيا ..

فقال «منية النفوس» فى لهجة الأمر :

- إذن هيا ، إنزل بنا إليها فى الحال ..

وصدع ذو الرأسين إلى أمرها دون تفكير ، وقد خيل إليه أنها اهتدت
إلى الحل الذى يحق له حرите إلى الأبد .. وحين نزل إلى الأرض وضع
«منية النفوس» وابنها «مصر» فى رقة فوق الحشائش المنتشرة التى تكاد
تغطى وجه الأرض .. ثم وقف أمامها فى انتظار ..

وكانت «منية النفوس» تكاد تطير من الفرحة إذ استطاعت أن تحتال
على المارد قبل دخوله جزائر واق الواق .. وكان ذهنها مشغولاً ، تفكر فى
الكيفية التى تستطيع بها أن تغافل المارد اليقظ وترتدى الثوب الريش
وتحمل ابنها معها وتعود طائرة .. إنها لو استطاعت أن ترتدى ثوبها الريش
لما أمكنه أن يصل إليها أبداً .. ولكن كان لا بد لها من شغل المارد ومنعه
من التفكير فى شأنها .. فضت تسير رائحة غادية كأنما تفكر وهى تقول فى
صوت عال :

- لو كنت فى مكان الملك «سيف» وعلمت بأمر خطف زوجتى فإذا

أفعل .. ؟.

فقال ذو الرأسين ، وقد استهوته طريقتهما في الكلام والتفكير :
- لست أدري أيتها الملكة ..
فعاادت «منية النفوس» وهى تطيل فى خطوطها وتتنظر إلى الأرض فى
إمعان :

- لو كنت أنا مكان الملك «سيف» لأسرعت على الفور أحاول أن
ألحق بالفارين قبل الوصول إلى جزائر واق الواق حيث تصعب المطاردة
علىّ وتتعدر .

وصاح «ذو الرأسين» فى إعجاب :
- تمامًا .. هذا صحيح .. اسرع وراء الفارين ..

فقال «منية النفوس» وهى تقف أمامه :
- إذن ننتظره هنا أيها المارد الذكى ، حتى إذا ما جاء اختفيت أنت
عن الأنظار ، وحاولت أنا أن أستدرجه حتى أخلع عنه النطاق المطلسم
فتحملة أسيرًا ذليلاً إلى «الغيدروس» وتحملنى سالمة إلى أبى «قاسم
العبوس» ..

ففضى «ذو الرأسين» يصفق فى بهجة وهو يصبح :
- وأناال حريتى ..!؟.

فعبقت «منية النفوس» وعيناها تلتمعان :
- وجائزتلك من «الغيدروس» ومن أبى ، ومنى ..! .
وتوقف «ذو الرأسين» فجأة عن الصباح والتصفيق ، وقد اغبر
وجهه ، وقال :

- ولكن ماذا لو أنه لم يحضر بنفسه وإنما أرسل أعوانه الأقوياء لقتلى
واستردادك ..!؟.

وحين نظرت إليه «منية النفوس» وجدت فى عينيه بوادر الشك ،

وأسقط في يدها .. فلم تستطع أن تواجه نظرات الريبة التي يرميها بها
فأطرقت إلى الأرض وهي تقول في تخاذل :

- وهل تخاف أعوانه أيها المارد ..

فقال « ذو الرأسين » وهو يقترب منها :

- إنني أخاف الغدر أيتها الملكة ..

وقبل أن تجيبه « منية النفوس » ارتفعت صيحة إلى جوارهما ، وهبطت

فوق الأرض « عاقصة » وهي تصيح في فزع وذعر :

- أيها المارد القوى احمنى من عدوى الغادر ..

ونظر « ذو الرأسين » إلى الماردة الجميلة التي زادها الذعر جالاً فاقترب

منها وقد نسي « منية النفوس » وابنها قائلاً :

- ماذا بك يا أخت الجان ؟ ..

فبكت « عاقصة » وهي تنظر إليه نظرات الهبت الشوق في قلبه ،

وقالت في كلمات متكسرة متأودة : .

لقد كنت أنتزه وحدى حين رأيت هذا المارد القبيح الوجه ، المشوه

الخلقة ينظر إليّ بعينين يتطاير منها الشرر وحين سألته لماذا يتبعنى ، هجم

على يريد أن يغتصبني فتمخلصت منه بكل قوتي وأسرت هاربة وهو على

أثرى ، ولولا أن رأيتك أيها المارد القوى الجميل لأهلكنى اليأس ،

ولوقعت فريسة سهلة بين يديه ..

فقال « ذو الرأسين » وقد انتشى من تأودها وتثنيها :

- وأين عدوك هذا لأمزقه أيتها الماردة الفاتنة ..؟

وقالت « عاقصة » وهي تزداد إمعاناً في تثنيها ودلالها :

- لو قتلته أيها المارد لصرت ملك يدك ، وأسيرة شهامتك ..

وفقد « ذو الرأسين » حذره ، فأخذ يتقدم نحوها وهو يقول :

- لن يستطيع أحد أن يقترب منك وأنا هنا إلى جوارك ..
ولكنه ما كاد ينتهى من كلماته حتى ارتفعت صيحة عظيمة ،
وأصابت عنقه لكمة هائلة أطاحت برأسه من فوق كتفيه ، فهوى إلى
الأرض ، بينما ظل جسده يتأرجح فى الهواء قليلاً ثم تداعى جثة هامدة ..
وقال «عبروض» وهو يتقدم من «عاقصة» :
- هذا صريع عشقك يا «عاقصة» ..
فقالت «عاقصة» فى غضب :
- ألم تنفق على أسره حياً ليخبرنا بما نجعل من أمر «قاسم العبوس» ؟
فقال «عبروض» وهو يركل كل الجسد بقدمه فى حنق :
- لقد نسيت كل اتفاق وأنا أرى هذا الكلب يغازلك بكل وقاحة
وجرأة ، وأنت تتثنين أمامه كأنما فنتت بأنفه الافطس ..
وضحكت «منية النفوس» وهى تتقدم منها قائلة :
- كفاكما عراقاً ، لقد أهلكما العدو وهذا يكفى .. ولا بد أن الملك
«سيف» فى قلق من أمر غياي أنا وابنه ، فهيا بنا إليه واتركا هذا اللجاج
الذى لا فائدة منه ..
ونظرت «عاقصة» إلى «عبروض» فى حنق وغضب ، وتقدمت نحو
«منية النفوس» تحملها وتطير بها فى صمت .. بينما تنهد «عبروض» وحمل
«مصر» وتبعها طائراً نحو مدينة دوريز ..

حين وصلت «منية النفوس» وابنها «مصر» إلى مدينة دوريز ، قرر الملك «سيف» بعد أن استمع منها إلى ما سمعته من ذى الرأسين أن تعود في الحال هي وابنها إلى حمراء اليمن لتكون بعيدة عن متناول «قاسم العبوس» وكاهنه ، وحتى يستطيع هو أن يفرغ لأمر القتال المتوقع مع «الشعشان» .. ولكن «منية النفوس» قالت وهي تطرق إلى الأرض :
- لست أجد لى وجهاً أقابل به «شامة» و «طامة» و «الجيزة» ..
فقال الملك «سيف» :

- يذهب «عيروض» لإخبارهم بقدمك ليزينوا حمراء اليمن لمقدمك ، وليعدوا لك استقبالاً حافلاً بأمرى .. وبعد ذهاب «عيروض» تملك «عاقصة» إلى هناك ..

فقالت «عاقصة» فى صوت حاد :

- أحسنت يا أخى فلست أريد أن أسير مع خادمك الوقح هذا فى طريق واحد بعد اليوم ..

ودهش الملك «سيف» للهجة التى تتحدث بها «عاقصة» فقال :

- ما الأمر يا «عاقصة» ، هل أغضبك «عيروض» ؟..

فقالت «عاقصة» وقد ازداد انفعالها وغضبها :

- إنه تعلم الفصاحة هذه الأيام ، ولم يجد من يتعلمها فيه سوى ،

فضى يتحدث عنى بما لا يليق ..

وضحكك «منية النفوس» وهى تقول :

.. مهلاً يا «عاقصة» ، ، .. إن «عبروض» لم يقصد الإساءة إليك ..

واندفع «عبروض» يقول :

.. حياك الله أيتها الملكة ، هل فى خوفى على «عاقصة» ما يضايقها أو

يضرها ..

فصاح به الملك «سيف» :

كفى يا «عبروض» هذا ليس وقت مثل هذا الكلام ..

فاقترب «عبروض» من الملك «سيف» وقال فى صوت خافت :

.. إننى أيتها الملك لا أحمل لـ «عاقصة» سوى كل ود ومحبة . وليس

لى من أمل إلا أن تجزيبى على خدماتى لك بأن تزوجها لى .. ا .

فصاحت «عاقصة» فى غضب وثورة :

.. هل سمعت .. ها هو العبد قد بدأ يتناول على أسياده .. ألا تعرف

أننى أخت الملك «سيف» فى الرضاع ، ومن أنت ..؟ خادم الملك

وعبده ، يملك زمامك باللوح المرصود .. فقال «عبروض» موجهاً خطابه

إلى الملك «سيف» :

.. إن عبوديتى فى يدك أيتها الملك ، وهى قدر لا بد أن يزول .. أما هى

فتنسئ أنها إن كانت بنت الملك الأبيض فأنا ابن الملك الأحمر ، ونحن إن

لم نجتمع على شىء فنحن نجتمع على حبك والتفانى فى خدمتك ..

وكادت «عاقصة» تعود إلى الصباح من جديد ، إلا أن الملك

«سيف» رفع يده يسكتها وقال :

.. إسمع يا «عبروض» .. لا تعد إلى هذا الحديث حتى تنال حريتك

فاذا ما أصبحت حرّاً فعليك أن تقنعها هى أولاً بزواجك ، وحين توافق

هى فسأبارك زواجكما .. وأنا أعدك أن أمنحك حريتك عند انتهاء مهمتنا هنا .. أما الآن فإن أمامنا عملاً كثيراً ، فإننى أود أن تعودا إلىّ بأسرع ما يمكن بعد أن تصل « منية النفوس » و « مصر » إلى حمراء اليمن برجالى من الفرسان والحكماء ليعينونا فى حربنا مع « الشعشان » الذى سمعت عن فروسيته وسحره الكثير ..

فقال « عيروض » :

– إننى أخدمك أيها الملك بجيأتى ، وما دامت حريتى هى الطريق إلى قلب « عاقصة » فسأعمل على الحصول عليها ولو كلفنى هذا أن أحمل إليك هنا حمراء اليمن نفسها .. فضحك الملك « سيف » وهو يقول :

– لا .. إنما أنا أريد الحكيمة « عاقلة » و « برونوخ » الساحر ، و « اخميم الطالب » . كما أريد « سعدون الزنجى » و « سابك الثلاث » و « دمنهور الوحش » و « ميمون الهجام » ..

فقال « عيروض » وهو يستعد للذهاب :

– حسناً سأخبر المدينة بمقدم الملكة ، ثم أبلغ الحكيمة « عاقلة » بأمرك لهم ، وسأذهب إلى بلادى لأعود بأعوان يعينونى على حملهم إليك عندما يتم استعدادهم لاصطحابى ..

ثم انطلق إلى كبد السماء كالشهاب .. وقالت « عاقصة » :

– لقد أطعمته فى مجديتك هذا يا أخى ..

فالتفت إليها الملك « سيف » قائلاً :

– إن الشيء الوحيد الذى يجب أن نحترمه هو الحب .. وأنت لست مجبرة على شيء ، فإن استطاع باخلاصه وتفانيه أن يملك قلبك فالأمر لك ، وإلا فليس هناك من يرغبك على شيء لا تحيينه ..!

وقالت « منية النفوس » :

- إن «عبروض» يا «عاقصة» لا يعيبه شيء سوى عبوديته ، وسوف يحصل على حريته بمجده وعرقه .. وهو بهذا أجدر بتقديرك ممن لا يفهم معنى الكفاح من أجل الحرية .. وعاد الملك «سيف» يقول في حزم :
- لقد قلت إن هذا الموضوع لا محل له الآن .. إن الوقت قد حان لتبدأ رحلتك إلى حمراء اليمن ، فهيا يا «عاقصة» احملى «منية النفوس» و«مصر» إلى هناك .. وأحب أن تساعدى «عبروض» فى إحصار الفرسان والحكام إلى هنا دون تعويق فنحن لا ندرى متى يبدأ الغزو تحركه ..
ولم ترد «عاقصة» على حديثه ، بل التفتت إلى «منية النفوس»
قائلة :

- هل أنت مستعدة أيتها الملكة ؟..

ف قالت «منية النفوس» وهى تمد يدها إلى الملك «سيف» مصافحة :
- إننى متسعدة يا أختاه ..

وما أن انتهى الملك «سيف» من وداع زوجته وابنه حتى حملتها «عاقصة» واندفعت بها طائرة نحو حمراء اليمن ، والملك «سيف» يشيعهم بصره إلى أن غابا فى كبد السماء ..

* * *

ظلت «منية النفوس» نهب القلق والاضطراب طوال الرحلة .. ولم تجد فى «عاقصة» ما يسكن قلقها ويزيل اضطرابها ، إذ كانت «عاقصة» مشغولة بنفسها عن ملاحظة ماتعانيه «منية النفوس» من خشية اللقاء المنتظر بزوجات «سيف بن ذى يزن» .. وهى التى غدرت بهن وتركتهن هاربة هى وولدها .. وكان أختى ما تخشاه لسان «طامة» الحاد الذى لا يعرف هواة ولا رفقا .. ولكن اضطرابها وقلقها ما لبثا أن زايلاها عندما أشرفت «عاقصة» بها على حمراء اليمن .. فقد كانت المدينة فى

أبهى حلل الزينة ، وأصوات الدفوف والزغاريد تتصاعد من كل مكان فيها .. وقالت «عاقصة» وهى تنزل بها فى أول الوادى الذى ينتهى بباب المدينة :

- لقد وصل قبلنا بالفعل .. وها هم قد استعدوا لاستقبالك .. وأحست «منية النفوس» بلهجة الغيظ التى تظهر فى صوت «عاقصة» وتذكرت تلك السرعة الهائلة التى كانت تطير بها والتى لم تبال بها لانشغالها بما يملأ قلبها من أفكار وشكوك . فأدركت أن «عاقصة» كانت تريد أن تسبق «عيروض» إلى المدينة لتثبت فشله وتخاذله ، وابتسمت لنفسها وهى تقول :

- إن الحب يصنع الأعاجيب ..

فالتفتت إليها «عاقصة» قائلة :

- ماذا تقولين يا «منية النفوس» .. ١٩.

وانفتح باب المدينة فأعفى «منية النفوس» من الإجابة ، وتقدم منه موكب طويل مهيب ، سارت على رأسه الحكيمة «عاقلة» وإلى جوارها «برنوخ» الساحر ، بينما جاءت وراءها زوجات «سيف بن ذى يزن» : «شامة» و«طامة» و«الجيزة» ووراءهن كان يسير الأمير «دمر» والأمير «نصر» .

وصاحت «منية النفوس» وهى تشير إلى ابنها «مصر» :

- انظريا «مصر» ها هم إخوتك .. «دمر» و«نصر» .. لقد كبرا وأصبحا من الفرسان .. ما أشبه ثباتها فوق صهوات الجياد بثبات أبيك الملك «سيف» ..

وراء الأشقاء سار الفرسان الأربعة وهم فى ملابس الميدان الكاملة ، وخلفهم باقى رجال المدينة ونسائها .. وقالت «عاقصة» :

- إنهم يستقبلونك أيتها الملكة استقبال الفاتحين ..
فقلت «منية النفوس» والدموع تحجب عن عينيها الرؤية
الواضحة :

- ما أغباني إذ ظننت أنهن سيشتمنن بي .. ١ .
فضحكت «عاقصة» وهي تقول :

- يشمنن ١ .. ماذا تقولين أيتها الملكة ؟ .. لقد نسيت حمراء اليمن معنى
البهجة من يوم أن غادرتها ، وعرفت المدينة كلها معنى الحزن والألم بعد أن
افتقدت أنت وابنتك .. إن اليوم عيد ..

وتجاوبت كلماتها مع أصداء الأهازيج والأغاني تنبعث من الموكب
المتقدم ، الذى وقف على مسافة من مكان «منية النفوس» ثم تقدم
«دمر» على جواده وإلى جواره «نصر» ووراءهما مجموعة من الرجال
يحملون عرش «منية النفوس» الذى تعودت أن تجلس عليه فى قصرها ،
وراءهم سارت الحكيمة «عاقلة» بينا ساد السكون الميدان كله ..

وحين وقف الأميران أمام «منية النفوس» ترجلاً ، ثم تقدما إليها
يقبلان يدها ، ولم تتألك «منية النفوس» نفسها فضمتها إليها تقبلها
والدموع تتساق من عينيها ، ثم أشارت لهما إلى أخيها «مصر» فضيا إليه
يحملانه ويقبلانه وهو يتسم فى وجهها ويضحك .. ثم تقدم منها «دمر»
قائلاً :

- والآن هذا عرشك أيتها الملكة ستحملين فيه إلى قصرك ..
وتقدمت الحكيمة «عاقلة» قائلة :

- مرحباً بك يا «منية النفوس» ..

وارتمت «منية النفوس» على صدرها وهي تبكى ، وتقول من بين
دموعها :

- هل تغفرون لي؟ .. هل تغفرون لي؟! ..
فربت الحكيمة «عاقلة» على كتفها وهي تقول :
- كفاك يا بنية ، إن شوقنا إلى رؤياك لا يقل عن فرحنا بلقائك ..
وما كادت «منية النفوس» تترك عناق الحكيمة «عاقلة» حتى وجدت
نفسها في أحضان «شامة» التي أخذت تقبلها في شوق وهي تردد عبارات
التحية والترحيب ، وبعدها «طامة» ، ثم «الجيزة» التي كانت تبكى وهي
تبادلها القبلات وعبارات التهانى ..
وقالت الحكيمة «عاقلة» :
- هيا بنا إلى داخل المدينة ، فالكل يشتاق إلى رؤيتك ورؤية
«مصر» ..

وجلست «منية النفوس» على عرشها ، ومعها «مصر» وإلى جوارها
«عاقصة» وأمامها «دمر» و «نصر» ووراءها يسير الجميع إلى داخل المدينة
بينما ينثر الجنود عليها الورود ، وتنطلق الزغاريد من النساء ، ويتردد في
المدينة كلها صوت الفرح والغناء ..

ونسيت «منية النفوس» كل شيء وسط هذه المظاهر الرائعة من الحب
والوفاء ، إلا أن السهرة الطويلة الممتدة التي عاشتها في القصر وسط
«شامة» و «طامة» و «الجيزة» أعادت إلى شفتيها البسمة التي نسيها منذ
غادرت هذا القصر ، وأعادت إلى قلبها دقاته المرحمة المتفائلة التي حسبت
أنها لن تحس بها أبدًا بعد ما مر بها من أهوال ..
وقالت «طامة» والعشاء يرفع من أمامهن :

- هل سترقصن كما فعلتن يوم رقصت «منية النفوس» بثوبها الريش ..
وتجاوبت الضحكات المرحمة و «منية النفوس» تقول :

- إني هنا عرفت معنى الحياة والحب .. وألف ثوب من الريش لن
تغريني بتركتن أبداً .. ١.

وقالت الحكيمة «عاقلة» :

- لقد أخبرني «عيروض» أن الملك «سيف» في حاجة إلينا .. وقد
أصدرت الأوامر إلى من طلبهم الملك لترحل جميعاً فور عودة
«عيروض» ..

فقال «عاقصة» :

- وأين ذهب ..؟

فقال الحكيمة «عاقلة» :

- لقد قال إنه ذاهب إلى بلاده ليعود بعدد من أعوانه ليحملونا جميعاً ..

- فقالت «عاقصة» :

- وله أعوان هذا العبد ..؟

ثم التفتت إلى «منية النفوس» قائلة :

- سأذهب أنا إلى أبي لأحضر من جنوده من أعنى الجان من يحملون

المدينة كلها لو أرادوا .. ١.

وقالت «منية النفوس» وهي تحاول أن تمسك بها :

- ولكن فيمن سيحضرهم «عيروض» الكفاية ..

وانفلتت منها «عاقصة» وهي تخلق في الجو قائلة :

- إن أخي يريد المعونة ، وأنا التي سأقدمها له ..

وحينما غابت «عاقصة» عن أنظارهم ، قالت الحكيمة «عاقلة» في

دهشة :

- ماذا أثارها ؟ ..

فضت «منية النفوس» تحكى لهم قصة غرام «عيروض»

بـ «عاقصة» ، وهن يقاطعنها بضحكاتهن المرححة ، وتعليقاتهن المتخابثة ..
فلما أتمت الحكاية قالت الحكيمة «عاقلة» :
- إن الحب لا يعرف الفرق بين الإنس والجن .. إن الحب دائماً هو
الحب ..

وبينما عادت زوجات الملك «سيف» إلى ضحكهن وعيبنهن ، قالت
الحكيمه «عاقلة» لـ «منية النفوس» :
- ولكننا أيتها الملكة نريد أن نعرف حكايتك أنت ، وماذا حدث لك
منذ أن غادرت هذا القصر إلى أن عدت إليه ..
ونظرت «منية النفوس» إلى الوجوه المتطلعة إليها في اهتمام ، والعيون
المحدقة فيها في تساؤل ، فابتسمت قائلة :
- حسناً ، ولو أنها حكاية طويلة ..
ومضت الملكة «منية النفوس» تحكى ، والليل يطول ، والسمر
يجلو ، إلى الصباح :

* * *

حين عادت «عاقصة» بأعوانها إلى مدينة حمراء اليمن ، وجدت العدة
قد أعدت ووجدت «عبروض» يقف وسط أعوانه من الجان يرتب لكل
منهم حمله أثناء السفر ، فصاحت فيه في غضب وثورة :
- ماذا تظنك تفعل أيها العبد ..!؟

ونظر إليها «عبروض» ولكنه لم يجيبها .. وإنما استمر في ترتيب أعوانه
دون أن يعيد بصره إليها ، وضربت «عاقصة» الأرض بقدمها في عنف ،
وكادت تصرخ فيه من جديد لولا أنها أحست بيد تلمسها في رفق ،
وصوت هادئ يقول لها :

- لا عليك يا «عاقصة» لماذا كل هذه الثورة ..؟
وعرفت «عاقصة» صوت الحكيمة «عاقلة» فالتفت إليها وهي
مازالت في غضبتها وقالت :
- لقد أحضرت أعواناً من مدينة أبي ، وسأتولى أنا وهم نقل كل من
يريد منكم إلى مدينة دوريز ، فما شأن هذا العبد ..؟
فقال الحكيمة «عاقلة» :
- إنه ينفذ أوامر الملك «سيف» يا «عاقصة» ..
فعدت «عاقصة» تصيح :
- إن أخى ليس فى حاجة إلى أعوانه ، وأنا أستطيع أن أنفذ كل ما
يريد أخى ..

فقال الحكيمة «عاقلة» وهى تربت عليها فى حنان ورفق :
- إن هذا حسن جداً يا «عاقصة» ، فنحن عدد كبير ونحتاج إلى
حراسة .. وتستطيعين أنت وأعوانك ، وهو وأعوانه ، أن تقوموا بالمهمة
معاً على خير وجه ، فنضمن الأمان والسرعة معاً ..
فسكتت «عاقصة» برهة ، ثم أطرقت إلى الأرض وهى تقول :
- لست أريد أن أعوانه فى شىء ..
فقال الحكيمة «عاقلة» بنفس الصوت الهادئ الخنون :
- إنك تعاونين أخاك لا «عبروض» .. هيا يا بنية ودعى العناد ،
فليس هذا أعوانه وأخوك فى انتظار النجدة والمعونة ..
فأطرقت «عاقصة» برأسها وقد ارتج عليها ، فعدت الحكيمة
«عاقلة» تقول :

- اتركى هذا الأمر بين يدي أخيك فإنه يحبك ولا يعمل إلا ما هو فى
صالحك .. والآن هيا بنا فإن «دمر» فى الانتظار ..

فقال «عاقصة» وهي ترفع رأسها :

- وهل سيأتي معنا «دمر»!؟.

فقالت الحكيمة «عاقلة» :

- نعم ، سنترك «مصر» و «نصر» في المدينة ، وسيكون «دمر» على رأس الفرسان والحكام الذين عليكم أن تحملوهم إلى دوريزو..
وسيصحب كل فارس جنوده .. أرأيت ، لقد جاء عنادك بفائدة كبيرة فما كنا نستطيع أن نسافر بهذا العدد الكبير بالاستعانة بـ «عبروض» وأعوانه
وخدمهم ...

كان جنود الملك «عبد نار» الذين انهزموا أمام «سيف بن ذى يزن» و «عاقصة» و «عيروض» يمعنون في الهرب ، وهم لا يلتفتون إلى ورائهم .. وقد بلغ منهم الذعر مبلغه ، وأخذ منهم الخوف ، حتى لم يعودوا يستطيعون الوقوف أو التفكير.. وصاح صائح فيهم :

- هذا جسد الملك «عبد نار» ..

وصاح آخر :

- قتل «عبد نار» ..!

وصاح «عملاق» وهو المقدم على الجند بعد «عبد نار» :

- قفوا أيها الفرسان لننظر فيما حل بنا ، ولندبر أمرنا بعد مصرع ملكنا ..

ولم يستجب لندائه إلا عدد قليل وقفوا حوله يتبادلون نظرات الرعب والاضطراب ، وقد بدت عليهم معالم الحيرة والقلق .. ونظر فيهم القارس «عملاق» ثم قال :

- ليذهب كل واحد منكم إلى جهة ليجمع شمل الجنود المتفرقين ، وليقصد أسرع فارسين إلى «الشعشان» لاطلاعه على ما حل بنا ليتجدنا برجاله ورأيه ..

وبينا انطلق أسرع فارسين إلى الكهين «الشعشان» ، أخذ «عملاق»

يعيد تنظيم الجيش المنهزم جامعا ما تفرق من الرجال ، محاولاً أن ييث الثقة في قلوبهم المدعورة ونفوسهم المشتتة .. وكاد «عملاق» ينجح في أن يعيد إلى الجيش كيانه وهيكله لولا أن ارتفعت فجأة صيحة اهتزت لها الأرض وارتجت السماء ، ثم انقض عليهم «عبروض» بصواعقه ونيرانه ، يشبت ما تجمع من شملهم ، ويفرق ما عاد إلى الالتئام من صفوفهم .. ثم انقض وسطهم يرفع جثة «عبد نار» ويختفي مسرعاً إلى الملك «سيف» ليخبره بخبر انهزام أعدائه وقتل ملكهم .. ١.

ولم يجد «عملاق» أمامه إلا أن يواصل الهرب مع ما تبقى من الجنود وقد ذهبت هجمة «عبروض» بما تبقى لديه من شجاعة وتماسك .. وكان رجاله يسقطون حوله إعياء ورعباً وهو لا يستطيع أن يقف ليقدم يد المساعدة لأحد فقد خشي إن عاد إلى الوقوف أن يعود هذا المارد اللعين إلى البطش بهم وقذفهم بالنار والحجارة ..

وعلى هذه الصورة المزرية ، وجدتهم طلائع الجيش الذي أرسله «الشعشان» لنجدتهم عندما وصله الرسل الذين أرسلهم «عملاق» .. وفي الحال صدرت الأوامر بالتوقف انتظاراً لوصول الكهين «الشعشان» على رأس جيشه الكبير تمهيداً لأخذ الثأر من مدينة دوريز التي تمردت على عبادة النار ، وقتلت أهم أعوان «الشعشان» الملك «عبد نار» ..

وكانت «مرجانة» و «كوكب» و «نور الهدى» وباقي البنات يرقبن المعركة من فوق الجبل حيث توقفت بهن «عاقصة» و «عبروض» انتظاراً للقاء الملك «سيف» ، وكانت «نور الهدى» أكثرهن وجللاً واضطراباً للهزيمة الساحقة التي يتعرض لها جيش «قان شاه» أمام أعدائه الأقوياء .. ولكنها سرعان ما كانت تصيح حماساً وفرحاً وهي تشهد هجوم الملك

«سيف» السالح الذى دمر جيش «عبد نار» وفرق صفوفه ، فصاحت
وهى تصفق بيديها :

- لقد هزمهم ، لقد مزقهم .. لقد طحنهم ..!
فقال «مرجانة» التى كانت تقف إلى جوارها :
- أليس من الأوفق أن تصيحى . لقد نجى «قان شاه» ، لقد سلم
«قان شاه» ..

وبينا كانت الفتيات يتضاحككن فى مرخ ، كانت «نور الهدى»
تحتضن «مرجانة» فى فرح زائد وهى تصيح :
- أليس مؤمناً مثلنا ؟ .. ألا تسرنا نجاته ..؟
ثم تخرج وجهها حياء فأطرقت إلى الأرض ساكنة .. فقالت
«مرجانة» وهى تربت على كتفها :

- هيا بنا نبشر «منية النفوس» بنتيجة هذه المعركة ..
وانطلقت الفتيات راكضات إلى خيمة «منية النفوس» ولكنهن وقفن
ذاهلات حين وجدن الخيمة خالية ليس بها أحد .. وانطلقت كل واحدة
إلى ناحية تبحث دون جدوى عن «منية النفوس» وابنها «مصر» .. وحين
عدن إلى الالتفاف مرة أخرى حول «مرجانة» كانت علامات اليأس بادية
عليهن ، بينما شحب وجه «نور الهدى» وزايلتها علامات الهجة والمرح التى
كانت تملأ المكان منذ قليل .. وقالت «مرجانة» :

- إن الملك «سيف» مشغول الآن بالقتال ، وليس من وسيلة
للاتصال به ، وأرى أن نرتدى ثيابنا الريش ونبدأ بأنفسنا بالبحث عن
«منية النفوس» وابنها .. فما أظن اختفائها إلا مكيدة من عدو لانعرفه
الآن ، ولكنه على أية حال لم يتعد كثيراً ، فهيا بنا ...
وأسرعت الفتيات ينفذن أمر «مرجانة» ويرتدين ثيابهن الريش .

وبعد قليل كن يملقن كالغامة المتأسكة فوق الجبل متجهات إلى اليمن تارة وإلى الخلف تارة ، وإلى الأمام مرة وإلى اليسار مرة أخرى دون جدوى ..
وحين أوشكت شمس النهار أن تغيب أشارت لمن «مرجانة» بالعودة ، ولكنهن ما كدن يستدرن ليصبحن في اتجاه الجبل حتى أحسن جميعاً بشيء يشل حركتهن ويمنعهن من مواصلة الطيران .. ونظرت «مرجانة» تحتها فإذا هن يطرن فوق جيش لجب كبير لا تدرى متى توغلن فوقه دون أن يرينه ، ولكنها عزت هذا إلى انها كهن في النظر حولهن مما حول أبصارهن عن الأرض التي يطرن فوقها ..

وما لبثت «مرجانة» أن أحسست بنفسها تنزل مسلوقة الإرادة إلى الأرض ، وحوطها باقي الفتيات وفي أعينهن نظرات الدهشة والهلوع ، وحاولت «مرجانة» أن تستعيد توازنها فلم تستطع ، وحاولت أن تحتفظ لدهنها بصفائه وقدرته على التفكير ولكن سحابة كثيفة من غيم كانت تغطي عينيها وتمحجب عنها كل قدرة على الحركة والمقاومة .. وشيئاً فشيئاً كن يهبطن إلى الأرض التي أخذت تقترب وتقترب إلى أن مست أقدامهن سطحها الصلب ..

* * *

وقال «الشعشان» وهو يضحك موجهاً حديثه للفارس «عملاق» :
- ألم أقل لك ؟ .. لقد شككت فيهن منذ اللحظة الأولى ، ولست كبير كهان النار وسحرتها عبثاً ، إنهن فتيات يرتدين ثياباً مطلسمة من الريش ، وكما سلطت عليهن باب الهمود فعجزن عن الطيران وهبطن إلى الأرض ، سأسلط عليهن باب الخبال حتى يخلعن هذه الثياب وتتمكن من القبض عليهن دون عناء ..

وكان «الشعشان» يقف أمام باب خيمته الكبيرة التي نصبت له بعد أن وصل على مقدمة جيشه كله إلى حيث كان يعسكر «عملاق» مع من تبقى من جنده «عبد نار» .. وأخذ يدور من جديد حول النار المشتعلة أمامه وهو يهمهم ويدمدم ، ويتلو تعاويذه وطلاسمه .. وسرعان ما أخذت الفتيات يقفزن في حركات غريبة وهن يخلعن ثيابهن الريش واحدة أثر الأخرى .. وهنا صاح «الشعشان» في جنوده قائلاً :

- اسرعوا فاستولوا على الثياب واثوثي بها هنا ..
وعندما وصلت الثياب ، يحملها الجند ، مضى يتأملها في إمعان ، ثم قال :

- إن هذه صناعة متقنة لا يقدر عليها إلا من حذق أسباب الحكمة وأساليب السحر .. إحملوها إلى الداخل وضعوها في صندوق واحكموا اغلاقه ..

وفرك يديه في سرور ، وهو ينظر إلى الفتيات المتوثبات في حركاتهن الطائشة الغريبة وقال :

- لم يعد منهن خطر الآن فلنرفع عنهن باب الخيال ..
وعاد يدور حول النار من جديد وهو يهمهم بلغته الغريبة وكلماته غير المفهومة .. وحين انتهى من دمدمه وتعازيمه سكنت حركة الفتيات ، وأخذن ينظرن إلى بعضهن في حيرة .. وصاح «الشعشان» برجاله :

- احضروهن إلى هنا ..

ووجدت الفتيات أنفسهن وقد أحيط بهن من كل جانب ، فالتفتن إلى «مرجانة» متسائلات ، وجعلت «مرجانة» تدور بعينها فيهن ، وفي الحلقة المحكمة من الرجال حولهن ، ثم لوحت بيديها في يأس ومرارة وقالت :

– لا فائدة من المقاومة يا فتيات ، فلنستسلم لأمر الله ، ولنر آخر هذا الأمر ..

وهكذا ساقهن الرجال إلى الكهين «الشعشان» وهن يسرن مستسلمات دون مقاومة ، وحين وقفن آخر الأمر أمامه ، أخذ يتأمل فيهن بعينه النفاذتين ، ثم مضى يضحك في سرور وحشى ... وهن ينظرن إليه في صمت ووجوم .. وحين كف عن ضحكة قال لهن :

– مرحباً بكن أيتها الفاتنات القادمات من السماء .. من أنتن ؟ ومن أين ؟ وإلى أين ؟.

وتقدمت «مرجانة» خطوة إلى أمام ، وقد اكتسى وجهها قناعاً من الصلابة والعزم وقالت في صوت هادئ :

– وما شأنك أنت أيها الكاهن الذى تعبد النار ، وماذا تريد منا ؟! فوجم «الشعشان» من لهجتها المتحدية ، ثم قال لها وفي عينيه نظرة مخيفة :

– شأنى أنكن أسيراتى ، وسأقدم لثكن قرباناً للنار التى أرسلتكن لى ، وأهدى قواد جيشى البواسل لثكن ليستمتعوا بكن ، واختار الباقيات من أجملكن ليسرين عنى ويسلبنى .. أنا «الشعشان» كاهن النار الأعظم ، وحاكم كل هذه الأرض وما عليها ..

فابتسمت «مرجانة» فى سخرية رغم الشحوب الذى ملأ وجهها ، وقالت فى صوت حاولت جهدها أن يبدو متمسكاً :

– كأننا أسارى حرب أيها الكاهن ..

وعاد يضحك من جديد وقد ملأه صوتها المضطرب إحساساً بالنصر والقوة .. وتقدمت «نور الهدى» فأزاحت «مرجانة» عن مكانها ، وقالت مخاطبة «الشعشان» :

.. ماذا يضحك أيها الكاهن الكبير القوي؟ .. أتضحك من أسيرات
عاجزات؟ .. أمثلك من يسره النصر على مجموعة من النساء
الضعيفات؟..

وماتت الضحكة عند شفتى «الشعشان» وهو يتأمل وجه «نور
الهدى» الفاتن الذى زاده الانفعال والغضب فتنة وجالاً .. فقال فى
صوت هادئ وكلماته تخرج فى بطء :

– إن اسركن هو أول خطوة فى النصر على هذا الملك القصير الذى
أخرج الناس فوق أرضى من عبادة النار ..
فتأودت «نور الهدى» فى ضعف بعث فى أوصاله الرعدة ، وقالت
وهى ترنو إليه بنظرات متكسرة :

– ألم تأسرنا ونحن هاربات من معسكره ..؟
وأطرق «الشعشان» وهو يحس بفتنتها تهز قلبه ، وتبعث الاضطراب
فى نفسه :

– نعم ..
وعادت «نور الهدى» تقول وهى تتعمد إبراز مفاتها وحسنها بعد أن
أحست بأثرها عليه :

– ألا يدلك هذا على أننا أعداء عدوك؟ .. إننا أيها الكاهن القوي من
جزيرة البنات ، وقد هزمتنا الملك «سيف» فى الحرب بعد أن بذلنا كل
طاقتنا فى المقاومة والحرب ، وكان يقودنا أسيرات إلى بلاده ، ولكننا
تمكنا من الاستيلاء على ملابسنا الريش فى غفلة منه لنهرب بها إلى
بلادنا .. وها نحن قد وقعنا بين يديك ، فارحمتنا ..

وحين انتهت «نور الهدى» من حديثها أخذت تبكى فى إجهاش ،
وجسدها كله يهتز ، وشعرها الكث يتأيل فوق وجهها الفاتن ، ثم

أسرعت تركع تحت قدميه متبايلة وهي تقول في صوت متكسر متهافت :
- انقذنا أيها الكاهن القوى من بين يديه ، ونحن كلنا تحت رحمتك
تفعل بنا ما تشاء ، فقط لا تتركنا بين يدي من لا يعرف عبادة النار ،
ولا يرحم ضعف من لا حيلة لمن لا قوة ..

وكان عقل «الشعشان» يؤكد له أنها تخدعه وتحتال عليه ، ولكن
قلبه كان متخاذلاً أمام هذه الفتنة التي تسلط عليه أقوى أسلحتها
وأمصاها ، وأحس أنه سيخسر المعركة إن ترك العنان لنفسه .. فقال وهو
يجيل نظراته الجشعة في جسدها المتهالك تحت قدميه :
- وتكونين لى أيها الفاتنة .. ١٩..

فقال «نور الهدى» وقد اطمأنت إلى نجاح خطتها :

- وهل أطمع في من هو أقوى منك وأخطر .. ١٩..

ثم وقفت متأودة وهي تمسح دموعها ، وتطرح بيدها خصلات شعرها
المتاوجة وقالت :

- أم أنت لا تقوى على هذا الملك الذى هزم حتى الآن كل من حاربه
وقاومه .. ١٩..

واندفعت دماء الغضب تلون وجه «الشعشان» وقد استفزته كلماتها
الناعمة ، فصاح :

- سستهدين مصرعه بين يديك ، ولن اقترب منك إلا فوق جثته ..
ثم عاد يتألك نفسه ، ويجيل عينيه فيهن وعلى شفثيه ابتسامة خبيثة
وهو يقول :

- ولن يضيرنا أن نتحقق من صدق ما قالته هذه الفاتنة .. سنحتفظ بكن
جميعاً تحت الحراسة حتى تنتهى هذه المعركة ، فليس الوقت وقت نساء .. أما
بعد النصر ..

وعاد يضحك ضحكة خبيثة تحمل أكثر من معنى .. وأشار بيده فتقدم منهن
الجنود يحرسونهن ويقودنهن إلى خيمة بعيدة وقف حولها الحراس ، وأحيطت
بسياج ضخيم من الحديد ..

وقالت «مرجانة» والجنود يسوقونهن :

.. لقد غلب ذكاؤك مكره وخداعه ..

فقالت «نور الهدى» وهي تبسم :

.. إن أملنا الوحيد هو الزمن .. علنا نستطيع أن نحصل على ثيابنا ونطير

بها ..

فقالت «كوكب» وهي تتقدم لتسير إلى جوارهما :

.. أو يتمكن الملك «سيف» من القضاء على هذا «الشعشان» وتخليصنا

من أسره ..

فقالت «مرجانة» وهي تجيل نظرها فيما حولها من مظاهر النشاط

والاستعداد :

.. إن هذا العدو ليس كغيره ، فقد سمعت عنه الكثير .. إنه ساحر

لا يدانيه أحد في سحره وكهنته ، وهو فارس قوى محتمل .. وهذا جيشه

يفوق عشرات الأضعاف ما في مدينة دوريز من جنود ، بل من سكان

أيضاً ..

فقالت «نور الهدى» وهي تتقدمهن إلى باب الخيمة :

ومع هذا فإنتي أحس أن نهاية هذا الكلب قريبة ..!

فقالت «مرجانة» وهي تتبعها إلى داخل الخيمة :

.. إن اغتراره بقوته هو الذى سيورده حتفه ... وسوف نرى ..!

قال الملك «سيف بن ذى يزن» للملك «قان شاه» وهما يعودان ادراجها إلى المدينة على رأس مجموعة من الجند ، كما تعودا أن يفعلا كل يوم إذ يدوران حول المدينة ليتأكدوا بنفسيهما من وجود الحراس كل في مكانه خوفاً من هجوم غادر يفاجئ المدينة في أى وقت :

— إن القلق قد ابتدأ يساورنى ، فقد سافرت «منية النفوس» من مدة ، ولا بد أنها وصلت إلى حمراء اليمن منذ فترة ، ولست أجد سبباً لغياب «عيروض» و «عاقصة» حتى الآن ..

فقال «قان شاه» وهو يتنهد :

— إن ما يحيرنى هو هذا الاختفاء العجيب ، الذى لا نفهم له سبباً ، «نور الهدى» و «مرجانة» وباقي الفتيات ..

فابتسم الملك «سيف» وهو يربت على عتق جواده وقال :

— إن كلا منا يضع يده على الجرح الذى يؤله ..

فرفع «قان شاه» رأسه وهو يقول :

— إننى أيتها الملك ما عدت أهاب أحداً بعد أن عرفتك ، وسواء جاء «الشعشعان» أو غيره فإننى مطمئن إلى نصرنا المؤزر ، واثق من النتيجة المحتومة مهما طال مدى المعركة ..

فقال الملك «سيف» وهو يلكز جواده مسرعاً نحو باب المدينة المفتوح :

... إن النصر لا يحرز في المعارك بمجرد الثقة والإيمان ، بل لابد من العدة
والعتاد ..

ورد على تحية حرس الباب الذين رفعوا السلاح يحيون الكوكبة الملكية
وهي تدخل إلى المدينة .. وكان الملك «قان شاه» يتبعه على الأثر حينما دوت
صيحة هائلة من فوق الأبراج :
- فارس من حرس الأطراف يقبل مسرعًا ..

فاستدار «سيف بن ذى يزن» بفرسه ، وأسرع متجهًا إلى باب المدينة
من جديد ، ووراءه «قان شاه» .. وخرج الملك «سيف» من المدينة وهو
يطلق العنان لجواده ، بينما لاح له من بعيد فارس مدجج بالسلاح يكاد يطير
بجواده طيرانًا متجهًا نحو المدينة ..

وقال الفارس حين وصل إليه الملك «سيف» :
- إنه جيش لجب يغطى السهل والوادي ، في عدد كالرمل والحصى ..
وقال «قان شاه» :
- أما عرفت جيش من ؟.

قال الفارس وهو يلتقط أنفاسه اللاهثة في صعوبة فائقة :
- إنه جيش «الشعشان» أيها الملك ، ومعه باقى الكتائب التى انهزمت
من جيش «عبد نار» وعلى رأسها فارسه العملاق ...

فقال «سيف بن ذى يزن» :
- وأين هم الآن ..؟.
فعاد الفارس يقول :

- عند أطراف الوادى أيها الملك ، وهم يتقدمون بسرعة كبيرة ..
فقال «سيف بن ذى يزن» موجهًا كلامه لـ «قان شاه» :
- اجمع جنودك أيها الملك واخرج بهم من المدينة ، ولتغلق أبواب

المدينة ويقف الحراس على أسوارها ، ولا تتقدم حتى أخبرك ... لعلهم يريدون استدراجنا بعيداً لتطويقنا وعزلنا عن المدينة ليستولوا عليها ويتركونا بلا شيء نستند إليه ..

ثم أشار إلى باقي الفرسان الذين كانوا يتبعونهم قائلاً :
- أما أنتم فاتبعوني ..

وانطلق بجواده مسرعاً ووراءه تندفع كوكبة الفرسان لا تكاد تلحق به ... وعندما شارف الوادي التقى الملك «سيف» بمجموعة حرس الأطراف الذين كانوا يقفون في صف طويل .. وحين شاهدوه اتجه إليه قائدهم قائلاً :

- إنهم أمامنا الآن أيها الملك ينصبون الخيام ويستعدون ..
وتقدم الملك «سيف» وحده إلى ربوة عالية ، ومن فوقها أشرف على منظر رهيب مخيف فقد امتلأ السهل كله بالجنود بحيث لم تكن ترى العين إلا الخيوذات وأطراف الرماح والأسنة ، ولم تكن الأذن تسمع إلا صهيل الجياد ، ونداءات القادة من يمين وشمال .. وقال الملك «سيف» وهو يمر بيده فوق ذقنه مفكراً :

- لم يكذب الفارس ، إنهم في عدد الرمل والحصى ..
ثم رفع رأسه وهو يقول :
- ومع هذا فلا بأس من أن نريهم أننا لسنا خائفين من عددهم ..
والتفت إلى القائد الذي كان يقف إلى جواره قائلاً :
- إجمع رجالك وانتظرنى ..

وظل الملك سيف يتأمل الحركة الدائبة أمامه في إمعان ، وكان الجيش تحت إشراف قواده يلتقي برجاله في السهل وهو مطمئن تمام الاطمئنان ، أما لبعدهم عن المدينة ، أو اعتزازاً بقوتهم وعددهم الوفير .. وغادر الملك

«سيف» الربوة وهو ما زال غارقاً في أفكاره .. وحين التقى بقائد الجند قال له :

- سنقوم أيها القائد بعمل جنونى ولكنه هام فى افقاد العدو ثقته الزائدة بالنفس ، فإن كنت مستعداً أنت ورجالك فسنبداً فى الحال :

فقال القائد وهو يتقدم خطوة إلى الأمام :

- نحن مستعدون أن نخوض معك البحر أيها الملك ...

فابتسم الملك «سيف» وهو يقول :

- وأنتم فعلاً ستخوضون معى البحر ، ولكنه هذا البحر الآدمى الزاخر الذى يقف أمامنا ..

ولم يجبه القائد وإنما أصدر أمره إلى جنوده فامتطوا جيادهم ، ثم أصدر أمراً آخر فأخرجوا سيوفهم من إغادها ، وتقدم بحصانه ليصبح أمامهم فى مواجهة «سيف بن ذى يزن» وقال :

- نحن على استعداد أيها الملك ..

فأدار الملك «سيف» عينيه فى الوجوه الباسلة التى تراصت أمامه تنظر إليه فى استعداد وترقب ، وعاد يبتسم وهو يقول :

- إن أعداءكم الآن ليسوا متأهين للقاء ، وسنهجم عليهم من يمين الجيش ، ونضرب كل من نلقاه بسيوفنا ، ونستمر فى سيرنا حتى نصل إلى يسار الجيش ، ثم نلتف مسرعين ونقصد إلى جيش «قان شاه» .. لست أريد من أحد منكم أن يلتفت وراه أبداً ، أو أن يحدث أى صوت ، فلست نريدكم أن يتتبعوا لما حدث قبل أن تنتهى من اختراقهم تماماً .. ولتحدثوا الدمار فى كل ما تستطيعون تدميره .. الخيام مزقوها ، الخيل اقطعوا أربطها ، القدرور اقلبوها .. أما الفرسان فليس لهم إلا السيف .. ولتبعونى دائماً ولا تتركوا ثغرة فى صفوفكم ..

واستدار بفرسه ثم انطلق مسرعاً إلى اليمين ووراءه قائد الجند يتبعه جنوده يحاولون اللحاق بالملك «سيف» الذي كانت سرعته تزداد كلما أخذ السير ، حتى إذا ما وصل إلى آخر أطراف الوادي استدار في حذر ووقف ، وظل يرقب الجيش أمامه لحظات ، ثم رفع سيفه ولوح به في الهواء وهو يصيح :

- إلى الأمام ..

ثم انقض كالصاعقة مخترقاً خيمة كبيرة بجواده بعد أن شقها بسيفه ووراءه الجنود يدرون كل ما يصادفونه أمامهم ، وأمامه جنود مذعورون قد أذهلتهم المفاجأة ففضوا يتصايحون وهم يجرّون إلى كل اتجاه والسيف يأخذهم أينما اتجهوا .. ولم يتوقف الملك «سيف» وجنوده ، بل ظلوا في هجومهم الصاعق يخرقون وسط المعسكر تماماً وصيحات الذعر تتبعهم والدماء تسيل حولهم ، وصهيل الجياد الشاردة تحيط بهم ، والغبار يتعالى في سنايك جيادهم ..

ونخرج الفارس العملاق يصيح ، محاولاً أن يعيد إلى الجنود المذعورة صوابها وهو لا يكاد يقوى على التحرك من مكانه أمام خيمته من كثرة الجنود المتدافعة .. بينما اندفع «الشعشان» يضرب بيديه كل من حوله وهو يصيح :

- إلى جيادكم ، إلى جيادكم ..

ولكن قبل أن يستطيع الجيش المذعور أن يتنبه إلى ضالة عدد المهاجمين ، أو إلى مكانهم كانوا قد اخترقوا كل حشوده ووصلوا إلى الطرف الآخر ، ثم داروا حول أنفسهم وأسرعوا مبتعدين متجهين نحو المدينة ، والملك «سيف» ما يزال يندفع على رأسهم ملوحاً بسيفه الذي تقطر منه الدماء ، وعلى شفثيه ابتسامة ساخرة .

* * *

استطاع «الشعشان» بعد مجهود كبير أن يعيد النظام إلى جيشه المدعور ، وأسرع يركب جواده إلى حيث وقف «العملاق» يحمي الخسائر في الأرواح والعتاد ، فابتدره قائلاً :

- لن نتركهم يفلتون بهذه الفعلة ، لابد لهم أن يدفعوا الثمن غالباً ..
فقال «العملاق» :

- إن الخسائر جسيمة أيها الكاهن الأعظم ، ولنتنظر حتى يستعيد الجنود هدوءهم وثباتهم فما زالوا مدعورين من المفاجأة ..
فقال «الشعشان» في غضب :

- ونحن قادرون أيضاً على الهجوم السريع والضرية المفاجئة ، فلتأمر الجنود بالركوب في الحال ، ولتنقض عليهم قبل أن يحصنوا المدينة فملكها قبل الليل ، ونقتص من هذا الفارس اللعين ..

وهز «العملاق» كتفيه وصاح مصدراً أوامره على عجل .. وسرعان ما كان الجيش مستعداً للزحف ، وقصد حيث وقف «الشعشان» وقال له :

- نحن على استعداد ..

فصاح به وهو يندفع بجواده إلى مقدمة الجيش :

- إذن هيا بنا ولن نقف إلا في داخل المدينة نفسها ..

ولكن فأله قد خاب ، لأن الملك «سيف» كان قد أعد عدته لمثل هذه الهجمة الحمقاء .. فما أن أشرف الجيش المهاجم على الوادي حتى انتهالت عليه السهام الفتاكة كالطر المنهمر .. وتساقط المهاجمون بينما اجفلت الخيل فألقبت من عليها من الفرسان وانطلقت هاربة .. وقبل أن يفيق المهاجمون من هذه المفاجأة الجديدة كان جيش «فان شاه» ينقض عليهم بكل قوته .. وهكذا استطاع الملك «سيف» أن يجعل قوة الجيشين متعادلة ، فالمفاجأة والثقة في جانبه قد عوضت جيشه عن نقص عدده وضخامة جيش عدوه ..

وحاول «العملاق» أكثر من مرة أن يصل إلى أبواب المدينة ، ولكن هجماته القوية سرعان ما كانت تترد خائبة بسبب صلابة الدفاع ، وحاس المدافعين ، وسهام الحراس الذين تركوا فوق أسوار المدينة ..

وحاول «الشعشان» أكثر من مرة أن يطوق الجيش المدافع وأن يغريه فيترك مواقعه التي تجعل من المدينة بأسوارها العالية وحراسها اليقظين قوة تحميه وتعضده ، إلى الوادى الفسيح الذى يمكن أن تبرز فيه قوته وتفوقه العددي ، ولكن محاولاته خابت أمام سرعة الملك «سيف» ويقظته ، إذ كان ينتقل من مكان إلى مكان يحافظ على تماسك الجيش المدافع وترابطه ، واحتفاظه بالمواقع التي اختارها له بكل عناية ودقة ..

واستمرت المعركة الرهيبة دائرة إلى أن بدأ الظلام يخيم على الوادى كله فدفقت طبول الانفصال من جيش «الشعشان» وجاوبتها طبول الانفصال من داخل المدينة .. وتراجع الجيشان وقد تركا منطقة حرام بينهما ..

وقال «الشعشان» «للعملاق» وهما يتجهان نحو الخيمة التي أعدت لها في الموقع الجديد :

– لقد استطاع هذا القصير بجيله والأعيبه أن يقضى على عنصر المفاجأة الذى كنت أعتد عليه في بث الرعب في صفوف جيشه ، وانزال الخوف من عددنا وقوتنا في قلوب جنوده ..

فقال «العملاق» وهو يتبعه إلى داخل الخيمة :

– إن تماسكه اليوم غريب ..

فقال «الشعشان» وهو يجلس في صدر الخيمة :

– ليس في الأمر غرابة ، لقد استطاع أن ينفذ نفس الخطة التي وضعناها ، وأمكنه بالمبادرة والسرعة أن يبعث القلق والرعب في قلوب

جنودنا التي كانت مستعدة للاهتزاز أثر ما تناقله الرجال من أنباء هزيمته
الساحقة لجيش «عبد نار» ..

ثم أطرق مفكراً لحظات ، ثم رفع رأسه وهو يقول :
- ينبغي أن نعيد الثقة إلى جنودنا قبل أن نهجم من جديد هجوماً
شاملاً .. وعلى هذا فمعركة الغد ينبغي أن تبدأ بالمبارزة ..
فقال «العلاق» في ثقة واعتداد :

- سأبرزهم في الغد لأذل فرسانهم ، وأحقر أبطالهم ، وأبعث الرعب في
قلوبهم ..

فاستأنف «الشعشان» الحديث قائلاً :

- وحين نبدأ الهجوم الأخير سيكون عامل الثقة في جانبنا نحن ..

قال الملك «قان شاه» وهو يترجل عن جواده أمام باب القصر ويسلم
زمامه لأحد الحراس :

- لم أشهد يوماً انتزع فيه النصر من الهزيمة مثل هذا اليوم ..

وكان «قان شاه» محمر الوجه من أثر الجهود الكبير الذي بذله طوال
اليوم ، ومن أثر الانفعال الشديد الذي كان يبدو في كلماته .. فقال له الملك
«سيف» وهو يترجل في ببطء عن جواده :

- إن ما حدث اليوم لا يمكن أن يتكرر ، والزمن في صالحهم .. ومد
يده بالزمام إلى الفارس الذي تقدم ليمسك به ، وعرفه حين وقع بصره على
وجهه الصارم فقال وهو يبتسم :

- مرحباً بك أيها القائد ..

والتفت إلى الملك «قان شاه» قائلاً ، وهو يعطى الزمام للفارس :

- إن نصر هذا اليوم يعود إلى هذا القائد وجنوده .

فنظر «قان شاه» إلى الفارس وهتف :

- إنه « حلوان » قائد فرسان الأطراف ..
 ومد يده يصافح الفارس الذى تقدم نحوه فى أدب واحترام ، وقال
 الملك « قان شاه » :
 - لقد سمعت عن الدور الذى قمت به أنت وجنودك ، ولست أدرى
 كيف يمكن أن أكافئكم .
 فقال الفارس « حلوان » :
 - إذا سمحت لى أيها الملك فإن لى ولجنودى رغبة ، لو حققته لنا لكان
 هذا أعظم مكافأة ..
 فابتسم « قان شاه » وهو يقول :
 - اذكرها أيها الفارس ، وستجاب فى الحال ..
 فقال « حلوان » :
 - أن نعمل مع الملك « سيف » فهو هنا وحيد وليس معه جنود ،
 وسنكون من الآن ، لو أذنت ، جنوده ..
 فضحك « قان شاه » وهو يربت على كتف « حلوان » :
 - إننا كلنا جنوده أيها الفارس ، ولكن لك ما تشاء ..
 وقال الملك « سيف » وهو يمد يده مصافحاً « حلوان » :
 - حسناً أيها الفارس ، إنك وجنودك جيش كامل ..
 ثم التفت إلى « قان شاه » قائلاً :
 - والآن إلى الراحة فأحسب أننا نحتاج إلى كل قوانا فى الغد المقبل
 بهجوم « الشعشان » ..

* * *

ومع الأشعة الأولى للفجر أخذ الجيشان الأهبة ليوم حافل ، فاصطف

جيش «قان شاه» أمام أسوار المدينة ، وفي مقدمته وقف «قان شاه» إلى جوار «سيف بن ذى يزن» ووراءهما «حلوان» وجنوده .. وأمامهم وقف جيش «الشعشعان» وفي مقدمته «العلاق» فوق جواد ضخمة ، وقد ارتدى فوق ثيابه درعاً من الفولاذ اللامع وفي يده سيف ضخمة صقيل .. وتقدم «العلاق» إلى وسط المنطقة الحرام ، وصاح في صوت أجش :

- ليتقدم فرسانكم إلى القتال ، واحد لفارس ، أو اثنان لفارس ، أو خمسة لفارس فأنا كفو لكم جميعاً ..

ولم يكده «العلاق» ينتهى من ندائه حتى اندفع إليه أحد فرسان «حلوان» وقد شرع سيفه في يده ، واصطدم به صدمة مروعة ، دوى صوت احتكاك السلاح فيها بالسلاح فخفت كل صوت ، وتطلعت العيون من الجيشين إلى الفارسين اللتحمين ، ترقب كرهما وفرهما ، وتشاهد الضربات العنيفة التى يكيها كل فارس للآخر ، فيتلقاها غريمه فوق درعه ، ثم يتعد بجواده ليعود بسرعة ليرد الضربة بمثلها .. وانعقد فوق الفارسين الغبار ، حتى اخفاهما عن الأنظار .. وما هى إلا لحظات ، حتى تعالى صوت «العلاق» وهو يصيح فى انتصار ونشوة :

- قتل المرتد ، قتل الخائن ..

ونخرج من وسط الغبار المنعقد وسيفه ملوث بالدم القانى ، بينما رقد فارس «حلوان» فوق الأرض قتيلاً .. وعاد «العلاق» يصيح :

- أين الفرسان؟ .. أين الأبطال ..؟.

واندفع «حلوان» يريد أن يثار لفارسه القليل ، فأمسك به الملك «سيف» قائلاً :

- مهلاً ، إن هذا الفارس قوى ، وينبغى أن يقتل فى الحال قبل أن

يملاً قلوب رجالنا بالرعب ، وسأخرج له ..
ولكنه قبل أن يتم كلامه ، شاهد فارساً آخر من فرسان «حلوان» يندفع
للقاء «العملاق» فترك ذراع «حلوان» وهو يقول :
- لقد خرج الأمر من أيدينا الآن ..

ولكن مصير الفارس الثاني لم يكن أفضل من مصير سابقه ، وسرعان ما
كان صريعاً بسيف «العملاق» وهتافات تتعالى من جيش «الشعشعان» بينما
«العملاق» نفسه يجول بجواده وسط الجيشين مختلاً فخوراً ..

وتوالى خروج الفرسان إلى «العملاق» وتوالت انتصاراته عليهم حتى
امتلات قلوب الفرسان في جيش «قان شاه» رهبة منه .. وبينما كان الملك
«سيف» يتأهب للخروج إليه ووضع حد لانتصاراته المتوالية ، كان «قان
شاه» يستعد هو الآخر للملاقاة .. ولكن «الشعشعان» لم يمهل أجداً منهم
للخروج إلى «العملاق» فما كاد يرى الفارسين يحاول كل منها أن يسبق
الآخر إليه حتى أشار إلى الجيش كله بالهجوم الكامل .. واندفع جنوده وقد
تعالت هتافاتهم وصيحاتهم نحو جيش «قان شاه» وسيوفهم تلمع في أشعة
الشمس التي بدأت تتوسط كبد السماء ، وخيولهم تضرب الأرض بسنابكها
في قوة وعنف فتثير سحابة رهيبة من الغبار ..

وكانت الهجمة قوية ومفاجأة فاهتز لها جيش «قان شاه» ، واضطربت
صفوفه ، وأخذ الجند يتراجعون وهم يحاولون رد الضربات المتتالية العديدة
التي تأتي من كل مكان في قسوة وعنف ..

وكان الملك «سيف» يشق طريق العودة إلى صفوف جيش «قان شاه»
إذ فاجأه الهجوم وهو في وسط الطريق إلى حيث يقف العملاق ، بينما اندفع
نحوه عدد ضخم من الرجال وهم يدركون الفرصة المتاحة لهم لمحاصرته
وقتلته .. بينما كان «قان شاه» يحاول أن يجمع رجاله في صفوف منتظمة وأن

يجعل لكل شبر يتراجعه جيشه ثمنًا باهظًا ..

ورأى « حلوان » الموقف اليائس الذى يقفه الملك « سيف » وحده وسط جموع زاخرة من فرسان الأعداء ، فصاح فى رجاله واندفع يشق معهم طريقًا نحو الملك « سيف » .. ووسط المعركة العنيفة التى يخوضها « سيف بن ذى يزن » سمع صيحات الفارس « حلوان » ورجاله وهم يتقدمون نحوه فى بطء شديد .. فكف عن دور الدفاع عن نفسه ، وتخلص من أقرب المهاجمين إليه ، ثم لكز فرسه واندفع ضاربًا بسيفه فى اتجاه « حلوان » ورجاله .. وأخذ الملك « سيف » يشق طريقه ، وهو يطيح بكل من يقترب من طريقه ، بينما كان « حلوان » ورجاله يتقدمون نحوه وسط بركة من دماء الصرعى وأشلاء القتلى .. وصاح « حلوان » :

- من هنا أيها الملك ..

وبينما كان الملك « سيف » ينضم إليه ، كون هو ورجاله نصف دائرة خلف الملك الذى أخذ يتقدم ببطء شديد نحو سور المدينة .. وتبادل الملك « سيف » مع « حلوان » نظرة يائسة وهم يرون الطريق نحو المدينة قد سدته جموع « الشعشان » الزاخرة التى استطاعت أن تكسر رجال « قان شاه » وترغمهم على الالتصاق بالسور لحماية أنفسهم فى وقفة يائسة أخيرة .. وقال « حلوان » فى مرارة :

- هل ضاع كل شىء أيها الملك ..!؟

فقال الملك « سيف » وهو يهوى بسيفه فوق رأس فارس ضخم الجثة ، فيطيح بها :

- لا تدع لليأس مكانًا إلى قلبك ، فلا زالت سيوفنا فى أيدينا .. ولكن كلماته كانت فاقدة الحماس ، فقد تساقط معظم رجال « حلوان » ولم يصبح باقيا منهم إلا حفنة ضئيلة لا تكاد تقوى على الدفاع عن نفسها

طويلاً ، وصاح «الشعشان» وهو يقترب منهم :

- هذا القصير هو «سيف بن ذى يزن» أريده حياً ..

واندفع نحوهم سيل جديد من الفرسان يهجمون في قسوة وعنفة ،
وتهاوى فرس «حلوان» أثر ضربة صائبة من أحد المهاجمين ، فقفز
«حلوان» عن فرسه وهوي دفع عن نفسه السيوف المتسابقة إليه بترسه وسيفه
معاً ، وأسرع الملك «سيف» يقف إلى جواره بجواده يرد عنه السيوف
المتسابقة ونظرات يأس مرير تطل من عينيه ..

وفجأة ارتفع من جانب الوادى صوت كالمدير ، وماج جيش
«الشعشان» وتدافعت صفوفه ، بينما ارتفعت منه صيحات الفزع
والدهشة .. وصاح «العلاق» وهو يندفع بفرسه ناحية «الشعشان» .

- هناك جيش مجهول يهاجمنا من اليسار أيها الكاهن .. وهو جيش
ضخم كثير العدد وفي مقدمته فارس صغير ولكن ضرباته رهيبه مرعبة ..
وبدأ الاضطراب يدب في جيش «الشعشان» وأخذ الرجال يتصايحون
وهو يتساقطون كالذباب وقد عمهم الرعب والفزع .. فصاح «الشعشان»
في الفارس العلاق :

- دق طبول الانفصال ، وليتراجع الجيش إلى مكانه الأول ..

فقال «العلاق» في عناد :

- ولكننا أوشكنا أن ندخل المدينة أيها الكاهن ..

فعاد «الشعشان» يصيح به وهو يتحول عنه متراجعاً :

- دق طبول الانفصال حتى نعرف المهاجمين ونتدبر أمورنا ..

وقال الملك «سيف» للفارس «حلوان» وهو يشهد تراجع جيش
«الشعشان» :

- ألم أقل لك ، لا مكان لليأس طالما سيوفنا في أيدينا ..

فقال «حلوان» وهو يرتكز على سيفه :
- ولكن من هم هؤلاء الأنصار الجدد؟
فابتسم الملك «سيف» وقال :
- إن لم يخطئني الحدس فهذا جيش حمراء اليمن .

* * *

ولم يكن الملك «سيف» مخطئًا ، فقد كان القادمون بالفعل هم جيش حمراء اليمن الذين أنزلهم «عبروص» وأعوانه و «عاقصة» وأعوانها عند حافة الجبل أثناء احتدام المعركة ، وسرعان ما نظم القادمون صفوفهم حين أدركوا الاتجاه الذى تسير فيه المعركة ، وتقدم «دمر» الفرسان صائحًا ، ووراءه «سعدون» و «ميمون» و «سابك الثلاث» و «دمهور» ينقضون كالصاعقة على جانب الجيش المتشظى بالانتصار الوشيك ، فأحدثوا فى صفوفه هذا الرعب والفرع الذى دفع «الشعثان» إلى الانسحاب هو وجيشه .. وقال «دمر» وهو يواصل هجومه :
- إنهم ينسحبون عن أسوار المدينة ..
فقال «سعدون» وهو يتابعه فى اندفاعه :
- إننى أسمع طبول الانفصال ..
فوقف «دمر» ووقف وراءه رجاله .. ثم قال :
- هيا إلى المدينة ، ولنترك للملك «سيف» أن يقرر أمر المعركة ..
وكان لقاء الملك «سيف» بابنه «دمر» ورجاله القادمين معه لقاء حافلاً ، اشترك فيه كل سكان مدينة دوريز الذين أنقذهم القادمون من هزيمة محققة .. وقال الملك «سيف» لابنه وهو يضمه إلى صدره :
- لقد صرت فارسًا يا «دمر» ..

فقالَت الحكيمَة «عاقلة» وهى تصافح الملك «سيف» :
- إنه كأيهِ أيها الملك ، وقد تولى «سعدون» تدريبه وتعليمه كل فنون القتال ..

فقال الملك «سيف» وهو يصافحها ، ثم يصافح «برنوخ» الساحر و «أنخيم الطالب» وفرسانه القادمين :

- ما أسعدنى برؤياكم هنا.. حقاً إنكم ذخروعتاد وقت الشدة والمحنة..

فقال «أنخيم» الطالب :

- لقد أوحشتنا أيها الملك ، ولو ملك كل أهل حمراء اليمن أن يأتوا معنا

لجاءوا ..

فقال الملك «سيف» وهو يشير ناحية «قان شاه» الذى كان يتقدم نحوهم :

- هذا صديقى الملك «قان شاه» ملك مدينة دوريز ، وهو الذى أنقذنى

من حصار الأعداء فى مدينة البنات ، وكانوا قد أوشكوا أن ينالونى ..

واتجه «دمر» إلى «قان شاه» ومد يده مصافحاً وهو يقول :

- مرحباً بك أيها الملك ، لقد حكمت لنا الملكة «منية النفوس» الكثير

عن شهامتك وشجاعتك حتى لقد اشتاقت نفوسنا أن تراك ..

فصافحه «قان شاه» وهو يقول :

- لقد كان مجيئكم الآن نعمة من السماء ..

وقاطعه الملك «سيف» قائلاً :

- سنبداً غداً معركتنا الفاصلة مع «الشعشان» ولهذا ينبغى أن يستريح

الجيش المتعب الذى خاض معركة باسلة اليوم ، كما ينبغى أن يستريح

القادمون من مشقة الرحلة .. ولنأخذ أهبتنا للغد الحافل فلن يسكت عنا

«الشعشان» ..

* * *

قفز «الشعشان» من فوق ظهر حصانه ، وأسرع يدخل خيمته مضطرباً وهو يصبح في الحراس الواقفين حولها :
- لا تسمحوا لأحد بالدخول معها كان الأمر ..

ثم خلع عنه رداء الحرب في حركات عصبية سريعة ، وارتدى مسوح الكهنة وهو يطلق فوق النار المشتعلة وسط الخيمة في إناء رخامي كبير قبضات من البخور المعطر ، فيرتفع دخانها الكثيف يملأ جو الخيمة كلها ويعبقها برائحة غريبة نفاذة .. ومضى «الشعشان» يرقص حول الإناء وهو يبههم ويدمدم ، ثم ضرب بقدمه فظهر أمامه مارد ضخم من مردة الجان .. وقال له «الشعشان» وقد اغبر وجهه ، وجحظت عيناه ، وتقلصت راحته :

- إذهب وائتني بهذا الملك القصير وأعوانه أجمعين ..

فبدأ الذعر على وجه المارد ، وانحنى أمام «الشعشان» وهو يقول :
- أيها الكاهن الأعظم ، هذا ليس في طاقة مارد من مردة الجان ، فالملك «سيف» يرتدى منطقة مطلسمة تحرق كل من يقترب منه من الجان .. أما أعوانهم فهم من كبار السحرة وعلماء الحكمة الذين يسخرون الجان لخدمتهم ، وليس في مقدور واحد منا أن يقترب منهم أو يمسه بسوء دون أن ينالوا منه ويوردوه موارد التهلكة والتلف ..

فنظر إليه «الشعشان» في إمعان ، ثم قال وهو يضغط على ناخذه بقوة :

- إذن أنت لاتقوى عليهم .. سحرى وكهانتى تفوق سحرهم .. وأنا

لهم .. وسأريهم حرباً لم يروها من قبل ..

ثم صاح فيه وهو ينصرف إلى النار يلق فيها بقبضة جديدة من

البخور :

- انصرف ..

ومضى من جديد يطلق الطلاسم والتعاويد ، ويرقص حول النار في
حركات غريبة ..

* * *

عندما اصطف الجيشان في الصباح الباكر ، كان من الواضح أن كلا
منهما قد عقد العزم على إنهاء المعركة في هذا اليوم .. وكان الملك «سيف» قد
أعاد تنظيم جيش مدينة دوريز بقيادة «قان شاه» وأعطاه الميمنة ، بينما كان
رجال حمراء اليمين على المسيرة وفي مقدمتهم «دمر» ووقف هو في الوسط
وراءه «حلوان» ومن معه من الفرسان .. وقبل أن يصدر الملك «سيف»
أمره بالهجوم الشامل على جيش الأعداء خرج من وسط جيوشهم فارس
ضخم مدجج بالسلاح ، تلمع دروعه في أشعة الشمس الوليدة .. وصاح
«قان شاه» وهو يندفع نحوه مشرعاً سيفه :

.. هذا «العملاق» قاتل رجالى .. اليوم يوم الثأر لهم ..

وسرعان ما كان لصدامهما صوت مسموع مخيف ، تلته أصوات ارتطام
السيوف في صرير يصم الآذان بينما كان صياح الفارسين وهما يتبادلان
الضربات القوية القاتلة يتجاوب مع سهيل جواديهما واحتكاك درعيهما ،
وصيحات الجنود من كلا الجانبين كلما بدا انتصار أحدهما على الآخر ..
وانفصل الفارسان وابتعدا بجواديهما ، ثم عادا يلتحجان من جديد في
حلق وعناد وقوة .. وفجأة ارتفعت صيحة ظفر وانفجر الغبار عن الفارسين
وبدأ العملاق وهو يحمل «قان شاه» فوق ذراعه وقد أسره بحيلة غادرة ، ثم
أسرع به إلى جنوده يتركه بين يديهم ، وعاد إلى الميدان من جديد وهو يلوح
بسيفه في تحد واستخفاف .. وارتج الميدان من صيحة قوية حادة ، واندفع
نحو «العملاق» فارس جديد تتزلزل الأرض تحت وقع سنابك جواده ..
وهمس الملك «سيف» في قلق وهو يضع يده فوق مقبض حسامه :

- إنه «دمر» ..

وكان يندفع نحوه ليغديه ، أو يلقي عدوه بدلاً منه ، لولا أنه أحسن بلمسة رقيقة فوق ذراعه ، وحين التفت وجد «سعدون» قد اقترب منه بجواده ، وكانت بسمته تملأ وجهه وهو يقول :

- لا تخش شيئاً أيها الملك ، فليس هذا الفارس من رجال «دمر» ..
وحاول الملك «سيف» أن يرسم على شفثيه ابتسامة مطمئنة ، ولكن النظرات القلقة التي كان يتابع بها سير المعركة بين ابنه والفارس «العلاق» كانت تكشف عن اضطرابه وخوفه .. ولكن سرعان ما كانت هذه الابتسامة تتسع لتشمل وجهه كله وهو يشاهد تلك الضربة القوية الماهرة التي هبطت كأنها الصاعقة فوق عنق «العلاق» فأطاحت به في الحال .. وارتفع صياح الانتصار من جيش «قان شاه» بينما ساد الوجود صفوف الكاهن «الشعشان» .. و «دمر» يجتال بجواده بين الصفين المتقاتلين ، وهو يصيح :

- أين فرسانكم ؟ .. أين رجالكم ؟ .. أين أبطالكم يا عبدة النار ؟ ..
واندفع نحوه فارس حائق من فرسان الأعداء ، فصال معه مرة واحدة ثم ارتفعت صيحة «دمر» الظافرة ورأس عدوه يطير عن جسده أثر ضربة موفقة جديدة انتزعت صيحات الهبة من جانب وددمات الغضب والحلق من جانب آخر .. وتلاه فارس آخر ما لبث أن لقي مصير سابقه .. وتتابعت الفرسان و «دمر» لا تحيب له ضربة ، ولا يكمل له سيف إلى أن امتنع فرسان «الشعشان» عن الخروج إلى سيفه الذي لا يرحم .. فأخذ «دمر» يحول بفرسه بين الفريقين ثم عاد والدماء تغطي جسده وسلاحه وجواده ليلقاه أبوه بين ذراعيه ويقبله بين عينيه .. بينما اندفع «سعدون» الزنجي إلى وسط الميدان يتحدى من جديد باسم جيش «قان شاه» ..

وخرج لـ «سعدون» أكثر من فارس ، ولكن النهاية التي انتهوا إليها جعلت الجميع يعرفون أنه نار رهية تلتهم كل ما أمامها دون هوادة ولا رحمة .. وأحس جيش «قان شاه» رغم فقد ملكه أنه في موقف القوة ، وأن طريق النصر مفتوح أمامه بأمثال هؤلاء الفرسان .. وعاد «سعدون» ليحل محله «دمهور الوحش» ثم «سابك الثلاث» ثم «ميمون الهجاء» وكل منهم يترك في الميدان من جثث ضحاياه وصرعى سيفه ما يشهد له بالتفوق والغلبة .. وقال «الشعشان» و «ميمون» يعود بين صيحات الظفر من جنود «قان شاه» :

- إن الجن لتخاف من هؤلاء حقاً .. ولكن دواءهم عندي ..
وصاح أمراً فرسانه بالتراجع .. ثم لكر جواده وهو يقول لقادة جنده :
- لن يخرج إلى هؤلاء غيرى ، ولن ينقضى النهار إلا وألحقهم بـ «قان شاه» ..
ثم برز وسط الميدان وجال فوق فرسه جولات وهو يقول :
- لقد انتهى الهزل أيها الفرسان ، وجاءكم حامل الموت وحارس باب النار المقدسة ..
وساد الصمت كلا الجانبين .. بينما همس «حلوان» في أذن الملك «سيف» ..

- هذا هو الكاهن «الشعشان» ..
ثم لكر جواده بقدمه ولوح بسيفه واندفع منقضاً عليه .. ولكن «الشعشان» لم يكن فارساً كالفرسان ، وإنما كان عملاقاً هائلاً مخيفاً يعرف كل فنون القتال وحيله ، فتلقى ضربات «حلوان» في مهارة وحذق ، ثم وقف بجواده فجأة حتى حاذاه «حلوان» في اندفاعه ، فغاص متجنباً ضربته

السريعة ثم انقض يرفعه من وسطه بين ذراعيه القويتين ويقوده إلى جنوده أسيراً بين صبيحتهم المتعالية ، وقد بدءوا يحسون بطعم الظفر والنصر..

وصاح «سعدون» في الجنود :

- لا يخرج إليه أحد منكم ، إنه فارس كبير ، ولسنا نريد له مزيداً من الانتصارات ..

ثم اندفع بفرسه نحوه وهو يلوح بسيفه الكبير ، وتلقاه «الشعشان» مبادلاً إياه الضربات القوية بمثلها وهو يحاوره ويداوره ، ولكنه سرعان ما أدرك أنه يجابه فارساً من طبقة غير التي عرفها .. وأدرك أنه إن استمر معه في المباراة فسوف يهزمه لا محالة ، فضى يداوره في حذق وهو يتمم ويدمدم ، ويتلو التعاويذ .. وسرعان ما أحس «سعدون» بتخاذل ساعديه وإحلال قوته وهمود حركته ، ومد «الشعشان» يده فأمسك بـ «سعدون» يرفعه من فوق جواده ويحمله إلى جنوده أسيراً لا يقوى على الحراك .. ثم عاد إلى الميدان من جديد وهو يتسم لنفسه في خبث وتشف ..

ولم يكن حظ فرسان الملك «سيف» الآخرين أسعد من حظ «سعدون» فقد لحق به في أسر «الشعشان» «ميمون الهجاء» و «دمهور الوحش» و «سابق الثلاث» وقال الملك سيف في دهشة :

إنه فارس قوى حقاً ولكنه ليس من طبقة هؤلاء الفرسان ، فكيف بالله استطاع أن يأسرهم بهذه السهولة وبهذه السرعة ؟..
فقال «دمر» :

- لست أقل دهشة منك يا أباي ، ولكن لعله يتقن من الحيل ما لا يعرفون..

ثم اندفع بفرسه نحو «الشعشان» الذي كان يقف وسط الميدان يتسم في

خبث وهو يلوح بسيفه في تحد .. وقال «الشعشان» وهو يتأمل وجه «دمر» :

- أنت صغير أيها الفارس ، وليس هذا مكانك ..

فصاح به «دمر» وقد استبد به الغضب :

- إننى قاتل فارسك «العلاق» وقد جثت ألحكك به ..

فصاح به «الشعشان» فى حنق ، وقد فقد هدوءه :

- إذن فهو أنت ..

وانقض عليه فى عنف بضربة قوية جبارة ، فتجنبا «دمر» فى مهارة ، ووجه إليه ضربة قوية ماهرة تلقاها «الشعشان» على درعه فحطمت الدرع ، ولكن «الشعشان» نجح منها وتراجع بجواده خطوات وقد عرف أن «دمر» رغم صغر سنه فارس لا يقل عن سبقوه فى المهارة والقوة ، فعاد إلى ابتسامته الحبيبة وتمماته السريعة الخافتة وهو يداور «دمر» ويحاوره .. وكان «دمر» قد أحس أنه قريب جداً من الظفر بخصمه ، فأخذ يضيق عليه الخناق وضرباته تتوالى فى سرعة وقوة .. ولكن سرعان ما كان ساعده يثبتان إلى جانبيه وقد رفضنا أن تستجيبا له ، بينما أحس بالخطر عملاً جسده وعقله ، وكمن يعيش فى حلم ثقيل أحس بنفسه يرفع من فوق جواده وامتلأت أذناه بصيحات وحشية كلها الظفر والتشفى ، ثم حملته أيد عملاقة وألقت به إلى الأرض ولم يعد يحس شيئاً ..

ولم ينتظر الملك «سيف» وهو يرى ابنه يؤخذ أسيراً بل اندفع نحو «الشعشان» وقد صمم على قتله مهما كان الثمن .. ولم يجد «الشعشان» فرصة ليبادل مهاجمة أى كلام فقد كان هجومه خاطفاً سريعاً وقويماً اضطرب إزاءه إلى التراجع بسرعة ، وهو لا يكاد يقوى على صد الضربات المحكمة الخائفة التى تنال عليه من كل اتجاه والسيف يدور فى اليد المدربة فى حذق

وبراعة ، فقال «الشعشان» وهو مستمر في تراجعه :

- إذن فأنت الملك «سيف بن ذى يزن» ..

فتوقف الملك «سيف» عن هجاته المتتالية ، ونظر إليه قائلاً :

- وأعرض عليك الإيمان أيها «الشعشان» وفك من لديك من

الأسرى ..

فضحك «الشعشان» وهو يداور الملك «سيف» ويتلو تعاويذه همساً ،

وقال في صوت مرتفع :

- وماذا سأستفيد أيها الملك ..؟

فقال الملك «سيف» وقد طمع في إيمان «الشعشان» :

- أضحك إلى أتباعي ، وتصبح على رأسهم جميعاً ، واضمن لك أن

تحكم بلادك وقومك ..

فعاد «الشعشان» إلى مداراته ، وهو مستمر في التلاوة والمهممة ،

وقال :

- وماذا تريد مني مقابل هذا ..؟

فقال الملك «سيف» وقد ازدادت رغبته في إيمان «الشعشان» :

- ترك عبادة النار ..!

- وهنا ضحك «الشعشان» ضحكة وحشية رهيبة وهو يقول :

- ولماذا أيها الملك ، إنها تعطيني القوة والنفوذ والحكمة والسحر ، وأنت

الآن أسيرى ..

وحاول الملك «سيف» أن يرفع يده بالسيف فخذلته ، فأدرك أنه وقع

فريسة لسحر الكاهن الغدار ، فحاول أن يعود إلى صفوفه ولكن فرسه

لم يتحرك .. ورفعه «الشعشان» بين صيحات جنوده الذين جنوا من

الفرح ، من فوق فرسه ليسلمه إلى الجنود قائلاً في سخرية :

- ضموه إلى رجاله ليعلمهم الإيمان ..
وقالت الحكيمة «عاقلة» لـ «برنوخ» الساحر ، و «أخميم الطالب» :
- إنه السحر ، لقد ظلت أراقب الملك «سيف» عن قرب ، وقد
رأيت ذلك الملعون وهو يداوره بالكلام حتى ألقى عليه باب الهمود .. وأنا
خارجة له لأريه عاقبة سحره ومكره ..
ثم اندفعت نحوه مسرعة وهي تقول له :
- أتخارب الفرسان بالسحر والكهانة ، وتزعم لنفسك الفروسية والبطولة
أيها الجبان ..

فالتفت إليها «الشعشان» وهو يقول :
- ومن أنت أيتها المعجوز الخرقاء ..؟
فقالت وهي تتلو تعاويذها :

- أنا الحكيمة «عاقلة» ربة السحر والكهانة ..
ثم نزعت شعرة من رأسها وقذفته بها وهي تواصل قراءة تعاويذها ،
فإذا بالشعرة حربة مسنونة تندفع نحو قلبه في سرعة .. ورأى «الشعشان»
الشعرة في يدها ، ثم رآها حربة في الهواء فأدرك أنها ساحرة ماهرة ، وأسرع
يتلو تعاويذه وهمهاته ، فسرعان ما تحولت الحربة إلى شعرة مرة أخرى
وسقطت إلى الأرض .. وانحنت الحكيمة «عاقلة» إلى الأرض تمسك بخصية
من الرمال وهي تقلدها به وهي تهمهم وتقول :
- كوفي نخلا يأكل بدنه ..!

فأسرع «الشعشان» يرد النحل رملاً يدخل عينها ، فردته دخاناً يملأ
أنفه .. واستمررا يتبادلان أبواب السحر والكهانة .. وكلما فتحت باباً سده ،
وكلما رمته بمحنة صدها إلى أن أتعبها وأكربها ورمى عليها باب الهمود
وانترعها انتزاعاً من فوق جوادها ليقودها أسيرة ذليلة ..

وخرج إليه «برنوخ» الساحر فلقى مصير «عاقلة» ثم خرج إليه «أخميم الطالب» فلم يكن حظه بأحسن من حظها ، وقاده «الشعشان» أسيراً وهو يتسم لنفسه في ظفر ويصيح في جنوده :
- دقوا طبول الانفصال فقد أسدل الليل أستاره على الوادى ..

* * *

وقال «عروض» في غضب :
- أنشهد أسر ملكنا وقرهنا وحكامنا ونحن سكوت ..؟
فقالت «عاقصة» في مرارة :
- هذا ساحر رهيب يا «عروض» وليس يجدى معه القوة ولا المهارة ، ولنتنظر حتى الصباح فربما كان لنا فيه فرج ..
ثم أمرت بدق طبول الانفصال وعودة الجنود إلى المدينة في انتظار الصباح ..

* * *

قال الملك «سيف» للحكيمة «عاقلة» حين أفاقت لتجد نفسها مقيدة وسط الأسرى الآخرين .
- لا بأس أيتها الحكيمة ، لقد تركز كل أمل فيك أنت و «برنوخ» و «أخميم» بعد عجزنا عن أسر هذا الملعون .. ولكنى أفقت لأجدكم تقادون أسرى واحداً أثر الآخر ..
فقالت الحكيمة «عاقلة» وهي تطرق برأسها إلى الأرض :
- إن هذا الملعون قد فاقنا جميعاً في ميدان السحر والكهانة ..
فقال «دمر» في اندفاع :

- لو وضعت يدي عليه لمزقته حياً ..

فقال الملك «سيف» :

- إن مثله خسارة في الموت ، ولو انضمم إلى صفوفنا لكان قوة لنا

لا يستهان بها ..

فضحك «أنخيم الطالب» في مرارة وهو يقول :

- إن مثله لن يعرف الإيمان إلى قلبه سبيلاً فهو معتز بنفسه معتد

بقوته ، وهو يتحايل على النصر بكل سبيل .. ومثله لا يعبد إلا نفسه ..

فقال «برنوخ» الساحر مكماً :

- إن من عبد نفسه فقد قلبه وعينه ، فهو لا يحس ولا يرى ..

فعاد «دمر» يصيح :

- ليس له سوى القتل ..

وقبل أن يجيبه الملك «سيف» سمع الجميع صوت وقع أقدام ثقيلة ..

ثم دخل «الشعشان» الخيمة وجعل يحيل بصره فيهم .. ثم قال وهو يدور

على عقبه خارجاً :

- سوقوهم إلى خيمتي مكبلين ، ولتمزقوا على كل منهم في كل خطوة

عصا غليظة .. فلست أريدهم أن يصلوا إلى الخيمة إلا وفوقهم ثياب

زاهية من دماهم ..

ثم انصرف وهو يضحك في وحشية .. بينما انقض جنوده على الأسرى

بعضهم الغليظة يضر بهم في قسوة وعنف .. وتدافع الأسرى في كل اتجاه

يتحامون الضربات الوحشية التي تنال عليهم من أيد لا تعرف الرحمة ..

وصرخت الحكيمة «عاقلة» وإحدى الضربات تمزق جلدها ، بينما زجر

«دمر» في وحشية وهو يتلقى ضربة فوق ذراعه .. وقال «سعدون» وهو

يتخبط في قيوده :

- احفظوا هذه الوجوه فلنا معها حساب لا بد أن يسوى ..

* * *

كان «الشعشان» جالسًا وسط الخيمة الكبيرة وحوله حرسه المدججون بالسلاح ، ووسط الخيمة إناء بللورى ضخم تزينه الرسوم الملونة ، ومنه يتصاعد دخان كثيف وروائح نافذة ووهج النيران المشتعلة ، حين سبقت الفتيات إليه تتقدمهن «نور الهدى» و «مرجانة» .. وقال «الشعشان» وهو ينظر إليهن بعينين متقدتين :

- لقد آن الأوان لتنفيذ اتفاقنا القديم ..

وهمست «نور الهدى» ل «مرجانة» فى صوت مضطرب :
- إن قلبى يحدثنى بوقوع أمر جلال يا «مرجانة» .. أسمع من كلام هذا الملعون ؟..

فقال «مرجانة» فى همس وهى تقف إلى جوارها :

- إن نظراته تشبه نظرات المجانين والمحبولين ..

وعاد «الشعشان» يصيح ، وفى صوته رنة انتصار وحشى :
- لقد وقع القصير فى يدى أيتها الفاتنة وكذلك كل رجاله ، وهذا المارق «قان شاه» وسترين بنفسك عذابهم قبل الموت ..
وكادت «نور الهدى» تتهاوى لولا أن امتدت إليها ذراعا «كوكب» تسندانها .. وهمست فى ضعف :

- «قان شاه» أسر ..!؟

فقال «مرجانة» فى صوت مضطرب :

- يبدو أن الملك «سيف» أيضًا قد أسر ..

وعاد «الشعشان» يصيح من جديد وهو يصفق بيديه :

- أحضروا الطعام والخمور لتشرب على وجوه الحسان ، ونطرب بصيحات الأسرى المهزومين ..

وبينا ساد الوجوم كل الفتيات ، انطلقت الضحكات العابثة الساخرة من الجنود ، ودخل الخيمة مجموعة من الرجال يحملون الطعام وأواني الشراب يضعونها في كل مكان من الخيمة ، بينما دخل آخرون يحملون المشاعل المضيئة التي أحالت ما بدأ يشيع في الخيمة من ظلام إلى نور قوى وضوء ساطع .. وعاد « الشعشان » يصبح وهو يملأ قدحا كبيرا من الخمر :

- افتحوا الخيمة من أمام وانصبوا أمامها العواميد بعدد الأسرى وأشعلوا النار الكبيرة التي ستلتهم قرابينها في الوسط ..

ثم رفع قدحه إلى فمه يشربه في جرعة واحدة ، ووضعه أمامه وهو يصبح من جديد :

- ولتغن الفتيات جميعهن .. عاش « الشعشان » سيد الرحماء ، وملك الأرض والسماء ..

ولم تنطق الفتيات بكلمة ، بل أخذن ينظرن إلى بعضهم البعض في حيرة وقلق .. وملأ « الشعشان » كأسه بينما ارتفعت جوانب الخيمة كاشفة ميداناً فسيحاً وسطه حفرة عميقة ترتفع منها ألسنة نيران كبيرة .. وشرب الكاهن الكأس المترعة بينما تعالى صوت الدق ، والجنود يقيمون حول النار أعمدة مرتفعة من الحديد .. ووضع كأسه وهو يصبح في غضب :

- ألا تردن الغناء لى ؟.. أيها الجنود أحضروا الجلادين لعل سياطهم تعلمهم كيف يرفضن ..!

ثم أهب من مجلسه مسرعاً وجذب « نور الهدى » من شعرها وهو يقول في سخرية وعنف :

- أتمسبين أنني صدقت كلامك المزوق .. لا ، لقد عرفت كل شيء ..
أنت تطمعين في الزواج من ذلك الخائن المرتد « قان شاه » وسأسلخ جلده
حياً أمامك ، وأجعل من جلده فراشاً تنامين معي فوقه ..!
ثم انطلق يضحك وهو يدفع بها بعيداً لتسقط فوق وجهها متكومة على
الأرض .. وهرعت نحوها « مرجانة » ترفعها عن الأرض وهي تصيح في
الكاهن الخمور :

- أهكذا تعامل امرأة لا حول لها ولا طول ..!؟

فكف « الشعشان » عن الضحك ، والتفت إليها قائلاً في بطء :
- سترين كيف أعامل النساء ..!

وصاح في الجلادين الذين تدفقوا إلى الخيمة قائلاً :

- اجلدوهن ..!

وارتفع صياح الفتيات ممزوجاً بضحكات « الشعشان » وأصوات وقع
السياط تمزق الجلود الرقيقة تمزيقاً .. وصاحت « مرجانة » في الفتيات :
- أتتركن هذا الجرم. يلنذ بصراخكن .. لقد عانيتن ما هو أسوأ من هذا
العذاب وكنتن صامدات .. اقتلنه بصمتكن ، بعدابكن الذى لا يتكلم ،
بالحق الذى لا ينطق ..

وصمتت الفتيات رغم وقع السياط التي تمزق الجلود تمزيقاً ، بينما
التفتت « مرجانة » نحو « الشعشان » الذي أذهلته المفاجأة فسبكت ،
وصاحت به في عنف :

- ماذا تريد أيها « الشعشان »؟ .. أتريد أن نغني لك ، سنغني لك
ونملاً الدنيا غناء باسمك ، وكلما ارتفعت أصواتنا المعذبة تنطق باسمك حلت
عليك اللعنات واقتربت بك من نهايتك ..

ثم التفتت « مرجانة » نحو الفتيات ، وقالت لهن :

- لنغن له يا فتيات ، قولوا معى على وقع السياط ومن بين أنات
الأمم .. عاش «الشعشان» سيد الرحماء .. وملك الأرض والسماء .. !
وانبعثت أصواتهن حزينة معذبة تغنى الكلمات فى وقع رهيب ، فكفت
أيدى الجلادين عن الضرب واشربت أعناق الجنود بينما صمت كل شىء فى
الخيمة .. وما كادت الفتيات ينتهن من ترديد الجملة التى أرادهم أن يغنوها
حتى دفع «الشعشان» ما أمامه من طعام قاذفًا به إلى الأرض ، ونهض
واقفًا وقد شحب وجهه وتقلصت شفتاه .. ولكنه قبل أن ينطق بشىء ظهر
موكب آخر رهيب .. جمع كبير من الجنند يحيطون بالفرسان المقيدين
بالسلاسل وهم يضربونهم فى عنف بعضى غليظة ، والدماء تتفجر من كل
أجزاء أجسادهم ، ولكن شفاههم صامته وعيونهم ثابتة ووجوههم تحمل
تعبيرًا ثابتًا رهيبًا .. والتفت «الشعشان» بوجهه إلى الموكب السائر فى
بطم ، وبدأت ملاحظه تنفرج عن ابتسامة بشعة قبيحة .. وهمست
«مرجانة» :

- إنه الملك «سيف» وفرسانه ..

وهمست «نور الهدى» فى ذعر :

- إنه «قان شاه» ..

وأسرعت «مرجانة» تقول فى صوت منخفض ونبرات سريعة منفعة :

- إن هذه فرصتنا أيتها الملكة .. اسرعى إلى «قان شاه» وضميه
صارخة ، واحدى أكبر ضجة ممكنة وأظهرى له كل حب حتى يحن جنون
«الشعشان» وتستثار غيرته ، لعل فى هذا خلاصنا ..

ولم تتردد «نور الهدى» .. فما أن توسط الأسرى الميدان حتى اندفعت
صارخة فى وله :

- «قان شاه» .. !

ثم ارتمت فوق الأسير تقبله وهي تصرخ وتبكي ..
وبينا وجم «قان شاه» وذهل ، أحس «الشعشان» بالنار تأكل قلبه ،
والحرب المسمومة تنقض لتطعنه في كبرياته ، فاندفع كالمجنون نحوها يركلها
بقدمه ، ويركل «قان شاه» بعدها ويصيح :
- هذا الخائن هو من تفضلين ..!؟.

وبينا كان «الشعشان» يهذى ويصرخ ويضرب «نور الهدى» و «قان
شاه» قالت «مرجانة» لـ «كوكب» :
- هذه فرصتنا فلنتهزها ..

فقالت «كوكب» وهي تجبس انفعالها في صعوبة :
- كيف ..؟.

فقالت «مرجانة» من بين أسنانها :
- اتبعيني في صمت ، فستسلل من وسط الخيمة أثناء انصراف الجميع
إلى هذا المشهد المثير ..

* * *

وتمكنت «مرجانة» و «كوكب» من التسلل وسط الخيمة والاختفاء في
الظلام ، بينما كان «الشعشان» يأمر رجاله بربط الفرسان في العواميد
الحديدية ، على أن يربط «قان شاه» و «نور الهدى» في الوسط .. وهمست
«مرجانة» في اذن «كوكب» وهما جاثمتان ترقبان ما يحدث من بعيد :
- إنه يريد صلحهم ليهدم روح الجنود فيسلمون إليه المدينة ..
فقالت «كوكب» :

- لقد وضعوا الفارس «حلوان» في آخر الحلقة ، ويكاد عموده يكون
في الظلام ..

وشدت «مرجانة» على يدها في صمت وهي تهمس :
- لن تتمكن من التسلل إليه إلا إذا حصلنا على زى جنود
«الشعشان» ..

وتسللت الاثنتان في سرعة وابتلعها الظلام .. ومن بعيد ارتفعت آهة
مكتومة واختفى أحد الحراس .. وبعد قليل ارتفعت آهة أخرى في الظلام
واختفى حارس آخر .. وما هي إلا لحظات حتى كان هناك شبهان في زى
جنود «الشعشان» يتسللان في صمت ناحية آخر الحلقة المشتومة التي صلب
عليها الملك «سيف» وفرسانة ..

* * *

وكان «الشعشان» قد عاد إلى الخمر يشرب منها في انتشاء ، وهو يواجه
الملك «سيف» قائلاً :

- رأيت أيها القصير ، ها أنت مربوط كالكلب على عمود من
حديد ، وفي الصباح ستشنق أمام جنود المدينة ويبطل تأثيرك عليهم ويعود
إلى ملك الوادي ..

فقال له الملك «سيف» في هدوء :

- أنت تحسب أن كل شيء قد دان لك لأن كل من تخافهم قد أصبحوا
في القيود ، ولأنك استطعت أن ترغم الأسيرات على الغناء باسمك .. إن
هذا لا يعني إلا شيئاً واحداً .

فقال «الشعشان» وهو يتسم :

- انتصاري ..

وعاد صوت الملك «سيف» الهادئ يقول :

- بل نهايتك ..

ولم يسمع الفارس «حلوان» رد «الشعشان» الغاضب لأنه سمع همساً إلى جواره ، ثم أحس بأيدٍ مدربة حاذقة تنزع قيوده في صمت .. وخفق قلبه في عنف والقيود تتساقط واحداً إثر الآخر ، وحين سقط القيد الأخير سمع صوتاً هامساً يقول :

- أسرع وكن على حذر ..

واندفع «حلوان» غائصاً إلى الأرض بسرعة ، ثم زحف مبتعداً عن العمود المنصوب بينما احتل مكانه جسد جديد وقف لصق العمود وكأنه مقيد بالسلاسل كما كان «حلوان» مقيداً .. وأحس بيد تلمس كتفه وصوت هامس يقول :

- اتبعني في صمت .. هذه «كوكب» أخذت مكانك حتى لا يشك أحد في غيابك ..

* * *

كان «دمر» هو أكثر فرسان الملك «سيف» قلقاً وأشدهم حنقاً .. وربما كان هذا يرجع إلى أنه كان أحدثهم سناً وأقلهم تجربة ، وربما لأنه كان يطير على رأس فرسان حمراء اليمن وهو يرسم لنفسه دور المنقذ الذي سيخلص أباه وينصره في معركته مع أعدائه ليثبت له أنه غداً رجلاً جديراً بالاعتبار والتقدير .. وعلى هذا فقد كان الحقن يمزق صدره تمزيقاً وهو يشاهد «الشعشان» يعود إلى «نور الهدى» حيث وقفت مقيدة إلى جوار «قان شاه» ويلصق وجهه الكريه بوجهها الغض وهو يقول :

- كنت تسخرين مني وأنت تغنين مع الفتيات باسمي .. والآن عليك أن تعني لى طالبة الرحمة كلما شاهدت النار تأكل حبيبك عضواً عضواً .. ثم مضى يضحك وهو يقول في سخرية :

— كم أنا مشتاق إلى سماع صوتك العذب .. !

وكادت دموع الحق تقفز من عيني «دمر» .. أهذه هي الحرب ؟ .. من يملك الخدعة والحيلة هو الذى ينتصر .. بالكهانة والسحر أو الخدعة والمكر ، سيان .. الفروسية والشجاعة وحدها لا تكفى ، القضية العادلة والدفاع عن الحق وحدها لا تكفى .. الاستهانة بالحياة والسلامة وحدها لا تكفى .. أهذه هي ساحات الغار التي حدثه عنها «سعدون» أحاديث طفولته وصباه .. وكانت المرارة تقطر عصارتها السوداء في قلب الفتى حين سمع صوتًا هامسًا وراءه .. وظن أنه فحيح النار المشتعلة .. ولكن الصوت عاد من جديد وكان يردد اسمه ، وكذب نفسه وهو يحسب أن اليأس يصور له أشياء لا توجد إلا في خياله .. ولكنه أحس بيد تربت على كتفه فارتجف .. حين أحس بهذه اليد تعبت في قيوده جال بعينية حوله بسرعة وجهد في مكانه ، وقلبه يتواثب في صدره ، والدعوات تكاد تتصايح من شفثيه .. وقال الصوت الهامس حين سقطت آخر قيوده :

— أسرع ..

واندفع «دمر» إلى الأرض ومضى زاحفًا خلف الشيخ الذى يتحرك أمامه ، وحين التفت وراءه كان هناك إنسان آخر يقف مكانه أمام العمود .. وأسرع حتى اقترب من الشيخ الزاحف وهو يهمس :

— هناك من أخذ مكانى عند العمود ..

فقال الصوت الهامس الذى استطاع «دمر» أن يتبين فيه صوت «حلوان» الفارس الذى كان يلزم أباه :

— إنها «مرجانة» ..

ثم رفع يده مشيرًا إلى خيمة بعيدة ، وقال :

— أسرع إلى خلف هذه الخيمة لتتدبر أمرنا ..

واستمر «دمر» في زحفه ، وطنين مخيف يملأ رأسه ، استطاع - وهو يرتجف - أن يكشف أنه دوى ضربات قلبه ، بينما كان العرق البارد يبلل رقبته وظهره وذراعيه .. أبداً لم يحس هذا الإحساس وهو يواجه أشجع الفرسان في ميدان القتال .. لم يرتجف قط وهو يرى السيوف اللامعة تهوى فوقه بأيدي مدربة قوية ، كان ساعتها يحس أن جسده كله يتحفز ، وأنه حاضر الذهن صافي العقل فيتصرف بمهارة وينجو من الضربة ليكيل لخصمه غيرها .. أما هذا الزحف البطيء المريض وسط الظلمة وحوله جند مسحورون بقوة الكاهن الحارقة ، وكاهن مجنون يتلهى بتعذيب ضحاياه ، ويستمتع بمظاهرة القوة .. فهذا ما لم يكن يعلم أن يترك حمراء اليمن ليصنعه هنا .. وجاءه الصوت الهامس من جديد يقول :

- كفى ..

ووقفت أعضاؤه كلها عن الحركة ، بينما أحس بيد قوية تجذبه خلف الخيمة ، وسمع «حلوان» يقول له :

- هدى روعك أيها الأمير .. لقد انتهت المحنة ، ونحن في حاجة إلى كل قواك فلا تستسلم للحظة الضعف العابرة هذه ..

وبصعوبة شديدة بدأ «دمر» يستجمع قواه الشاردة ، وهمس وهو يمر بلسانه على شفثيه الجافتين .

- كيف تخلصت أنت ..؟.

فأخذ «حلوان» يشرح له دور «مرجانة» و «كوكب» وكيف أنقذاه وحلاً محلها .. ثم قال :

- ولكن لا وقت لنجلس هنا نتحدث ، لابد أن نفعل شيئاً قبل أن يبدأ هذا المجنون في قتل الأسرى ..

فقال «دمر» وقد أعاده الخطر المائل إلى صفاء تفكيره وحضور ذهنه :

– أنا وأنت لا نستطيع أن نفعل شيئاً ، وإنما هذا دور الحكيمة «عاقلة»
والساحر «برنوخ» و «أخميم الطالب» فهم وحدهم الذين يستطيعون انقاذنا
من سحره وكهاتته ..

فأشرق وجه «حلوان» وهو يقول فى حماس :

– إذن هيا لنخلصهم ..

وأمسك به «دمر» وهو يقول :

– انتظر .. إن خلاصهم وحده لا يكفى ، وإنما يجب أولاً أن نعرف
مكان خيمة «الشعشان» الخاصة التى يخفى فيها أدوات سحره وكهاتته فهى
التى تستطيع أن تدمهم بما يحتاجون إليه للقضاء عليه ..

فقال «حلوان» :

– إن الذى يعرف هذه الخيمة «مرجانة» و «كوكب» ، وهما مكاننا عند

العواميد ..

فأطرق «دمر» لحظات ، ثم قال هامساً فى صوت أجش :

– لنصرع جنديين ونضعهما مكانهما .. كما نستطيع أن نقتل جندياً مكان

كل واحد من الحكماء لنضعه مكانه عند العمود ..

وصمت لحظات ، ثم ضحك ضحكة خشنة وهو يقول :

– وإن فشلنا فيلصّب «الشعشان» جنوده القتلى بدلاً منهم .. ثم ربت

على كتف «حلوان» وتسللا فى هدوء وصمت ..

* * *

ولم تحدث الحكيمة «عاقلة» أى صوت حين سمعت الهمس وراءها ،

كما لم تتحرك حين سقطت القيود التى تشدها إلى العمود .. وحين زحفت

مبتعدة شاهدت «دمر» و «حلوان» وهما يضعان مكانها جندياً من جنود

«الشعشان» يبرز من مكان القلب في صدره مقبض خنجر كبير.. وشدتها يد لتبتعد بها بسرعة عن دائرة الضوء ، وقال لها صوت نسائي :
- اتبعيني بسرعة ..

وظلت الحكيمة «عاقلة» تتبع صاحبة الصوت في صمت حتى وصلت إلى خيمة كبيرة يقف عندها حارس ممتشقا حسامه ، ووجف قلب الحكيمة عاقلة وقد خشيت أن تكون ساعة الافتضاح قد حانت ولكنها سمعت الحارس يقول في صوت نسائي :
- أهذه أنت يا «مرجانة» ؟..

وقال الشيخ الذي يقودها :
- نعم يا «كوكب» ، ادخلي الحكيمة إلى الخيمة لأعود فأحضر الباقيين ..

وحين دخلت الحكيمة «عاقلة» إلى الخيمة بهرها ما بها من ضوء ساطع فغطت عينيها لحظات ، ثم كشفتها لتجد نفسها وسط مجموعة هائلة من أدوات السحر والكهانة ، وابتسمت لنفسها في سرور وهي تسمع قول صاحبها :

- هذه خيمة «الشعشان» التي يختل فيها ليقوم بسحره وكهنته ..
وتكلمت الحكيمة «عاقلة» للمرة الأولى قائلة :

- سأبدأ عملي في الحال ، فاني سأحتاج إلى وقت طويل ..

فقال الأخرى التي ترتدى ثوب الحراس :

- ستحضر لك «مرجانة» الساحر «برنوخ» و «أخيم الطالب»

ليساعدك ..

فهمت الحكيمة «عاقلة» وهي ترى تلك التي أسمتها الحارسة باسم

«مرجانة» تخرج متسللة :

- إذن أسرعى بربك فنحن الثلاثة نستطيع أن ننهي عمل يوم في ساعة ..

* * *

وكان «الشعشان» قد شفى نفسه من تعذيب «قان شاه» و «نور الهدى» ، كما كان قد ابتداءً يتشهى مما شرهه من خمر فاتجه مترنحاً نحو النار الكبيرة المشتعلة أمام الخيمة ومضى يسجد أمامها وهو يرتل تراتيله الغريبة بصوت أجش كرهه ، ثم التفت نحو أسراه وقال :

- والآن حانت لحظة تقديم القرابين فاستعدوا لتستمعوا بلهيبها الذى يشوى من يكفر بها وبقوتها ..

والتفت إلى جنده صائحاً :

- هاتوهم واحداً واحداً بالترتيب ..

وهرع مجموعة من الجنود صارخين إلى العمود الأول تتبعهم ضحكات «الشعشان» الساخرة ، ولكن أصوات الجنود سكنت دفعة واحدة .. وفى وجوم كانوا يعودون وهم يحملون جسداً هامداً لا يتحرك .. وحين وصلوا أمام الكاهن الذى كان مستغرقاً فى ضحكته وضعوه فى صمت ووقفوا دون حراك .. وغاصت الضحكة من فوق شففى «الشعشان» ونظر إلى جنوده لحظات ، ثم انحنى فوق الجسد الهامد أمامه وشحب وجهه وتقلصت شفتاه ، فقد كان الجسد لجندى من جنوده يتوسط صدره خنجر كبير .. وأفاق من ذهوله وهو يصيح :

- أحضروا الثانى ..

ولكنه لم ينتظر جنوده ، بل هرع مهرولاً ناحية العمود الثانى وهو يسب ويلعن ..

وبينما كان «الشعشان» يهرع ناحية العواميد عند الطرف البعيد ، كان الملك «سيف» و «سعدون» و «دمهور الوحش» وسابك الثلاث» و «ميمون الهجام» يحسون بقيودهم وهي تفك في سرعة وحذر ، وحين غادروا أماكنهم لصق الأعمدة حلت محلهم أجساد ميتة لجند «الشعشان» .. وسرعان ما تواروا في الظلام في صمت ، وصوت «دمر» يهمس في آذانهم : - وراء هذه الخيمة أسلحتكم كاملة ..

* * *

ومن عمود إلى عمود ، مضى «الشعشان» ينتقل مسرعاً وهو في كل مرة يطالع وجهاً متقلصاً عليه قناع الموت الرهيب .. واشتدت سرعة «الشعشان» وقد بدأ يفقد كل اتزان وهدوء ، وبدأت صرخات الغضب والهياج تفتح من فمه في هدير غاضب وحقق نائر مدمر .. وحين عاد يتوسط الخيمة لم يكن هناك من أسراه سوى «قان شاه» و«نور الهدى» أمام إناء النار الكبير .. وبينما كان يرفع رأسه إلى أعلى شاهد غمامة قائمة تحيط بمسكركه كله وتقترب من الأرض تدريجياً ، وظل اللحظات يتأملها في وجوم .. ثم أشرق ذهنه فجأة فانتابه ذعر قاتل ..

لقد أدرك أن هذه السحابة هي من عمل ساحر ماهر وأنها حين تمس الأرض سينام كل من عليها إلا من صانعه صانع السحابة .. وحاول أن يتلوا تعازيمه وتمناته ، ولكنه لم يستطع أن يتذكر شيئاً ، كان ذهنه قد خلا من كل شيء كأنما نسي كل ما تعلمه من فنون السحر والكهانة .. وأحس بنفسه عارياً وسط الجمع من جنده الذين ينظرون إليه واجمين .. واندفع إلى رأسه خاطر واحد .. ينبغي أن يصل إلى خيمته مسرعاً فهناك يستطيع أن يستعيد قوته ويسيطر على هذه الغيمة ويكشف صانعها ويعود «الشعشان» القوى

الجبار ، ملك كل هذه الأرض ، سادن النار ومذل الحياة ..
واندفع «الشعشان» مسرعاً في اتجاه الخيمة ، وأمامه تماماً كان «دمر»
يتقدم وسيفه في يده ، وانحرف إلى يمين وأمامه كان «سعدون» و «سارك
الثلاث» يتقدمان في بطء شديد ، وانحرف إلى يسار وأمامه كان «ميمون
الهجام» و «دمهور الوحش» يتقدمان وسيفاهما في يديهما وفي عيونهما نظرة
يعرفها جيداً .. ودار حول نفسه ليعود ، وأمامه كان الملك «سيف» يتقدم
نحوه وفي يده عصا غليظة عرفها «الشعشان» والدعر يلاً قلبه كله .. كانت
واحدة من العصى التي أمر رجاله أن يضربوا بها ظهور الفرسان .. ونظر حوله
وعن يمينه كانت «مرجانة» و «كوكب» وفي يد كل منها سوط مشرع ..
وعن يساره كان «حلوان» يمسك سيفه في يد وقيداً ينتهي بسلسلة طويلة في
اليد الأخرى .. وصاح الملك «سيف» :

- ما رأيك في الإيمان أيها الكاهن ..؟.

وقاطعه صياح «دمر» وهو يقول :

- لو مزقناه بالسيوف لعرف الجواب ..

وتعال صوت «مرجانة» يقول في هدوء :

- بل إن دواءه السوط وحده ..

وأخذ «الشعشان» يتلفت حوله في يأس مرير ، وقد خذله عقله فلم
يعد يستجيب له ، وخذلته قواه فلم يعد يقوى على الحركة السريعة ، وجاءه
صوت «مرجانة» كأنما من بعيد وهي تقول :

- ألا تريد أن نغني الآن أيها الكاهن .. يا سيد الرحماء وملك الأرض

والسما ..

واندفع «الشعشان» يجرى وقد امتلأت أذناه بطنين رهيب ، وأصابته
عصا الملك «سيف» بين عينيه فدارت رأسه وغامت عيناه .. وأخذ يتراجع

ذاهلاً إلى الورا ، خطوة ، خطوة ، والملك «سيف» يتقدم نحوه وعينه
عند عينيه وهو يقول :

- أتعرف طعم العصا أيها الكاهن ..؟
وتعثرت قدم الكاهن وأحس بشيء ساخن يلفح رقبتة ، ثم فقد توازنه
وهوى وصرخاته تتعالى من الإناء البلورى الكبير :

- النار النار ..
وقال الملك «سيف» ووجهه شاحب وعينه شاحصتان :
- هى معبودك أيها الساحر فذق طعم لهيبها ..
ولم يفتق جنود «الشعشان» إلا وهم يستمعون إلى صراخ سيدهم
المرعب من داخل النار المشتعلة ، ولكنهم حين حاولوا التحرك كانت
السحابة تطبق على الأرض فيحل على كل مامسته نوم عميق رهيب ..

* * *

ولم ينج من الموت بجد السيف إلا من ترك عبادة النار من رجال
«الشعشان» .. وكانت غنيمة «قان شاه» من جيش «الشعشان» كبيرة
وضخمة عوضته عن كل خسائره فى حربه الطويلة مع عبدة النار .. إلا أن
غنيمة الكبرى كانت «نور الهدى» التى أقام لزفافه بها حفلاً كبيراً هائلاً
عوض المدينة وأهلها عما لاقوه من عنت وعناء ..

وأمر الملك «سيف» و «عبروض» و «عاقصة» أن يرافقا البنات إلى
حمراء اليمن ، ومعهم «حلوان» ليكون وزيراً لابنه «مصر» مكافأة على
الدور الذى قام به فى حرب «الشعشان» وقال الملك «سيف» «لمرجانة»
وهو يودعها :

- وصيتى الملكة «منية النفوس» وابنها «مصر» ..

ثم ابتسم وهو يشير إلى صندوق كبير موضوع أمامه :
 - وهذا لكن لتدركن مبلغ ثقتي فيكن ..
 وحين فتحت «مرجانة» الصندوق وجدت فيه الثياب الریش ،
 فابتسمت وقالت :
 - ألا تخشى علينا أيها الملك من ساحر جديد ؟
 فقال لها :
 - أيتها الملكة الباسلة إن لك في شجاعتك ما يقيك من كل السحرة ..
 ثم أردف قائلاً :
 - وددت لو عدنا جميعاً الآن لولا أن «قاسم العبوس» قد بدأنا
 بالعدوان حين حاول اختطاف «منية النفوس» ، .. ولست أريد أن أغادر
 هذا المكان قبل أن أسوى حسابي معه تسوية نهائية .. ولست أريدك أن
 تشركي في حرب أحد أطرافها زوجك ..
 فابتسمت «مرجانة» ثم ضحكت قائلة :
 - ولهذا تبعنا نحن عن متناول يده أيها الملك ..
 فبادلها الملك «سيف» الضحك وقال :
 - لهذا ولأنني أريد أن أقابله دون أن يشغل ذهني أمركم .. ثم تقدمت
 «نور الهدى» وزوجها «قان شاه» يودعا «مرجانة» و «كوكب» وباقي
 الفتيات .. وقبل «قان شاه» «حلوان» وهو يودعه ، ثم قدم له درعاً كاملاً
 وسيفاً صقيلاً من سيوفه الخاصة هدية تقدير .. وسرعان ما كان «عبروض» و
 «عاقصة» في طريقها إلى حمراء اليمن يحملان المسافرين ، بينما كان الملك
 «سيف» ينظر إليهما وفي عينيه شوق مكبوت ، وإحساس بالغربة والحنين
 تحبسه إرادة قوية وعزيمة صادقة .

قال «عبروض» في إصرار والحاح :

- لقد وعدتني أيها الملك ، ولا بد لك أن تفي بوعدك ..

فقال الملك «سيف» :

- نحن لسنا في بلادنا وأرضنا يا «عبروض» وليس هنا مكان لمثل
الحديث الذي تقول ، وإنما نحن نستطيع أن نناقش هذا الأمر في حمراء
اليمن ..

فقال «عبروض» في يأس ومرارة :

- أنا أعلم أن «عاقصة» تعارض في زواجها مني ، ولكنك أخوها
وملكها وتستطيع أن تأمرها فلا تملك مخالفة أمرك أو إغضابك ..
فقال الملك «سيف» وهو ينظر إلى «عبروض» في عطف صادق ومودة
حقيقية :

لقد خدمتني يا «عبروض» باخلاص ، وليس مثلي من ينكر الجميل ..
ولكن التغلب على رفض «عاقصة» يحتاج إلى وقت وإلى مجهود ، وأنت
ترى أننا نعيش هنا على حذر ، فتحزن نتوقع هجوم «قاسم العبوس» بين
لحظة وأخرى ، وكل وقتنا وجهدنا منصرف إلى الاستعداد لمعركة نهائية
معه ، فإننا لو خسرنا معركتنا معه خسرنا كل المجهود الذي بذلناه في جزر
واق الواق ..

قال «عبروض» وهو يطرق برأسه :
- لا تغضب مني أيها الملك ، وإنما أنا صاحب حاجة ، وصاحب
الحاجة ملحاح ..

فضحك الملك «سيف» وربت على كتفيه ، ولكنه قبل أن يعقب على
حديث «عبروض» طرق الباب بشدة وعجلة ، فكف الملك «سيف» عن
ضحكة وهو يقول :

- ترى من يطرق الباب بمثل هذه اللفظة؟ .. ادخل ..
واندفع الملك «قان شاه» إلى الحجرة وهو شاحب الوجه ، تبدو معالم
القلق والحيرة والانزعاج واضحة في نظرات عينيه ، وهب الملك «سيف»
واقفاً وأسرع إليه وهو يقول :
- ما الأمر أيها الملك ..؟.

فقال «قان شاه» والكلمات تتعثر عند شفتيه لفرط انزعاجه :
- إن الأمر جلال ، ولست أدري كيف أحكيه لك ، ولكن يستحسن
أن تسمع الحكاية منهم بنفسك ..
فقال الملك «سيف» وقد بدأ الاهتمام على وجهه :
من هم؟ ..؟

فعاد «قان شاه» يقول وهو يضغط على كتفيه في اضطراب :
- إنهم مجموعة من تجار المدينة كانوا في إحدى رحلاتهم ، وعادوا
اليوم .. وهم يحكون أعجب حكاية سمعتها في حياتي ..
فقال الملك «سيف» :
- وأين هم ..؟.

فقال «قان شاه» وهو يشير بيده :
- إنهم ما زالوا في قاعة العرش حيث تركتهم لأهرع إليك ..

فقال الملك «سيف» وهو يسرع خارجاً يتبعه «عروض» :

– إذن هيا بنا إليهم ..

وأسرع «قان شاه» يلحق بهما إلى قاعة العرش حيث وقف مجموعة من الرجال طوال اللحي ، خشنى المظهر .. وقال «قان شاه» موجهاً كلامه إلى أكبرهم سنًا ، وكان يقف متقدمًا عنهم قليلاً :

– أعد قصتك على الملك «سيف بن ذى يزن» ..

فنقل الرجل بصره من الملك «قان شاه» إلى الملك «سيف» وقال :

– عفواً أيها الملك إن كنت قد أزعجتكما .. ولكن الأمر لا يحل إلا

حكمتكما وسديد رأيكما ..

فقال الملك «سيف» وهو يأخذ مجلسه إلى جوار الملك «قان شاه» الذى

جلس فوق عرشه :

– حسناً يا أبى تحدث ولا تخش شيئاً ..

فقال الرجل فى صوت تهزه نبرات الانفعال الذى أخذ يشتد ويتضح كلما

أوغل فى حديثه :

– لقد كنا عائدين بعد أن أصبنا فى تجارتنا فوق كل ما كنا نأمل من

ريح .. وكان الحنين إلى أهلنا وأولادنا يملأ صدورنا وقلوبنا جميعاً كما هو

الشأن كلما اقترب ميعاد العودة ، وحن وقت اللقاء .. وأمام كل منا تتراحم

صور اللقاء المرتقب بالأهل والأولاد والأصدقاء .. ولهذا كنا نغذ السير

مسرعين ونحن نحمل رواحلتنا فوق طاقتها لتقطع بنا الطريق فى أسرع وقت

ممكّن .. ولم يكن قد بقى على مدينة دوريز سوى ثلاثة أيام حين صاح حادى

إبلنا الذى يسير فى المقدمة :

– هذه دوريز أماننا ..

وفى أول الأمر لم يتالك كل من فى القافلة نفسه ، فتعالت صيحات

الفرح والاستبشار ، واشرب كل منهم بعنقه يستطلع منظر المدينة وهي تلوح من بعيد بسورها وأبراجها العالية .. ولكنني بعد ذهاب نشوة الفرحة الأولى أحسست بشيء يقبض على قلبي ويعتصره ، فقد كنت واثقاً أن بيننا وبين دوريز مسافة شاسعة لا يمكن أن نقطعها قبل ثلاثة أيام .. وصحت بالرفاق وأنا أسرع لأمسك بالراحلة الأولى فأوقفها :

- مهلاً أيها الأصدقاء فهذه ليست دوريز ..

ووجع الجميع وخفتت أصوات ضحكاتهم ، وساد السكون بينهم وأنا أستأنف حديثي قائلاً :

- أحسبوا ما قطعناه من الطريق نجدون أنه لا بد أن تنقضي ثلاثة أيام قبل أن نصل إليها ..

وقال الحادى وهو يخفض من رأسه :

- لقد صدقت أيها الشيخ ، فطالما قضيت العمر في هذا الطريق غادياً راحلاً ، ولم يسبق قط في حياتي كلها أن وصلت إلى دوريز في مثل هذا الوقت ..

ومضى يعد على أصابعه والقافلة كلها ترقبه ، ثم رفع رأسه وفي عينيه نظرة شاردة ، وقال :

- نعم .. باقى لنا فى الرحلة ثلاثة أيام ..

وارتفع صوت من وسط الجمع المحتشد حولي :

- إذن فما هذه ..؟

وقال صوت آخر :

- أقسم أنها دوريز ، أأست أعرف سورها ، وأبراجها ، ومنظرها وطابعها .. أتريدون منى أن أكذب عيني .. إنها دوريز وكل من يقول غير هذا محبول أو لعبت الخمر برأسه ..

ومضيت أنظر مرة أخرى إلى المدينة أمامي .. ولم يكن هناك شك ..
كانت هي دوريز بعينها ، لطالما تطلعت عيني بشوق ولهفة إلى هذا السور وأنا
أقترب منها عائداً من إحدى رحلاتي ، ولطالما نظرت إليها في أسى وحنين
وأنا أغادر أبوابها سعيًا وراء رحلة جديدة من رحلات التجارة التي
لا تنتهي .. وعاد صوت الحادى يقول في إصرار وعناد :

- ولكن باقى لنا ثلاثة أيام ، وأنا لا أخطئ في حسابى أبداً ..
وتعالت الأصوات من كل جانب ، واحتدم النقاش ، واشتد
الخلاف .. حتى أوشك الرجال أن يتأسكوا بالأيدى .. وخشيت مغبة
الأمر ، فصحت فيهم رافعاً يدي أطلب السكوت والانصات :
- إننى حائر مثلكم ، فأنا لا أستطيع أن أكذب ما تراه عيناي ، وأنا
كذلك لا أستطيع أن أكذب ما يقرره عقلى .. والوسيلة الوحيدة التي
نستطيع بها أن نتأكد من الحقيقة هي أن ندخل إلى المدينة لنرى هل هي
دوريز حقاً أم أن الخبال أصابنا جميعاً ..

وسكنت كل الأصوات ، ثم ارتفعت عبارات التأييد من كل مكان ..
وهكذا استقر أمرنا على دخول المدينة وفي الحال ، رغم عبارة الحادى العنيد
الذى ردد في عناد وهو يمسك بمقود الراحلة الأولى ويسير بها متجهًا إلى باب
المدينة :

- ومع هذا فدوريز ما زالت على مسيرة ثلاثة أيام ..
ولكننا حين اجتزنا عتبة باب المدينة لم يعد هناك مجال للشك ، فنحن في
دوريز بلانجدال .. المنازل هي هي ، والطرقات كما عهدنا .. بل والناس
الذين ألفنا أن نراهم في طريقناهم بأنفسهم وأشكالهم ، وملابسهم ،
ولهجاتهم .. بل حتى بألفاظهم المازحة ، ونكاتهم الماجنة التي يرددونها كلما
رأوا قافلة من قوافلنا تعبر الطرقات متجهة نحو متجرى الكبير هناك في آخر

المدينة من ناحيتها الجنوبية .. وقد كنت أنظر واسمع وكأنني في حلم غريب ،
كأن في إنساناً آخر هو الذى يتحرك مع القافلة وهى تتقل من شارع إلى
شارع ، ومن درب إلى درب .. وحين وصلنا إلى المتجر وأنخنا الرواحل ،
جلس الحادى عند الباب وهو مطرق ، بنكت الأرض بعود في يده ويهمس
لنفسه في إصرار :

.. أبداً ، دوريز على مسيرة ثلاثة أيام ..

.. أصمت أيها الملعون .. هل تعرف ، وأين نحن الآن ، والطرق
والناس ، وهذا المتجر .. أقسم لقد لحت الكثير من أصدقائي في الطريق ،
بل ولوحت لهم فردوا على تحييتي كما تعودوا في كل مرة ..

ولكن صوته رغم نبرة العنف والثورة التى يتحدث بها كان مليئاً بشيء
آخر ، كأنما كان يحاول أن يمنع نفسه من الشك ، كأنه يحاول أن يقنع نفسه
التي تتمرد عليه وتأبى أن تصدق ما ترى وما تسمع .. وخشيت من عودة
الانفجار الذى عايناه ونحن نشرف على المدينة من بعيد فأسرعت أحسم
الأمر قائلاً للرجال :

.. سيذهب كل منا إلى منزله ليرى أهله وناسه ، ثم نتقابل هنا بعد
ساعة .. فإن وجدنا كل شيء كما هو فنحن في دوريز ويكون حسابنا قد
أخطأ .. وإلا فسنرحل عن المدينة في الحال ..

وقد كان حديثي هذا يحمل من الشك أكثر مما كنت أود أن أبدية .. فلم
يكن معقولاً بعد كل الذى رأينا أن أترك حسم المسألة للتأكد من منازلنا
وأهلنا .. ولكن موافقة الجميع على هذا الاقتراح دلت على أن بذور الشك التى
تملأ نفسى إنما هى صدى لتلك البذور التى غرستها يد غريبة لانعرفها في كل
نفوس الرجال الذين جاءوا معى في القافلة ، وكان هناك رجل واحد أبى أن
يتحرك من مكانه أو أن ينفذ ما اتفقنا عليه .. إنه الحادى الذى ظل في جلسته

منكس الرأس ، يعث بالعود فى يده وهمس :
- اذهبوا أنتم ، أما أنا فواثق أن دوريز بعيدة عنا ، وإن لم تعودوا
فسأرحل إليها وحدى ..
وصمت ، ثم رفع رأسه يتأمل فى وجوهنا وجهاً وجهاً .. وعاد يقول ..
- ما زالت الرحلة ناقصة .. أمامنا ثلاثة أيام أخر ..
ثم أطرق صامتاً وهو يعود إلى نكت الأرض بعوده .. ونظرنا جميعاً إليه
فى وجوم ومضى كل منا فى طريقه دون أن تتبادل كلمة واحدة ..

* * *

وصمت الرجل المعجوز ، فأخذ الملك «سيف» يتبادل النظرات مع
الملك «قان شاه» فى وجوم بينما ران على القاعة كلها صمت كثيف .. وقالت
الحكيمة «عاقلة» التى كانت قد دخلت دون أن يحس بها أحد :
- أكمل حديثك أيها الشيخ .. هل وجدت متزك ..
وأردف الملك «سيف» يسأل فى لهفة :
- وأهلك وأولادك ..؟
وأخذ الرجل المعجوز يميل نظره فى الوجوه المتطلعة نحوه فى قلق ولهفة ثم
قال :
- نعم أيها الملك .. وجدت أهلى وبيتى وأولادى .. كل شىء كما
عهدته ..
وساد الصمت قاعة العرش فى قصر ملك دوريز فترة طويلة .. قطعها
الشيخ الذى تنهد وهز رأسه كأنما يفتق من حلم كريبه .. وقال فى صوت
رتيب هامس :
- كان كل شىء فى بيتى كما عهدته .. الدار هى الدار ، والأثاث هو

الأثاث .. وحين طرقت الباب أجاب عبيدى كما اعتاد ، ثم دخلت دارى لأجد أهل فى انتظارى كما ألقت منهم .. والتفت حولى أولادى يطوقون عنقى بأيديهم ويمطرون وجهى بقبلاهم .. ولكننى كنت أحس بجسدى كله يهتز للمساتهم ، كان قلبى يخفق فى عنف ، وكان إحساس بالرعب قد بدأ يحتاجنى .. لم يستطع كل هذا أن يزيل الشك عن نفسى والضيق الذى يخنقنى ويشل قدرتى على الرؤية الصحيحة والتفكير السليم .. وكنت أخفى جزءاً من مال لى فى صندوق صغير لا يعرف مكانه أحد سواى ، فأسرعت أبحث عنه ووجدته كما هو لم تمسه يد ، منذ تركته فى مكانه آخر مرة قبل رحلتى وحتى عدت لأرفع عنه الغطاء وأحصى ما فيه .. !

ولم أجد فى نفسى القدرة على الاستمرار فى الجلوس فى المنزل .. كنت أحس أننى لو جلست فترة أخرى فسأجن ، فأسرعت أغادره إلى متجرى وأنا لا هت الأنفاس امسك نفسى عن الجرى بصعوبة بالغة .. ولكننى حين دخلت المتجر وجدت جميع من رافقونى فى الرحلة يفقون فى وجوم وقد أغبرت وجوههم ، وتاهت أعينهم فى نظرة ساهمة شاردة ، وحين همست :

- هيا بنا من هنا ..

لم يتردد أحد .. أسرعوا جميعاً يعيدون كل ما أنزلوه عن الرواحل إلى كواهلها من جديد ، ثم تقدم الحادى ومضى يقود الراحلة الأولى فى صمت وقد ضاعت أغانيه ونسى أهازيجه .. حتى الجمال مضت تنقل خطواتها فى سرعة حتى تركنا المدينة وراعنا دون أن يعترضنا أحد ..

وبعد ثلاثة أيام لاحت لنا دوريز كما قدرنا .. ودخلنا المدينة فى وجوم وقصدنا إلى المتجر ونحن لا نتبادل كلمة واحدة .. وما أن وضع كل منا متاعه عن راحلته حتى قال الحادى :

– هذه الحكاية لا بد أن نحكيها للملك فنحن بلاد مؤمنة وسط كفرة
ملاعين ..

ودون أن نرد عليه اتجهنا جميعاً إلى هنا لنقص عليكم القصة ..
وسكت الصوت الرتيب الهادئ .. وعاد الوجوم مرة أخرى يسيطر على
قاعة العرش في قصر «قان شاه» والجميع يتبادلون النظرات في حيرة
ودهشة .. وقطعت الحكيمة «عاقلة» هذا الصمت لتقول في صوت متزن النبرات :
– لو كنت صادقاً أيها الشيخ في روايتك .. وما أحسبك إلا صادقاً ..
فهذا من فعل ساحر جبار أراد أن يبلبل أفكار الناس في مدينة دوريز ليسهل
عليه القضاء على جيشها ورجالها .. وليسهل عليه التغلب على إيمانهم بالله
ويقدرته ..

فقال الملك «سيف» وهو ينهض :

– في الصباح أيها الشيخ تحضر أنت والحادى إلى هنا فسنسافر معاً لترى
بأنفسنا هذه المدينة التى تحكى عنها ..

وقالت الحكيمة «عاقلة» :

– وسأصحبكم فى هذه الرحلة ..

فهب «برنوخ» الساحر قائلاً :

– إننى مشوق أن أرى هذه المدينة العجيبة أيها الملك ..

فقال الملك «سيف» :

– حسناً سيرحل معى «برنوخ» و«أخميم» والحكيمه «عاقلة» وسنسافر
مع التاجر والحادى متنكرين فى ثياب التجار ، على أن يبقى الملك «قان
شاه» هنا ليحفظ المدينة من أى هجوم غادر ..

وصمت لحظة .. ثم قال :

– وليحسم الأمر بنفسه إن لم نعد لأى سبب من الأسباب .

بعد ثلاثة أيام من السير السريع الذى لا يعرف الراحة لاحت لهم أسوار
المدينة من بعيد ، فهمس التاجر الشيخ وقد شحب وجهه :
- هذه هى المدينة أيها الملك ..
وصاح الحادى وهو يتوقف عن السير :
- هذه الأعيب شياطين ..
فقالت الحكيمة «عاقلة» وهى تتأمل منظر المدينة :
- إن هذا لا يقدر عليه الشياطين وحدهم .. هناك عقل إنسان جبار
وراء هذا العمل ..
فأكمل لها «برنوخ» حديثها قائلاً :
- إنه إنسان يفوق كل من رأينا فى السحر والحكمة وضروب الكهانة ..
فقال الملك «سيف» :
- ومع هذا هيا بنا ، فلا بد أن نرى المدينة من الداخل لتأكد مما
سمعنا ..
وفى صمت عاد الحادى يقود الركب الواجم إلى أمام ، وكلما ازداد
اقترابهم من المدينة ازداد شحوب وجه التاجر الشيخ ، ولاحظ الملك
«سيف» هذا ، فأمر الحادى بالتوقف وقال للشيخ :
- إذا لم تجد فى نفسك الرغبة فى مرافقتنا فتستطيع أن تنتظرنا هنا حتى
نعود ..

فقال التاجر الشيخ :

- ليس الأمر ما تظن أيها الملك ، وإنما كلما تخيلت أنني سألقى أهلى المزعومين ، وأولادى هؤلاء ينتابنى الدوار وأحس أن الدنيا تلف بى ..

فقال الملك «سيف» مقاطعاً :

- ولكن أيها التاجر الشيخ ، ألم تذكر أنهم هم أهلك وأولادك ..؟

فقال التاجر وهو يضرب كفاً بكف :

- وهذا ما يكاد يذهب عقلى أيها الملك ..

فقال «سيف بن ذى يزن» وقد عقد حاجبيه مفكراً :

- إذن ما الذى جعلك تذكرهم ولا تطمنن إليهم ..؟

فعاد التاجر الشيخ يقول وكلماته تخرج فى بطء شديد :

- لقد استطاعوا إقناع عقلى تماماً .. البيت هو البيت ، والناس هم

الناس ، والمدينة هى المدينة .. حتى امرأتى والأولاد .. ولكن .. نعم أيها

الملك ، قلبى ، لقد رفض أن يصدق ما ألح عقلى عليه أن يصدقه ..

ورفع رأسه وهو يقول فى تأكيد وحماس :

- تماماً .. لقد عرفت الآن .. كان فى كل شىء ما يقنع العقل

والتفكير .. ولكن كل شىء فشل فى إقناع القلب والإحساس ..

فقالت الحكيمة «عاقلة» :

إن الإنسان يستطيع أن يخلق أى شىء بعمله وكهائنه وسحره ، ولكن

الشىء الوحيد الذى لا يستطيعه الإنسان مها بلغ من العلم والمعرفة هو أن

يخلق الروح .. وقد بحثت أرواحكم عما تعودت أن تجده عند أرواح من

تعرف فلم تجده ، فشككت ورفضت وتمردت ، وهذا ما لم يحسب هذا

الساحر الملعون حسابه ..!.

فقال التاجر الشيخ وقد بدأ اللون يعود إلى وجهه من جديد :

- صدقت أيتها الحكيمة .. لقد كنت أحس وأنا أخاطب زوجتي
المزعومة وأولادى أنني لست أخاطب بشراً مثل .. بل لقد خيل لي أكثر من
مرة أنني أخاطب أمواتاً يتحركون ..
فقال الملك «سيف» :

- إن هذا الساحر مهما كانت شخصيته يريد أن يثبت قدرته وجبروته وأن
يخلق في الناس الشك والحيرة .. ولا بد لنا من كشف أمره فهيا بنا ..
وعاد الركب من جديد إلى التحرك وقد زادت سرعته ، وبدأت سحابة
الاكتئاب والوجوم التي رانت عليه فترة تزول لتترك مكانها لتوفزقلق يريد أن
يزيل حجب الشك ، ويتعرف على هذا السر المغلق الذى يواجهه ..
وحين دخلت القافلة من باب المدينة قال الملك «سيف» الذى كان
يرتدى كالأخريين زى التجار :

- أقصد بنا إلى متجرك أيها الشيخ وكأننا نعود من رحلة من رحلاتك
العديدة ..

وأشار التاجر إلى الخادى فضى يقود الطريق فى هدوء وسط طرقات
المدينة المليئة بالحركة والناس .. والتفت إليهم بعضهم ثم عادوا إلى ما هم فيه
دون أن يتطرق إلى الوافدين أى شك .. وقال «أخميم الطالب» وهم
ينحرفون مع انحراف الطريق :

- كأنهم دمي متحركة ..!

فقال «برنوخ» هامساً :

- إنها عيونهم .. ليست بها حياة .. خائية لا تعكس أى انفعال ..

فقال الحكيمة «عاقلة» وهى تنظر أمامها دون اكتراث :

- ينبغى ألا تظهروا الدهشة لشيء ، كما ينبغى ألا تكثروا من التطلع

حولكم ..

وصاح الحادى كما يصيح كلما وصل إلى المتجر :

– ها قد وصلنا أيها الركب الميمون ..

فصاح التاجر به كما اعتاد أن يصيح :

– انخ الرواحل ووزع الأرزاق أيها الحادى ..

واندفع صببية يتصايحون حول الجبال وهى تركع واحدة أثر الأخرى أمام المتجر وأخذ الحادى يقذف إليهم ببدرات من مال وحففات من حنطة وشعير .. بينما دخل الجميع إلى داخل المتجر فى سكون ، وقال الملك «سيف» للتجار فى صوت خفيض :

– ماذا تفعلون عادة عندما تصلون إلى دوريز ..؟.

فقال التاجر :

– أما أن نقصد إلى بيوتنا لنرى أهلنا ثم نعود لنقصد إلى قصر «قان شاه» لتخبه بأمر تجارتنا فيأمر بما يرى فيها .. وأما أن نقصد إلى القصر أولاً ثم نعود إلى بيوتنا ..

فقال الملك «سيف» :

– سنقصد هذه المرة إلى القصر فهيا أحضر بعض الهدايا ولنحملها إلى القصر لنرى ما به ..

واقتربت منها الحكيمة «عاقلة» وهى تقول للتاجر :

– ليحمل هذا العبد الذى يجرس المتجر الهدايا فإني أريد أن ألاحظه عن

كئيب دون أن يحس ..

وأخى التاجر رأسه وهو يصيح بعيدة :

– أسرع يا «خطال» وأحمل هدايا الملك وأسبقنا إلى القصر لتعلن

قدومنا إليه ..

وما أن اختفى العبد حاملاً الهدايا حتى أخذ الجميع طريقهم إلى القصر فى

أثره .. وكان الملك « سيف » يخفى دهشته في صعوبة اللغة فقد كان يرى نفس
الرجوه ونفس المتاجر التي تعود أن يراها في دوريز وهو في طريقه إلى
القصر .. وقالت الحكيمة « عاقلة » في همس :

- حتى البضائع هي هي .. لكأني في دوريز حقيقة ..
فقال الملك « سيف » :

- إنني أمسك نفسي من الاندفاع نحو القصر لتحية « قان شاه » كما كنت
أفعل هناك بصعوبة بالغة ..

وقال التاجر وهو يصيح بالعبد الواقف عند باب القصر :

- هل أخذت لنا الإذن بالدخول إلى الملك يا « خطال » ؟ ..
فقال العبد :

- لقد أذن الحاجب لنا بالدخول ..

فقال التاجر :

- إذن هات حملك واتبعنا ..

وحين دخل الملك « سيف » إلى القاعة خفق قلبه في عنف ، فهناك على
العرش يجلس « قان شاه » بلحمه ودمه ، وإلى جواره تماماً يجلس من يشبهه
تمام الشبه ، وهمست الحكيمة « عاقلة » :

- يا الله .. لكأنه أنت أيها الملك ..

وقال « برونوخ » في انفعال :

- لو لم تكن معنا أيها الملك لظنته أنت ..

فابتسم الملك « سيف » وهو يقول :

- وما أنت يا « برونوخ » إلى جواره ..

وكان الواقف إلى جوار الملك « سيف » المزعوم « برونوخ » الساحر كما
كانت الحكيمة « عاقلة » تجلس في مكانها بالمجلس وكذلك « أخميم

الطالب» .. والفرسان الأربعة .. وصاح التاجر وهو يتقدم خطوة عن رفاقه :

- التحية لك أيها الملك «قان شاه» .. لقد عادت تجارتنا علينا بالربح الوفير بفضل الأمن الذى ينشر ربوعه فوق أرضك ، وهذه هديتك منها ..
وقال «قان شاه» المزعوم بنفس الصوت الحبيب الذى ألفه الملك «سيف» :

بارك الله لك أيها التاجر فى تجارتك وسفرتك ، أعرضها على أخى الملك «سيف» ليرى فيها برأيه ..

وكاد الملك «سيف» ينشق من الغيظ وهو يرى ذلك «السيف» المزعوم وهوينحنى فوق الهدية يتأملها ، ثم يربت على كتف العبد فى مودة ، ويقول للتجار فى صوت هو صوته نبرة نبرة :

- الهدية مقبولة أيها التاجر المؤمن .. وزعها بنفسك على فقراء المدينة هبة من الملك «قان شاه» ..

وهمس «سيف بن ذى يزن» فى أذن التاجر ، والعبد يتراجع بالهدية :
- حدثه بأمر المدينتين كما حدثتنا هناك ..

وتردد التاجر الشيخ قليلاً ثم تقدم خطوة وهو يقول :
- لقد حدث لى فى رحلتى أمر عجيب أيها الملك أريد أن أقصه عليك لترى فيه برأيك ..

فقال الملك «سيف» المزعوم وهو يعود إلى مقعده بجوار «قان شاه» :
- ما هو أيها التاجر الطيب ..؟

فعاد التاجر الشيخ إلى التردد ، ولكن الملك «سيف» لكزه بزفق ..
فقال التاجر الشيخ :

- لقد رأى الحادى فى الطريق إلى هنا مدينة أقسم أنها دوريز فكفنا أن

نتجه إليها لولا أننا نخشينا أن يكون في الأمر حيلة ففضينا في طريقنا إلى هنا دون توقف ..

فابتسم «سيف» المزعوم وهو يقول :

– أحسنت أيها التاجر الشيخ فهذه هي دوريز ، وقد كثرت شكاوى التجار من هذه المدينة المزعومة ، ولكن الله جنبك الزلل فجئت إلى هنا دون أن تعرج عليها ..

وقال «قان شاه» المزعوم وهو يحدق في التاجر الشيخ :

– ولكن لماذا لم تدخلوا المدينة الأخرى أيها التاجر .. ١٢.

فاضطرب التاجر ولكن لكزة أخرى من الملك «سيف» أعادته إلى هدوئه فقال :

– لقد كنت أصر ، وكان الحادى معنى في الرأى ، أنه ما زالت هناك ثلاثة أيام قبل أن نصل إلى مدينة دوريز ، وقد اختلف الباقون معنا فقالوا: إن حسابنا خاطئ .. ولكننى شيخ القافلة والمسئول عنها .. وهكذا أيها الملك واصلنا رجلتنا ..

فهز «قان شاه» المزعوم رأسه وهو يقول :

– أحسنت أيها الرجل وسنجعلك من الآن كبير تجار المدينة ، كما أننى سأعهد إليك بمهمة خطيرة وهامة .. فهل أنت على استعداد .. ١٣.

فقال التاجر الشيخ :

– أنت تأمر أيها الملك وأنا أنفذ ما تأمر به ..

فقال «قان شاه» المزعوم ..

– اذهب أولاً إلى بيتك وأهلك ، ثم عد إلى مع كل رفاقك فأنتم

الرجال الذين أريد ..

فانحنى التاجر في نجلة واحترام .. وانحنى لالحناثة الملك «سيف» ومن

معه ، ثم انسحبوا من القاعة في خطوط هادئ متزن لا يشي بما يضطرم في قلوبهم من قلق واضطراب ..

وحين خرج الجميع من القصر قال التاجر للعبد «خطال» :

.. اتبعنا بما تحمل لنفرقه على الفقراء ..

فقال الملك «سيف» :

.. بل لا بد لنا من أن ننفذ أمر الملك بروحه ..

فقال التاجر للملك «سيف» :

.. ماذا تعنى يا صاحبي ؟..

فقال الملك «سيف» :

.. سأوزع تجارتك كلها على الفقراء ، فإن كان الملك قد أمر بتوزيع هديته

فينبغي أن نحذو حذوة في الكرم ..

فقالت الحكيمة «عاقلة» :

.. وكذا سأوزع نصيبي كله ..

وتبعها «برنوخ» و«أحميم» بيديان نفس الرغبة ، فقال التاجر :

.. وأنا أيضاً .. إذن فلنذهب إلى المتجر ونحمل البضائع لتوزيعها قبل

أن نذهب إلى ديارنا ..

فقالت الحكيمة «عاقلة» :

.. لنخرج بالبضائع إلى خارج المدينة حيث يتجمع الغرباء وأبناء

السيبل فنوزع عليهم تجارتنا كلها ..

والفتت التاجر إلى العبد قائلاً :

.. أسرع إلى الحادى وأخبره أن يعيد البضائع على الرواحل كما كانت

وجهاز نفسك لترافقتنا أثناء توزيع التجارة على الفقراء كما أمر الملك ..

وغادرهم العبد مسرعاً بينما قال الملك «سيف» :

- إن هذا لا يمكنني ف «قان شاه» المزعوم عرف أننا من المدينة الأصلية ، ولذا فنحن نحت رقابته .. وخروجنا من المدينة سيلفت نظره إلا إذا أحكمنا أمرنا ..

فقال التاجر الشيخ :

- هذا أمر سهل أتركه لى ..

ثم وقف براحلته فى وسط الطريق وأخذ يصيح :

- أيها الناس ، لقد أمر الملك أن نوزع هديته من تجارتنا على الفقراء والمعوزين باسمه ، وقد رأيت أنا وإخوانى أن نخذو حذوه ونقدم كل تجارتنا هبة للفقراء والغرباء وأبناء السبيل تقريباً إلى الله الذى نجانا من الهلاك إن دخلنا المدينة الأخرى .. فليقصد كل محتاج إلى خارج الأسوار حيث نوزع التجارة هناك على الغرباء الذين يتجمعون دون مأوى خارج المدينة .. وليتبعنا منكم من يريد .. وليبلغ الحاضر منكم الغائب لتم الفائدة ويشمل الخير كل محتاج ، وتحقق حكمة الملك وتم رحمته وشفقته الجميع ..

وتجمع الناس حولهم يسألون والتاجر يجيب ، فدفع الملك «سيف» راحلته إلى أمام وهو يمس لمن معه من الحكماء :

- لنسرع نحن إلى المتجر حتى لا ينكشف أمرنا ولنتركه هو ينشر الخبر فى المدينة ..

فقال الحكيم «عاقلة» وهى تتبعه براحلته :

- لست أريد من كل هؤلاء سوى هذا «الخطال» فهو عون من أعوان الجان ، وقد استطعت أن أكشف عنه الرصد الذى يشكله بهيئة عبد التاجر .. وسأتمكن أن أعيده إلى صورته الأصلية لو أبعدنا به عن المدينة ..

فقال «برنوخ» وهو يتبعها :
- لو استطعنا أن نظفر به لأرغمناه بالطلاسم على أن يحكى لنا سر
الأمر كله ..

فقال «أخميم» الطالب وراحلته تندفع لتلحق بهم :
- بل إن كل هؤلاء من الجان وقد تقمصوا في شخصيات أهل مدينة
دوريز بواسطة الطلاسم ..

فقال الملك «سيف» وهو ينحرف مع الطريق الذى يقع المتجر فيه :
- إنني أريد أن نخرج من المدينة قبل أن يشك الملعون الذى فعل كل
هذا في أمرنا ..

فقال «أخميم» وهو يحاذيه :
- إنه يريد التاجر ويريدنا لكى يتمكن بواسطة سكان المدينة الأصليين
من جذب الباقين إلى هنا فيخرب المدينة الأصلية ..

وكانوا قد وصلوا إلى المتجر ، فصاح الملك «سيف» بالحادى :
- هل أعددت كل شيء ؟..

فقال الحادى وهو يدفع الجمال إلى القيام بأحبالها :
- نحن مستعدون أيها التاجر ..

فقال الملك «سيف» :

- وأين العبد ؟..

فاندفع العبد خارجاً من المتجر وهو يقول :

- أنا مستعد بهدية الملك ، فأين سيدى ؟..

وماكاد يتم سؤاله حتى ظهر التاجر الشيخ فى أول الطريق ووراءه جمع

كبير من الناس ، فقال الملك «سيف» :

- ها هو سيدك ، هيا بنا لنلتقى به ونتجه جميعاً إلى خارج المدينة ..

وحمل العبد هدية الملك ، بينما قاد الحادى الجبال المحملة يتبعها
المتنكرون فى اتجاه التاجر الذى ما كاد يراهم حتى صاح فى الجمع حوله :
- هذه هى التجارة قادمة فاسبقونا إلى خارج المدينة حيث نوزعها
بالعدل ..

وانفض الجمع من حوله صائحًا ، وتسارعوا إلى منازلهم يحضرون
ما يأخذون فيه أنصبتهم من قدور ومواعين .. بينما انضم التاجر إلى الملك
« سيف » ومن معه قائلاً :

- لم يبق أحد فى المدينة لا يعلم بأمر خروجنا لتوزيع المال والتجارة على
الفقراء ، فإن كان فى نفس الملك المزعوم شك فى خروجنا فهذه الأخبار
التي اعتقد أنها وصلته الآن ستزيل من نفسه كل شك ..
فقال الملك « سيف » :

- حذار أن يشك عبدك فى شىء فنحن نريده معنا ..
فقال التاجر الشيخ موجهاً حديثه للعبد الذى يهرول وراءهم :
- يا « خطال » لك نصيب كبير من هذه الصدقة فأنت أولى بكل خير ..
فصاح العبد والحمل يتأرجح فوق رأسه :
- الأمر ما ترى يا سيدى فأنت دائماً الكرم المحسن ..

وما أن وصل الجميع إلى باب المدينة حتى هدأت سرعة النياق ، وبدأ
السير الرتيب المعتاد ، وقلب الملك « سيف » يخفق إشفاقاً من قفل باب
المدينة عليهم إن كانوا قد اكتشفوا أمرهم .. ولكن القافلة مرت من باب
المدينة فى سلام وأخذت تتابع سيرها والتاجر يصيح :
- أيها الغرباء ، يا أبناء السبيل ، هذه التجارة كلها لكم فاتبعونا
لنوزعها عليكم ..

وكلما سارت القافلة ازداد عدد من يتجمعون خلفها ، وما أن ابتعدت

القافلة مسافة معقولة حتى أشار الملك «سيف» إلى التاجر الذي أمر بالوقوف وانزل التجارة إلى الأرض .. وكان الملك «سيف» قد أعد لرحلته بضائع كثيرة مما ترد إلى دوريز حتى يتقن تنكرهم كتجار عائدين من رحلة بعيدة وفقوا فيها إلى ربح كبير. ولهذا كانت الإبل موسقة بأحبال عدة .. وما أن أنزلت إلى الأرض حتى تجمهر الجميع حولها وهم يتصايحون في انفعال ، وكل منهم يريد أن يسبق الآخر إلى نصيب أوفر من الأموال التي ستوزع .. ونزل الملك «سيف» عن راحلته وهو يقول :

– وكذلك إبنا ستدخل ضمن الصدقة ..

وتبعه الباقون ، بينما جال التاجر في الوقوف بعينيه ثم أشار إلى أحدهم قائلاً :

– تعال هنا أيها الرجل ، أأست التاجر الذي سرق اللصوص تجارته منذ عامين ففقد ماله وجاهه .. ١٩.

فاقترب منه الرجل ، وهو يقول :

– نعم .. ومن يومها وأنت تغمرني بإحسانك كلما عدت إلى المدينة .. فقال التاجر العجوز :

– إذن أنا أوكل إليك توزيع هذه التجارة بالعدل على الجميع ، وسأقف لأرقب ماذا تفعل ..

وانفرجت الحلقة عنهم لتعود فتلتف حول التاجر المفلس الذي أخذ يحصي البضائع ويحصي الوقوف وهو يقول :

– كل سيأخذ حقه أيها الرجال فليس أحدكم مثلي في معاناة الفقر ، وليس أحدكم مثلي في الرغبة في دفعه عن الجميع ..

وبينما الجميع مشغولون بالتجارة وتوزيعها ، همس الملك «سيف» في أذن التاجر :

- لتسلل واحدًا أثر الآخر إلى خلف الأكمة البعيدة تلك .. أما أنت
فأصحب معك العبد بحجة إحصاء الهدية التي معه بعيدًا عن أعين
المتراحمين ..

وأخني التاجر رأسه في فهم ، بينما أخذ الملك «سيف» والحكيمة
«عاقلة» و «برنوخ» الساحر و «أنحيم الطالب» والحادي يتباعدون في
حذر وهدوء دون أن يحس بهم أحد من الجمع المشغول بالتدافع حول
التجارة وهي تقسم بينهم .

ما أن وصل التاجر ووراء العبد إلى الربوة ثم دارا حولها حتى قال
التاجر :

ضع الحمل هنا وانتظر لحظة ..

وسرعان ما اختفى التاجر وراء الربوة ، وظهر مكانه الحكماء الثلاثة
وهم يتلون التعاويذ ، ويهمهمون بالأقسام والطلاسم .. وردد العبد نظره
فيهم لحظات ، ثم أحس فجأة بالذعر يمتاحه فهب واقفًا وحاول الهرب ،
ولكن قدميه كأننا مسمرتين إلى الأرض بينما أحاطت به سحابة من دخان
قامت سرعان ما غطت جسده ورأسه ومنعت عنه الرؤيا .. وصاحت
الحكيمة «عاقلة» :

- أخرج من صورتك الانسية بحق هذه الأقسام وعد إلى صورتك
الحقيقية أيها العون وأنت في أمان ..

وفجأة خرج من العون صوت رهيب وبدا كمن يحترق ، ثم انزاحت
السحابة وظهر مكانها مارد عملاق في عينيه نظرة دهشة وفزع ، وقال
«برنوخ» الساحر :

- من أنت يا أنا الجن ..؟.

وأجاب المارد في عناد :

- إسمى خطال وأنا «عبد» التاجر ..

وأخذت الحكيمة «عاقلة» تتمم من جديد ، فأحس المارد بالنار
تحوطه من كل مكان فصرخ قائلاً :
- صبراً أيها الساحر .. صبراً أيها الحكيمة ، أنا المارد المشمار من جن
جزر الواق وواق ..

فابتسمت الحكيمة وهي تقول :
- هذا أحسن أيها المارد «المشمار» فإن الكذب لا يجدى معنا .. والآن
ما الذى حولك إلى صورة الإنس وجعلك على هيئة العبد
«خطال» ؟ .

فصاح «المشمار» وهو يحاول أن يجد وسيلة للافلات عبثاً :
- سيحرقنى أيها الحكيمة لو تكلمت ..
فقال «أخميم الطالب» :
- وكذلك سنحرقك لو صمت .. أما لو تكلمت فسنطلق سراحك
وقال «برنوخ» الساحر :
- بل وسنحميك من بطشه وبتلش غيره من السحرة فلا يقوى أحد
على تسخيرك فى خدمته بعد هذا أبداً ..
فأطرق المارد وهو يقول :

- إن من يقوى على فك الرصد حولى واعادنى إلى صورتى الأصلية
قادر على هذا حقاً ، فهل تعدون لو أخبرتكم بالحقيقة أن نحمون حقاً من
«الغيدروس» و «العادى» ومن معهم من السحرة والكهنة ..

قال «أخميم الطالب» :
- نعم نعدك بحق إيماننا وديننا ..
وقالت الحكيمة «عاقلة» :

- ومن هو «الغيدروس» ؟ ومن «العادى» ؟ .

فقال المارد :

- إن «الغيدروس» هو كاهن جزيرة البنات وهو الذى يحكم على كل الكهان والسحرة فى الجزائر السبعة وهو الذى بنى الارصاد على المدينتين ، تلك التى أبطلها ملككم الملك «سيف بن ذى يزن» ..

فقال «برنوخ» :

- تعنى أنه ساحر الملك «قاسم العبوس» ..

فقال المارد :

- نعم أيها الساحر الكبير هو كاهن الملك الذى ذكرت وحافظ عبادة النار على أرضه ..

فقال «أخميم الطالب» متسائلاً :

- ولكن ألم يصطليح الملك «قاسم العبوس» مع الملك «سيف» ورضى عن زواجه من أخته ، بل لقد تزوج الملك «قان شاه» من ابنته الأخرى «نور الهدى» .. وتزوج هو نفسه من «مرجانة» الوزيرة المؤمنة ..

فقال المارد :

- لقد كان غائباً عندما حدث هذا ، ولكنه عندما عاد هدد «قاسم العبوس» فعاد إلى طاعته ، وقاد جيوشه لمحاربة الملك «سيف» .. أما «الغيدروس» فهو الذى صنع هذه المدينة بمعاونة مساعدة الكاهن «العادى» ومن معه من الكهنة ، وسخر عددًا كبيراً من الجان ليكونوا فى صورة سكان المدينة حتى يثبت قدرته ويطشه ، ويتمكن من القضاء على جيوشكم ورجالكم بسحره وكهنته ..

وصاحت الحكيمة «عاقلة» منادية :

- أيها الملك ..

فبرز الملك «سيف» من وراء الأكمة يتبعه التاجر والحادى ، فأخذت

الحكيمة «عاقلة» تحكى ما قصه عليها المارد حتى إذا انتهت من قصتها قال الملك :

- إذن فقد ارتد «قاسم العبوس» .. إنها الحرب إذن ..
فقالت الحكيمة «عاقلة» :

- احضر لنا أيها الملك عدة سحرنا وأدوات علمنا لنجعل ما صنعه
«الغيدروس» وبالآ عليه ..
فقال الملك :

- ينبغي أن نتحرك بسرعة فإننى أخشى أن يحبس أهل المدينة المسحورة
باختفائنا فيدركون أن سرهم قد افترضح ..

ثم أخرج الملك «سيف» لوح «عيروض» ودلكه بشدة ، وسرعان
ما كان «عيروض» أمامه وهو يقول :

- لبيك يا ملك الزمان ..

فقال «سيف بن ذى يزن» :

- احضر حالاً كل أدوات الحكيمة «عاقلة» و «برنوخ» و «أنحيم»
إلى هنا ، وانصب لهم خيمة خلف الأكمة .. واحملنى أنا والتاجر
والحادى إلى المدينة فلا بد من العودة بالجيش كله إلى هنا ..

وحين اختفى «عيروض» حاملاً الملك «سيف» والتاجر العجوز
والحادى ، قال المارد «المشمار» :

- أهذا هو الملك «سيف» المنصور دائماً على كل أعدائه بقوة إله

لا يراه أحد ويرى كل الناس ..

قالت الحكيمة «عاقلة» :

- إنه هو أيها المارد «المشمار» ..

فقال المارد :

- ويطيعه رجال العلم من الإنس ورجال الحرب من الفرسان كما يطيعه
الجان سواء بسواء ..

فقال «برنوخ» الساحر :

- إنما يطيعه المؤمنون منهم أيها المارد ..

فقال المارد ، وهو يطرق :

- وكيف يكون هذا الإيمان ..؟.

فصاح «أنحيم الطالب» :

- مرحى .. أهلاً بك في حظيرة الإيمان .. تعال هنا يا بنى أعلمك

عبادة الملك القهار ..

وبينا كان «أنحيم الطالب» يقود المارد «المشمار» بعيداً ، انفتحت

الحكيمة «عاقلة» إلى «برنوخ» الساحر ، وراحت تشاوره في الخطة التي

تتبع للقضاء على سحر «الغيدروس» و «العادي» .. وما كادا ينتهيان من

مشاورتهما حتى ظهر «عبروض» حاملاً الخيمة والأدوات المطلوبة ،

وأسرع ينصبها لهم بحيث تخفيها الأكمة عن العيون .. وأقبل «أنحيم

الطالب» يقود «المشمار» من يده وهو يقول لـ «عبروض» :

- هذا يا «عبروض» أخ لك في الإيمان فأحرص على أن تحسن

معاملته لأنه يريد مخلصاً أن يعاوننا في حربنا مع عبدة النار ..

ثم دخل «أنحيم الطالب» إلى الخيمة ليلحق بالحكيمة «عاقلة» و

«برنوخ» الساحر اللذان سبقاه إليها ، وسرعان ما تعالت همهماتهم

وأقسامهم ، وانبعث من الخيمة رائحة بنجور قوى .. وقال «عبروض»

«للمشمار» :

- ليقف كل منا عند ناحية من هذه الأكمة لنحرس الحكماء ، وهم

يقومون بعملهم .. ولترب المدينة حتى ننهبهم إذا خرج منها أحد ..

ولم يطل انتظار الماردین ، إذ سرعان ما خرجت الحكيمة «عاقلة» من الخيمة وهي تصبح :

- يا «عبروض» ..

وأقبل «عبروض» إليها مسرعًا ، فعادت تقول :

- هذه القوارير الأربعة المليئة بالزئبق المطلسم تضع واحدة عند كل ركن من أركان الوادي المحيط بالمدينة ، ثم تفتح سدادة كل منها وتعود إلى مسرعًا وإلا أحرقتك ..

فقال «المشمار» :

- يضع «عبروض» القوارير وأنا أفتح السدادات ورائه فلا نضطر إلى التهل أو الوقوف ..

فقالت الحكيمة «عاقلة» :

- إذن أسرع .

* * *

قال «الغيدروس» للكهين «العادي» الذي كان يتنكر على هيئة «قان شاه» بينما كان «الغيدروس» متنكرًا على هيئة الملك «سيف» :

- لقد طال غياب هذا التاجر الذي أتى من مدينة دوريز .

فقال «العادي» :

- لقد أخبرني الجواسيس الذين أرسلت بهم في أثرهم أنهم توجهوا إلى خارج المدينة لتوزيع كل تجارتهم ..

فقال «الغيدروس» :

- لست أدري لماذا أحس بالضييق وعدم الارتياح ..

فقال «العادى» :

- لقد طلبت منه العودة لأنه قد ساورنى نفس الإحساس ولو أننى لم أحب أن أزعجك به .. وعلى أية حال لنستدع من جعلناهم على صورة الفقراء من الجن لنسألهم عما تم فى أمر التاجر ومن معه ..

فقال «الغيدروس» :

- لا بد من إعادتهم إلى صورهم الأصلية أولاً ، فإنهم فى صورتهم الحالية لن يعرفوا إلا ما كان يمكن أن يعرفه الفقراء الحقيقيون أنفسهم .. هيا بنا إلى حجرة أرسادنا ..

ودخل الساحران حجرة الارصاد ومضياً يعزمان .. وسرعان ما تصارخت أعوان الجان متدافعة إليهما .. وقال «الغيدروس» :

- أين التاجر صاحب التجارة ومن معه ..؟.

فقال واحد منهم :

لقد فروا أيها الكاهن .. تركونا ونحن على الصورة الآدمية نتعارك حول التجارة ، وأخذوا «المشمار» معهم إلى خلف الأكمة التى، تواجه باب المدينة ..

فقال «العادى» :

- ومن هو التاجر..؟.

فقال آخر :

- التاجر تاجر حقيقى من مدينة دوريز ، أما من معه فهم الملك

«سيف» والحكام ..

فصاح «الغيدروس» :

- الملك «سيف» بنفسه .. هذا ما حدثتني به نفسى ..

ثم ضبط غضبه وقال :

- ومن هم الحكماء الذين كانوا معه ٢٠٠.

فقال ثالث من أعوان الجان :

- الحكيمه «عاقلة» كاهنة المغرب وحكيمه مدينة قرون .. و «برنوخ»
الساحر كبير الفج الأعظم ، و «أحميم» الطالب حارس قبر الملك سام بن
نوح وذخائره ..

فصاح «الغيدروس» :

- وهؤلاء هم من تركناهم يفلتون بعد أن كشفوا أمرنا .. عليكم
بهم ، ابجثوا عنهم في كل مكان وأسرعوا ..

وبينا اندفع أعوان الجان مسرعين ينفذون أمر «الغيدروس» هرع هو
و«العادي» إلى الملك «قاسم العبوس» الذي كان يقيم مختفياً عن الأنظار هو
وجنوده خارج المدينة تحوطهم أرصاد خفية تمنع عنهم الأبصار وتخفيهم
عن العيون .. وقال «قاسم العبوس» بعد أن سمع القصة .

- لقد فلت لك أيها الكاهن أن هذا الملك صعب المراس ولا يقوى
أحد على محاربتة ، فأخبرتني أنك قادر على هزيمته .. وها هو قد كشف أمر
هذه المدينة دون عناء ..

فقال «الغيدروس» :

- لن يمضى وقت طويل حتى يحضره أعوان الجان هو وسحرته هنا
مكبلاً ..

فقال «العادي» :

- أنسيت أيها الكاهن أنك أرسلت قبل هذا مارداً لاختطافه فلم
يستطع أن يقترب منه .

فشحب وجه «الغيدروس» وقال :

- إذن هي الحرب لتأهب لها ..

والتفت إلى «قاسم العبوس» قائلاً :
- أنت يجنودك وفرسانك ، وأنا مع السحرة والكهان ، وستنصرنا
النار المقدسة عليه ..

ولم يتم «الغيدروس» حديثه حتى كان من أرسلهم من أعوان الجان أثر
الملك «سيف» يدخلون عليه مسرعين وهم يتصايحون والنار تشتعل في
أكثرهم .. وفزع «الغيدروس» وهب واقفاً وهو يصيح :
- ما هذا ؟.. ماذا حدث لكم ؟..؟

فقال أحدهم وهو يحتضر :
- النار أيها الكاهن .. نهر من الزئبق يتدفق ليحيط بالمدينة من جوانبها
الأربع ، ما أن يمس واحداً من الجن حتى يشعل فيه النار ..
ولا خلاص ..

ثم تهاوى رماداً فوق الأرض وإلى جواره من تبقى ممن كانوا معه ..
واندفع «الغيدروس» هارباً وصيحات الجان المحترقين تطرق رأسه بعنف
وراءه «العادي» و «قاسم العبوس» .. وعند باب المدينة توقفوا ليشهدوا
وهم شاحبو الوجوه فيضائاً عاتياً من الزئبق يحيط بهم من كل مكان ،
ويزحف نحوهم في عنف .. وهمس «قاسم العبوس» :
- لن تمر ساعات إلا وهو هنا عند أبواب المدينة ..

وصرخ «الغيدروس» :

- سأفك هذا النهر المطلسم ..

فقال «العادي» في يأس :

- ليس هناك وقت أيها الكاهن .. بل الأجدى أن نسرع لفك من
نقدر على فكهم من أعواننا من الجان ليهربوا بأنفسهم قبل أن يغرقهم
النهر، أما نحن فليس علينا خطر لأن هذا النهر لا يؤذي إلا الجان وحدهم ..

فصاح «الغيدروس» وقد أريد وجهه وبدت عليه معالم الجنون :
- إنهم يحرقون مدينتي ، يدمرون عملي ، يقضون على أعوانى .. لا ..
لا بد أن أفك طلاسمهم ..

واندفع يجرى نحو بيت رصده ، بينما قال «قاسم العبوس»
«للعادي» :

- أسرع أنت واجمع باقى الكهنة وحاولوا قدر إمكانكم أن تنقلوا من
الجان من تستطيعون ، فكوا طلاسمهم واتركوهم ينطلقون إلى السماء
فلم يعد لهذه المدينة وجود ..

* * *

حينما وصل الملك «سيف» وجنوده إلى المدينة المطلسة كانت الحكمة
«عاقلة» و«برنوخ» الساحرو «أنحيم الطالب» منهمكين فى طلاسمهم وقد
وصل النهر الزئبقى فى زحفه إلى منتصف المدينة فاحترق سورها وشوارعها
التالية له واختفت .. وشهد الجميع معركة رهيبية تدور بين النهر والمدينة ،
فهو مرة يتقدم ومرة يتراجع وصيحات أعوان الجان تتعالى وهم يحترقون
بالنار فى منظر رهيب قاس .. وقالت الحكمة «عاقلة» :
- إنه يبذل كل جهده ليرد النهر ، ولكنه لن يستطيع ..

فقال الملك «سيف» :

- وأين ذهب باقى المدينة ..؟.

فقال الحكمة «عاقلة» وهى تبسم :

- ابتلعه هذا النهر أيها الملك .. إن هذا النهر الأبيض اللامع هو نهر
الحقيقة ما يمىس الزيف حتى يحرقه ويدمره .. ولما كانت المدينة كلها زائفة
فإن كل جزء يمسه ماء هذا النهر يحترق فى الحال .. 1.
وصاح «عبروض» وهو يعود مسرعاً نحوهم :

- انظروا لقد ابتلع النهر المدينة ..
وكان النهر قد تمكن من الأطباق على المدينة كلها ، فلم يعد يرى منها
سوى شرارات ملتهبة تتصاعد مع صيحات الجبان المحترقين الذين
لا يستطيعون فراراً ، وصورتهم الأنسية تحذ من حركتهم وتمنعهم من
الهرب .. وقالت الحكيمة «عاقلة» :

- هذه هي نهاية مدينة «الغيدروس» .

وقال الملك «سيف» محقّباً :

- المدينة الزائفة ..!

فقال التاجر العجوز . وكان قد أصر على اصطحاب الجيش :

- مدينة بلا روح .. مدينة الأشباح ، خلفها رجل واحد .. وماتت
عندما انهمز هذا الرجل أمام من هو أقوى منه علماً وحكمة ..

وقال «برنوخ» :

- سنكشف الآن غطاء السحر عن الجنود المختفين ..

وبينا مضى الحكماء يتمتمون ويتلون الأقسام ، أخذت الضبابة
الكثيفة ، التي علت المكان الذي كانت فيه المدينة ، تنقشع .. بينما غاص
نهر الزئبق وهو يتراجع إلى أربعة أركان الوادى .. وأمامهم كان جيش
«قاسم العبوس» وقد تأهب للقتال .. وصاح «دمر» .

فقال أبوه الملك «سيف» :

- ها هو قد انكشف أمامنا يا «دمر» وأصبح الحكم الآن للسيف

وحامله ..

وصاحت الحكيمة «عاقلة» :

- أنا «للغيدروس» ..

وصاح «برنوخ» الساحر :

- وأنا «للعادي» ..

وصاح «أنحيم الطالب» :

- وأنا للكهنة الباقين ..

واندفع كل منهم نحو من اختاره ليكون غريمًا له ، بينما صاح

«دمر» :

- وأنا لهذا الملك «قاسم العبوس» ..

فأمسك الملك «سيف» بيده وهو يقول :

- كلا يا بني إنه لى أنا فاتركه ، ولا تحمل على سيفك دم جد أخيك

«مصر» ..

واندفع الملك «سيف» نحو الملك «قاسم العبوس» وهو يجرد حسامه

من غمده ..

وكانت المعركة رهيبة وقاسية ، وكان كل من الطرفين المتحاربين يدرك

أنها حرب فناء .. فاما هو واما عدوه ، وقاد «قان شاه» ميمنة الجيش بينما

قاد «دمر» ميسرته .. أما الملك «سيف» فلم تطل معركته مع «قاسم

العبوس» إذ سرعان ما أسره وجرده من سلاحه ، وحمله إلى مؤخرة

الجيش وهو يقول له :

- لست أدري أيها الملك سر انقلابك علينا بعد إيمانك وزواجك من

«مرجانة» الباسلة .

فقال «قاسم العبوس» وهو يتهالك إلى الأرض :

- ما كنت أستطيع أيها الملك أن أخالف «الغيدروس» إنه القوة

الحقيقية فى بلادى ...

فقال الملك «سيف» فى مرارة :

- إنت معى حين تكون القوة فى صنى ، ومعهم حين تكون القوة فى

صفه .. ما أسهل هذا .. ولكن لا بأس فانت الغانم في الحالتين ، فإن انتصر هو فانت ملكه وسيده ، وإن انتصرت أنا فانت أبو زوجتى وأبو زوجة قان شاه .. ولكن لا بأس .. إن الحياة مليئة بمن هم مثلك ممن لا يعرفون لأنفسهم وجودًا إلا في ظل الآخرين ..

ثم تركه واندفع إلى المعركة المحتدمة يقود قلب جيشه متغلغلًا في جيش «قاسم العبوس» الذى بدأت صفوفه تنهار أثر أسر ملكه ..

وكانت الحكيمة «عاقلة» تحاور «الغيدروس» وتداوره .. وكلما فتح بابا من أبواب الكهانة سدته عليه ، وكلما دبر لها مهلكًا كشفت أمره وأفسدته .. حتى كل وأصابه الوهن ، وقد فت في عزيمته ضياع مدينته وانهار خططه .. واقترب منها «دمر» فوقف يشاهد حربها في ذهول ودهشة .. وشاهدها وهى تمسك حصاة من الأرض وتندمدم عليها فإذا هى حجر كبير ثم تقذفه نحو «الغيدروس» ويتمم «الغيدروس» تعاويذه ثم ينحرف عن الحجر فيسقط على الأرض دون أن يمسه وقد عاد حصاة صغيرة .. وهمس «دمر» لنفسه :

- إن هؤلاء السحرة لا يموتون إلا بالحجارة ..

ومد يده إلى الأرض فرفع حجرًا ثقيلًا ثم قذف به بكل قوته نحو رأس «الغيدروس» ولم يكن «الغيدروس» ملتفتًا إليه ، بل كان يوجه كل همه نحو الحكيمة «عاقلة» فأصابه الحجر في رأسه فرماه إلى الأرض وقد تحطمت رأسه تمامًا وتناثر مخه ، وتصايح الجند فزعين وهم يشهدون مصرع «الغيدروس» بينما قالت الحكيمة «عاقلة» .

- لا شلت يدك يا «دمر» لقد أرحمتى من هذا المأفون ..

وصاح «العادى» فى «برنوخ» :

- لقد مات «الغيدروس» ولا داعى لاستمرار هذه الحرب ..

فقال «برنوخ» :

- وتسلم نفسك ..

قال «العادى» :

- نعم .. بل وأعلن ايماني بهذا الإله الذى ينصركم أبداً ..

فقال «برنوخ» :

- إذن خيّر باقى رفاقك بين الإيمان أو الموت ..

وجاء صوت «أخميم الطالب» صائحاً :

- لقد استسلم باقى الكهنة وآمنوا ..

ومن ورائه جاء صوت «سعدون» :

- لقد انتهت المعركة واستسلم الجيش ..

وعقب «دمنهور الوحش» ساخرًا :

- تعنى من بقى منه حيًا ..

فقال الملك «سيف» :

- إجمعوا الأسرى واعرضوا عليهم الايمان ، فمن آمن فهو معنا والا

فليس له إلا السيف ..

فقال «سابك الثلاث» :

- إن ملكهم قد أسر ، وحكيمهم قد مات فعن أى شىء يدافعون ..

فاندفع «ميمون» الهجاء نحو الملك «سيف» وحسامه يقطر دمًا قاتلاً :

- لقد أبدى الجميع رغبتهم أيها الملك فى أن يتبعوا ديننا ..

فقال الملك «سيف» :

- إذن هيا بنا إلى المدينة ، فقد آن لهذه الجزر أن تستريح من الشر

وعبادة النار وخبث الكهنة الكفار ..

قال الملك «سيف» للملك «قان شاه» وهما في مجلسها في قصر دوريز :

- لقد استتب لك الأمر أيها الملك ، ولا بد من ارتحالنا إلى حمراء اليمن .. فقد اشتاقت نفسي إلى بلادى ..
فقال «قان شاه» :

- لست استطيع أن أطلب منك البقاء أيها الملك ، فكفى ما فعلته من أجل هذه الأرض التي كانت تعيش في ظلام دامس وكراهية عميقة ، فأعدت كل شيء فيها إلى النور والصواب ..
وقال «قاسم العبوس» :

- سأصحبك أيها الملك وأعيش في قصرك واحدًا من رجالك إلى جوار ابنتي «منية النفوس» وزوجتي «مرجانة» ..
فقال الملك «سيف» :

- إن هذا ما قررته أيها الملك ، فلا مكان لك في جزر واق الواق ..
إذ هي منذ اليوم تحت حكم «قان شاه» ..
فقال «قاسم العبوس» :

- لست طامعًا في شيء ، وإنما أريد أن أودع ابنتي «نور الهدى» زوجة الملك «قان شاه» قبل السفر ..

فقال الملك « سيف » :

- إذن فاذهب إليها الآن لأننا مرتحلون عند الفجر ..
وحين انصرف الملك « قاسم العبوس » ذلك الملك « سيف » لوح
« عيروض » فظهر أمامه في الحال ، فقال له الملك « سيف » :
- كما جئت بنا أيها المارد عد بنا إلى ديارنا .. هيا أمامك ساعات الليل
تستدعى فيها من عاونوك على نقل الجيش إلى هنا ..

فقال « عيروض » :

- إن أعوانى أيها الملك لا يكفون ، بل لا بد من معونة « عاقصة » ..
فابتسم الملك « سيف » وهو يقول :
- ستعاونك « عاقصة » وقد أرسلتها قبل أن أستدعيك لتحضر أعوانها
هى الأخرى ، وسيكونون جميعاً هنا قبل الفجر ..

فقال « عيروض » :

- أتذكر ما وعدتني به أيها الملك ؟ ..

فقال الملك « سيف » :

- وأنا عند وعدى علىّ الوفاء به .. فقط أترك هذا الأمر حتى نعود إلى

حمرأ اليمن .

فقال « عيروض » في الحاح :

- سيسخلك أولادك هناك عنى ..

فقال الملك « سيف » وهو يتبسم :

- أنا لا يشغلنى شيء عن الحب .. وأنت تحب ، وأقسم أنني لن
أهدأ حتى أجمعك بمن تحب .. فبلادى يحكمها الحب وحده الذى هو
جوهر ديننا ، وكما جمع الحب بين الإنس من اتباعى فلا بد أن يجمع
الحب بين الجان منهم أيضاً ..

وعند الفجر ودع الملك «سيف» صديقه الملك «قان شاه» وزوجته
«نور الهدى» .. ثم ارتفع بهم «عبروض» و «عاقصة» ، واتباعها في
الطريق إلى الوطن .

تمت

رقم الإيداع : ٩٤٠٩ / ١٩٩٠
التقييم الدولي : ٤ - ٠٠١٨ - ٠٩ - ٩٧٧

مطابع الشروقة

القاهرة: ١٦ شارع جيزاد حسن - هاتف : ٣٩٣٤٥٧٨ - فاكس : ٣٩٣٤٨١٤
بيروت : ص ب : ٨٠٦٤ - هاتف : ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٧٦٥ - ٨١٧٢١٣